جامعة الأزهر

كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

بطنطا

أسطورة

تأليه الأشخاص في الديانات القديمة

وموقف الإسلام منها

للدكتور

عبد الناصر أحمد حسيب صالح

مدرس الدعوة والأديان بالكلية

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

المقــــــدمــة

مقدمــــة :

الحمد لله الذي وحد ذاته بذاته في ذاته ، ودلل لخلقه على أحدية ذاته ووحدانية صفاته فتفرد بالكمال المطلق ولم يحتج الى صاحبة ولا ولد ، ولا معين ولا شريك ولانه جل عن النظير والمثيل والشبيه ، (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

والصلاة والسلام على أفضل الخلق قائد سفينة الوحدانية وامام الموحدين ، من لدن بعثته الى يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه الذين تربوا على العقيدة الصادقة والاخلاق الفاضلة والسلوكيات السامية في مدرسة القرآن الراقية والسنة النبوية الجامعة الواعية ، ومن تبعهم باحسان من الائمة الدعاة الاعلام النورانيين الافذاذ ، وسائر المسلمين الموحدين لله الى يوم الملاذ وبغية المفاز .. وبعد

فهذه دراسة وجيزة في علم مقارنة الاديان قصدت بها في عجالة سريعة الكشف عن الاخطاء العديدة التي ارتكبتها الامم السابقة وأرباب الملل والديانات القديمة وملاصقتها في حق الله عز وجل من التنكر لذاته وصفاته ، ونصبة خصائصه الى مالا يصلح البتة لكونه ذاتا سوية لذاتها فكيف يضفي عليها من الصفات مالا يتحمل قبوله ذوي العقول الرشيدة والافكار السديدة .

ومن ثم فقد راق لي أن تكون هذه الدراسة تحت عنوان "أسطورة تأليه الاشخاص من الديانات القديمة وموقف الاسلام منها" . ولما كانت هذه الدراسة قد بدأت فيها خصيصا لطلاب شعبة الدعوة بكلية أصول الدين والدعوة الاسلامية بطنطا فقد آثرت - بقدر الطاقة - جاهدا بساطة العرض ودقة التناول وعصرية التوجيه بحيث تصبح الدراسة - بجانب طابعها الاكاديمي - جامعة لمشكلات الالوهية على أرض الواقع العقدي في المجتمعات المعاصرة، قاصدة اعداد جيل جديد من الدعاة يقوى بما يملكه من طاقات علمية ، وتوجيهات فكرية على مواكبة ما يواجهه من قضايا فكرية ومشكلات عقدية كداعية للحق في ثوب جديد . وحسبي في هذه الدراسة حسن قصدي وسلامة نيتي وتحقيق غايتي من شباب الدعوة سائلا الله عز وجل أن يتقبل مني خالص عملي ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعني وأهلي وذريتي وأساتذتي وطلابي بأخير ما فيه من الخير والصلاح لدعوة الاسلام وأمر المسلمين . والله من وراء القصد هو نعم المولى ونعم النصير . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

طنطا

تحريرا في ٨ رجب ١٤١٥ هـ

١١ ديسمبر ١٩٩٤ م

دكتور

عبد الناصر أحمد حسب صالح

الفصل الاول

التعريف بالدين وموقف العلماء

من تاريخ التدين

تمهيد :-

بادئ ذي بدء أود أن أضع بين يدي القارئ - وخاصة أبنائنا الطلاب - مقدمة هامة للتعريف بالأديان القديمة وبيان أقسامها وأهمية دراستها ومدى علاقتها بالوحي الالهي، وكذلك استعانة أرباب الهوى بعقائدها في تحريف الوحي الصحيح قبل الاسلام - في صورته الاخير - الذي جاء به سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - من قبل الله تبارك وتعالى .

وحتى يتسنى بيان ما سبق تمهيدا للدخول في موضوع الدراسة التي بين أيدينا ، ينبغي أولا أن نعرف بمفهوم الدين فما هو ؟ :

تعريف الدين :-

جرت سنة العلماء في دراساتهم وأبحاثهم أن يقدموا لكل علم من العلوم أو أصل من الأصول بتعريف يكشف عن المعنى أو المعاني التي يقوم على أساسها فهم المصطلح اللفظي - أو القالب اللغوي - الموضوع عَلَماً على شيء يصح به التعبير عنه ، وان أطلق لاينصرف الا إليه ولا يقصد به غيره ، ومن ثم فان التعريف بهذا المعنى يحتاج الى جهود كبيرة ممن يتصدى لهذا الامر .

غير اننا اذا ماأردنا أن نقف على أقوال العلماء في هذا الصدد فأننا نجد العديد من التعريفات سواء من الناحية اللغوية أم الاصطلاحية واليك بعض هذه التعريفات أذكرها فيما يلي :-

التعريف اللغوى بالديـن :-

وردت كلمة " دين " فى اللغه للدلالة على معان كثيرة ، فهـى من الالفاظ ظنية الدلالة فى اللغة العربية وماذاك الا لثرائها بالمعانى والدلائل ، وهو مايجعلها مبهمة المعنى ، وغير محددة المدلول ، ومن ثم فهى من الألفاظ التى لايتضح مقصودها الا بقيدها ، وفيما يلى تحقيق ماسبق .

فبالكشف عن معنى اللفظ فى المعاجم اللغوية تحت مادة " د ى ن " وجد أن " دان "- دينا وديانة : أى خضع ، وذل و وأطاع ، ويقال : دانه ، دان له منه :- أى أقتص ، ودان بكذا :- أى اتخذه دِينًا و تعبد به فهو دين ، ودان فلان دْينا :- " بسكون الياء " أى كثر دينة ، أو أعتاد خيرا أوشرا ، وباسكان الياء وغيره ، أى أخضعه وأذله ويقال : دان فلان نفسه : أى حملها على ماتكره ، وحاسبها وساسها ، وجازاها - ويقال دان له : أى احترمة ، وأحسن اليه ، "والديانة" مايتدين به الانسان ، وهو أيضا - اسم لجميع مايعبد به الله ، ويطلق أيضا على الملة ، والاسلام ، والاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان وعمل الجوارح والاركان ، ويطلق ويراد السيرة والعادة والحال والشأن ، والورع ، والحساب والملك والسلطان ، والحكم ، والقضاء ، والتدبير .) (١)

(١) يراجع :- المعجم الوسيط - اصدار مجمع اللغة العربية بالقاهره ج ١ ص ٣٠٧ ، كتاب الافعال لأبى عثمان المعافرى ج ٣ ص ٣٠٨ تحقيق د / حسين محمد محمد شرف .

ويجمع على "أديان" و "ديانات" والأول هو الشائع فى الاستعمال ويدل على هذا ما ورد فى الصحيح باسناد حسن [1] عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : "سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى الاديان أحب الى الله عز وجل ؟ قال : الحنيفية السمحة" [2] وفى رواية علقها البخارى قال : صلى الله عليه وسلم : "أحب الدين الى الله تعالى الحنيفية السمحة" [3] فأفرد الدين - كأنه يصوب للسائل، مبينا أن لا جمع منه - لأنه فى الحقيقة ليس الا واحداً وان سمى غير الصحيح الحق باسمه مجازا على سبيل الاصطلاح العرفى لا على حقيقة المراد الشرعى ، وعلى هذا تكون "أل" هنا للعهد ..

أما ان أريد بها الجنس فهى هنا تعنى خصوصية الدين الحق من بين مطلق سائر أفراد جنسه ومن ثم فالكلمة تكون على معنى "الجمع" كقولنا مثلا : أى الماء أجود للشرب ، والمعنى المراد : أى المياه أجود ..

(١) يراجع : فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ج١ ص ١٠١ طبعة الحلبى ١٩٥٩ م .

(٢) يراجع : صحيح البخارى : كتاب الأدب ٨١ المطبعة العربية بلاهور . (٣) يراجع صحيح البخارى كتاب الايمان .

وقد ذكر الراغب الأصفهانى فى المفردات " الدين يقال للطاعة والجزاء ، واستعير للشريعة " (١)

وقال صاحب التحرير والتنوير : " الدين حقيقة فى الأصل الجزاء ثم صار حقيقة عرفية يطلق على مجموع عقائد وأعمال يلقنها رسول من عند الله ويعد العاملين بها بالنعيم والمعرضين عنها بالعقاب ، ثم أطلق على مايشبه ذلك مما يضعه بعض زعماء الناس من تلقاء عقله ، فتلتزمه طائفة من الناس ، وسمى الدين دينا لأنه يترقب منه متبعه الجزاء عاجلا أو آجلا " (٢)

اللفظة فى القرآن الكريم :ـ

وقد جاءت الكلمة فى القرآن الكريم تحمل كلا الاطلاقين السابقين ، وان كان الاطلاق الأول دائما مايقصد به المعنى الشرعى لكلمة الدين أو مايمكن أن نقول عنه بأنه المعنى الصحيح للدين الحق الذى صدر من قبل الله عزوجل ليتعبد به البشر ، ومما يدل على هذا فى القرآن قوله تعالى :ـ

(ألا لله الدين الخالص) (٣) ، وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم

---

(١) المفردات: للراغب الأصفهانى مادة " دين " .
(٢) التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور جـ ٣ ص ١٨٨ ط تونس.
(٣) سورة :

وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (١)

وقوله تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام) (٢) وغيرها من الآيات الدالة على هذا كثير .

أما الاطلاق الثانى : فقد وردت الكلمة للدلالة على مايضعه الوضاعون من متسلطى البشر عليهم ، ويقهرونهم عليه ، فرضا لسلطانهم وتمكينا لملكهم ، وأما يصدر من المتحررين والمتمردين عليهم من بنى قومهم ، كرد فعل لظاهرة التسلط والقهر الملكى والكهنوتى .(*) وهذا اللون من الدين نص عليه الله عز وجل فى القرآن الكريم كما فى قوله تعالى : على لسان فرعون : (إنى أخاف أن يبدل دينكم) (٣) ...

وكما فى قوله تعالى عن يوسف عليه السلام " وكذلك كدنا ليوسف ماكان ليأخذ أخاه فى دين الملك) (٤) ، وكما فى قوله على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - يأمره حال مواجهته لقومه " لكم دينكم ولى دين) (٥)

ومن كل ماسبق نخلص الى أن كلمة " الدين " ذات معان عديدة جعلت من العسير قصرها - لغويا - على مفهوم بعينه ، وذلك لشيوع جنسها ، فاذا اشتقت من التعدى بنفسه " دانه دينا " فهى

---

(١) سورة المائدة : آيه رقم ٣ (٢) سورة آل عمران : آيه رقم ١٩ .

(*) وهؤلاء كثيرون ظهروا على الساحة قديما - ولا يزالون - بصرف النظر عن الصحة أو عدمها - كالهندوسية والبوذية ، والكنفوشيتية ، والجينيه ، وغيرها .

(٣) سورة غافر : آيه رقم ٢٦ (٤) سورة يوسف : آيه رقم ٧٦ .

(٥) سورة الكافرون : آيه رقم ٦ .

بمعنى الملك والقهر والمحاسبة ، واذا اشتقت من المتعدى باللام " دان له " فهى بمعنى الطاعة والخضوع له ، واذا اشتقت من — المتعدى بالباء " دان بالشيء " فهى بمعنى الالتزام والاعتقاد والتخلق بالشيء ، وعلى هذا يكون الدين — من حيث اللغة — عاما يشمل الملة والنحلة والمذهب والطريقة التى يسير عليها الانسان ودون النظر الى مراعاة الصحة من عدمها ، ومن ثم فان الذى يفصل بين الدين " وبين هذه الأمور هو المعنى الشرعى للدين لا المعنى اللغوى ولا المعنى العرفى أو الاصطلاحى .

فما هو المعنى الاصطلاحى للدين .؟

وما هو المعنى الشرعى لـه ؟؟

المعنى الاصطلاحى للدين :—

فى الحقيقة أن علماء الأديان وبحاثتها لم يجمعوا على تعريف واحد للدين كما هو الأمر فى شأن أغلب المصطلحات النظرية أو العملية. اذ يرى بعض العلماء أن تعريف الدين اصطلاحيا من الصعوبة بمكان لأنه يمثل فى واقع الأمر ماهية الرابطة بين الانسان ومعبوده الذى يخر لـه ، ويقر بعظمته ، وقوته التى يتأتى من خلالها للمعبود الضر والنفع وبها ولها يتحقق المنتهى والمصير .

واذا كان الدين هو المحور فى هذه الصلة الشخصية فانه لا يدركه بناء على ذلك الا العبد المتصل نفسه ولا يدركه معه سواه .

ولما كان المعرف لا يصل الى احساسات كل المتدينين حتى يمكن التعبير عنها فى تعريف جامع مانع ، فانه من هذا التصور لايمكن تعريفه .

غير أننا نقول : - " ان هذه الاحساسات شيء ، والدين شيء آخر من حيث انه عقيدة يعتقدها الانسان المعتقد ، ويؤمن بها ايمانا يقينيا - كدين - لا يتأتى معه ريب أو شك . وشريعة تنظم علاقة الانسان المتدين بمعبوده ، وذويه من بنى جنسه ، ومن غير بنى جنسه .

ومن ثم فانه اذا كان معنى الدين على هذا بمعنى أنه العقيدة والشريعة - فانه بالتالى لا يختلف من شخص لآخر .

وعلى هذا يمكن القول بأن الدين نفسه هو الذى يحدد معناه الاصطلاحى من حيث واقعه ومحتوياته ، وليست أحاسيس الانسان هى التى تحدده ولكن على أية حال فاننى أسوق هنا بعضا من التعريفات الاصطلاحية للدين كما جاءت بأقلام علماء الأديان على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ، دون النظر الى حقيقته وجوهره ، أو الى صحته من عدمها .

واليك هذه التعريفات :-

١ - قال بعضهم : - ان الدين هو " الاعتقاد بوجود ذات - أو ذوات لها قوى غيبية ، بها تتصرف فى الطبيعة والناس ، حسب مشيئتها

وارادتها اعتقادا من شأنه أن يبعث على التوجه اليها بالطاعة والعبادة في رغبة ورهبة حسب نواميس معينة ، وقواعد محددة" (١) وهو تعريف مستخلص من عدة تعريفات جمعه من أقلام علماء الأديان أحد أعلام الاسلام المعاصرين .

٢ — وقد ذكر غيره تعريفا آخر مقتبس أيضا فقال :—

" الدين في عرف علماء الأديان هو : عبارة عن الخضوع والتذلل لبعض الكائنات ، والاحتماء بها ، وتقديم القرابين لارضائها سواء أكانت هذه الكائنات محسوسة — كالشمس والقمر والصنم والوثن — أو غير محسوسة — كالأرواح الخفية التي يتقربون اليها . " (٢) وعلى هذا فهو جملة من المبادئ العامة وضعها بعض الناس ليسيروا عليها ويعملوا بما فيها .

٣ — وقد عرفه آخرون بأنه (مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة تؤمن بها جماعة معينة يسد حاجة الفرد والمجتمع على السواء ، أساسه الوجدان ، وللعقل مجال فيه) (٣)

---

(١) دراسات في اليهودية د / مزروعة ص ١٥ .

(٢) مقارنة الأديان بين اليهودية والاسلام : أ . د / عوض الله حجازي ص ٧ .

(٣) المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية — بالقاهرة ، ص ٨٦ .

وبالنظر فى التعريفات الاصطلاحية للدين لدى علماء الغرب وجد أن هذه التعريفات مقتبسة من أقوالهم وتعريفاتهم للدين ، ولذلك فهى قد خلت تماما من الضبط الشرعى للدين . وهذه هى تعريفاتهم . :-

١ - يقول أحدهم " الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر الهية " .

٢ - ويقول آخر " الدين هو الرباط الذى يصل الانسان بالله " .

٣ - ويقول ثالث : " قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة " .

٤ - وغيرهم يرى أن : " الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق ، واجبات الانسان نحو الله ، وواجباته نحو الجماعة ، وواجباته نحو نفسه .

٥ - وقيل هو : " الايمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية ،وهو العنصر الرئيسى فى الدين " .

٦ - وقيل : هو " الايمان بكائنات روحية . "

٧ - وقيل هو : " محاولة تصور ما لايمكن تصوره ، والتعبير عما لايمكن التعبير عنه ، هو التطلع الى اللانهائى ، هو حب الله .

٨ - وقيل هو : " العبادة ، والعبادة عمل مزدوج ، فهى عمل

به يعترف الانسان بقوة سامية ، وعمل قلبي أو انعطاف محبة يتوجه به الى رحمة تلك القوة" . وقيل غير ذلك ...

غير أننا يجب أن نلاحظ من خلال عرضنا لتعريفات علماء الغرب السابقة لكلمة الدين كمصطلح ، أن حقيقة الدين لا يكفي في تحديدها فكرة الاعتقاد باطلاق أو فكرة الخضوع من حيث هي ، وأنه لابد من اضافة قيد أو قيود أخرى تحددها بابراز عناصرها الجوهرية، وتلك هي المحاولة التي قدمها لنا بحاثة الغرب وعلمائه ، حين قدموا لنا مختلف التعريفات التي أوردنا الآن جانبا منها . كما أنه من الواضح أيضا أن التعريفات قد اختلفت بسبب اختلافات المشارب ، والأصول التي يستنبط منها الباحث علومه ومعارفه .

وليس من العسير على من يستعرض تلك التعريفات ، أن يلاحظ أن بعضا منها قد جاوز الحد في التحديد ، حتى حصرت مسمى الدين في نطاق الأديان الصحيحة ذات الرابطة - قربا أو بعدا - بالوحي الالهي ، وهي التي تتخذ معبودا واحدا تصوره بأنه الخالق المهيمن على كل شيئ .

وهو مايجعلنا نقول : ان الديانة الطبيعية المستندة الى محض العقل والديانات الخرافية التي هي وليدة الخيالات والأوهام وكل ديانة تقوم هي أو جانب منها على عبادة التماثيل أو عبادة الحيوان أو عبادة الأشخاص ، أو النباتات أو الكواكب أو الجن أو الملائكة ..الخ .

هذه الديانات الطبيعية على ضوء بعض تلكم التعريفات تخرج عن كونها دينا ؛ وان كان القرآن قد سماها مجازا دينا ، كما فى قوله تعالى " ومن يبتغ غير الاسلام دينا " وكما فى قوله تعالى : " لكم دينكم ولى دين " .

ولقد رأينا كيف وصل الأمر ببعض الباحثين فى تحديد موضوع الدين الى تصويره بأرقى صورة عرفتها الفلسفة ، وأبعد صورة عن الخطور ببال العامة من المتدينين،أعنى تلك الفكرة التى عبر عنها " روبرت سبنسر "(١) بقوله :-

" ان العنصر الأصيل فى الدين هو الايمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية ، فهذه اللانهائية - ان صح أنها عقيدة كبار الفلاسفة والعلماء لا تنطبق بحال على عقيدة المشبهين ولا المجسمين ولا القائلين بأن ربهم فى السماء ، ونحن هنا لا نطلب تحديد معنى الدين الصحيح فحسب بل الدين من حيث هو فى مختلف صوره ومظاهره .

وبهذه التعريفات السابقة وغيرها قال كثيرون من السابقين والمعاصرين غير أن للدين عند علماء الاسلام تعريفات تغاير تلكم التعريفات وذلك لأنها تنظر الى الدين من خلال ماينبغى أن يكون

---

(١) راجع التعريف رقم ٥ .

عليه بناء على نورانيات التعاليم الالهية وقبسات العلوم النبوية أي أنه تعريف مصدره الوحي الالهى ، ومن ثم أطلق عليه بعض العلماء التعريف الشرعى للدين .

التعريف الشرعى للدين :-

للدين فى لسان الشرع عدة تعريفات متقاربة المعانى وان اختلفت الالفاظ منها :-

١ - أنه " وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات " .

٢ - أنه : " وضع الهى يحسن الله به الى البشر على لسان واحد منهم ، لا كسب له فيه ، ولا صنع ، ولا يصل اليه بتلقين أو تعليم بشرى ، وانما هو " وحى يوحى " من الله تعالى يلقيه الى عبد يصطفيه ويختاره " .

٣ - أنه " جملة التكاليف الشرعية ، والمعاملات المالية والسياسية والأخلاقية التى يوحيها الله - عز وجل - الى رسول من رسله ، الذين يختارهم لتبليغ رسالته وتوصل تعاليمه وهدايته . "

٤ - أنه " الخضوع لله تعالى والتذلل له والايمان بوحدانيته جل شأنه ، والسجود له تعالى ، واختصاصه جل شأنه بهذا السجود ، فلا يسجد الا له ، ولا يذبح الا له ، ولا يدعوا الا اياه " .

وعلى هذا فالدين فى منظور شرعى لا يطلق فى حقيقة الأمر الا على الدين الصحيح الصادر من قبل الله عزوجل وحيا الى رسله عبر الزمان ليبلغوه الى خلقه كى يتعبدهم به فيخلصون له العقيدة وينضبطون فى دنياهم بالشريعة ويتخلقون بآدابه وأخلاقه من أجل أن تحقق لهم سعادة الدارين معا ، دون أن يطغى جانب على جانب، مواقفه لهذا الوحى الالهى المقدس ، ولا يتحقق هذا المعنى الى فى دين يتسم كتابه بالقداسة ، وليس ثمة اذن الا الاسلام ، ولا تتحقق هذه القداسة الا بشروط هى :-

١ - أن يوحى بالنص الى نبى أو رسول .

٢ - أن يكتب هذا النص بيد النبى أو أتباعه حال حياته ، وأن يقرهم على ما كتبوا .

٣ - أن ينقل هذا المكتوب على السنة جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب .

٤ - أن يظل الاستواء فى التواتر قائم بحيث ينطبق على الأطراف والواسطة .

٥ - العلم بحال هؤلاء الناقلين ومدى التزامهم بأمانة النقل .

٦ - أن يعلم زمن الكتابة بالنسبة للمكتوب على سبيل القطع لا الظن؛

٧ - العلم بمصدر النص ولغته الأصلية وزمن الترجمة ، والمترجم

ومدى امكانية الترجمة .

٨ - تحقق استمرار وجود النص بلغته الأصلية التى دون بها النبى الموحى اليه به حتى يتسنى معرفة صحة الترجمة وصدق المترجم من عدمه فى أى زمان ومكان .

ونحن اذا ماأردنا تطبيق هذه الشروط فى هذا العصر على النصوص التى يدعى لها القداسة من أرباب كل دين بما فى ذلك اليهود والمسحيين والمسلمين ، تعذر اقامة الدليل على مطابقة هذه الشروط لأى كتاب الا للقرآن الكريم وحده دون غيره من سائر النصوص والكتب الأخرى .

ومن ثم نقول ان التعريف الشرعى للدين لا يتحقق الا فى الاسلام دين الله - عز وجل - الذى أرسل به النبيين والمرسلين جميعا من لدن آدم حتى محمد عليهم جميعا الصلاة والسلام ، كما هو فى صوت وحيه الأخير الى نبيه الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم .

ولذلك نقول بكل ثقة :-

ان القرآن الكريم هو الحكم الذى به يمكن للباحث فى علم مقارنة الأديان معرفة صحيح النصوص فى الكتب السابقة - التى يدعى قداستها - من أربابها - ان وجدت - من سقيمها ، أى معرفة مايصح نسبته الى الله تعالى وما لا يصح .

ولما كان التدين ظاهرة رافقت البشرية منذ نشأت الانسان الأول ،
فمن الملاحظ أن البشرية قد اختلفت - ولا تزال - تحمل في
تدينها العديد من مظاهر الاختلال في الدين بصرف النظر عن كونه
هو أيا من عدمه ، ولقد كان من أهم هذه المظاهر - ولا يزال -
نظرة البشرية الى معبودها ، وهذا هو موضوع دراستنا في هذا
البحث وهو " أسطورة تألية الأشخاص في الديانات القديمة
وموقف الاسلام منها " .

ولكن قبل أن أدخل في صلب هذه الدراسة أو ان أضع بين
يدى طالبى العلم والمعرفة عجالة عن المقصود بهذا الموضوع
وما هى جدوى دراسته ؟؟ .. وهو ما سأتناوله فيما يلى :-

(المبحث الأول : أسطورة تألية الأشخاص)

بادئ ذى بدئ ينبغى أن نقول ان الدين وجد منذ وجدت
البشرية فقد كان ميلاد عقلها مقترنا بميلاد عقيدتها والجميع
مقترن بميلادها .

وكان كلما سارت البشرية فى طريقها نحو النمو والتكامل صاحبتها
عقيدتها فى ذلك الطريق ، يهديها نور النبوات ، وتوجهها رسالات

السماء الى الحق والى الله .

واذا كانت تعترى الانسانية فترات ما تبدو فيها أنها طرحت رداء الدين أو خلعت عنها ثوب العقيدة الصحيحة ، أو عاشت فى فراغ عقدى أوجدب روحى ، فما ذاك الا نوبة طارئة أو لوثة لا تلبث بعدها الشأن تثوب الى حظيرة الايمان وتثوب الى ساحة الحق . وما تلك الا لحظة من لحظات التطاول الانسانى والانحراف الفلسفى سرعان ماتتبدد وتعود بعدها الى الفطرة التى فطر الله الناس عليها لأن الاعتراف بالربوبية فى أعماق البشر منذ الأزل .

وبين لحظات اليقظة والانتباه للحق والدين الصحيح يسقط مئات البشر فى براثن الفكر المنحرف بلا عودة وهؤلاء وأولئك قد خلفوا — ولا يزالون — خلفهم آلاف من البشر يحملون عقائدهم وأفكارهم ، ويصرون عليها ، ويعز عليهم التخلى عنها لكونها جزء من تراث الأجداد والآباء ، حتى كانت هذه — ولا تزال — هى المشكلة الرئيسية التى تواجه الدعوة الى الدين الحق فى كل زمان ومكان ، كما هو واضح على لسانهم فى مواجهة دعوة نبى من أنبياء الله تعالى "انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون" . وكما فى قولهم (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) .

وانه لمن العجب العجاب أن يلغى الانسان الذى كرمه اللـه ـ عز وجل ـ عقله وهو يرى الحق أبلج مؤيدا بالدلائل والآيات الظاهرة ، ثم يصر على أنكاره والكفر به مستكبرا ، صاما أذنيه كأن لا سمع له ولا ادراك ولا عقل ، بحجة أنه قد ورث الدين من آبائه وأجداده ، تماما كما ورث العادات ، والتقاليد واللغة ، والأرض والمسكن ، والمتاع ، والمال والفنون الخ .

ولقد نبه القرآن الكريم الى خطورة هذا الأمر ودعا الانسان الى التعقل والتفكر والتوقف عند الحقائق بالإذعان لها والقبول ، دون النظر الى كونه موافقا لميراث الآباء والأجداد العقدى من عدمه ، وأكد أن كل انسان مسئول عن نفسه فحسب كما فى قوله تعالى : (بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيرة) وكقوله تعالى : (كل نفس بما كسبت رهينة) . وكقوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) . وقوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . . . الخ الايات الدالة على ذلك وهى كثيرة .

وكما نبه القرآن الى خطورة التقليد الأعمى وبيان أثره على الأفراد والمجتمعات وأنه قد وقف حجر عثرة أمام خلاص الكثيرين من المفاسد العقدية وخصوصا فى مسألة الالوهية ، كذلك نبه

الرسول — صلى الله عليه وسلم — بوضوح على ذلك فقال :—
(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "
كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء "
ثم قرأ قوله تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل
لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وهكذا يبين الرسول — صلى الله عليه سلم أن الله قد خلق الانسان وفطره على الفطرة الصحيحة وقبول الدين الحق الذى أخذ عليه ميثاق الاقرار به والاستقرار عليه ، كما يؤكده قوله تعالى :
(واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين " وكما فى قوله تعالى فى حديثه القدسى :
(انى خلقت عبادى كلهم حنفاء ثم جاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) أخرجه مسلم فى صحيحه .

الدين والشياطين :— وهكذا يتضح لك أن الله عز وجل — قد فطر الناس جميعا منذ الأزل — الى الأبد — على سجيه واحدة من الدين " الحنيفية السمحاء " الذى هو الاسلام المطلق لله سبحانه وتعالى .

غير أن الشياطين أعداء الانسانية ، ومبتدعى الآثام والفواحش

يحزنهم أن يروا أحدا على الاستقامة مع الله - عز وجل - والتزام تعاليمه وأركان دينه ، فزينوا له كل رذيلة ، وأوقعوه فى جرائم المخالفة لله ورسله، ولم يكتف شياطين الجن بهذا بل اتخذوا لهم من الأناسى أعوانا وجنودا فصاروا صناعا لكل انحراف وحربا على كل حقيقة جاء بها الأنبياء " وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) .

ومن ثم فان أى مفسدة أو تحريف أو انحراف عن الدين الحق القائم على الوحدانية المطلقة لله تعالى وقبول تعاليم الوحى الالهى بتمامه كما جاء به المرسلين من الله تعالى الى خلقه ، هى من صنع شياطين الجن وأقرانهم من الانس .

وهؤلاء الشياطين من الانس منهم من رفض الوحى بحجة العقل ومنهم من رفض الوحى بحجة العادة ، ومنهم من رفض الوحى بحجة الضرورة ، ومنهم رفض الوحى بحجة العكوف على مواريث الآباء والأجداد ، ومنهم من رفض الوحى بحجة عدم صلاحية بشر للتلقى عن الله تعالى ، ومنهم من رفض الوحى استكبارا ، ومنهم من رفض الوحى استخفافا بمن جاء به ومنهم من لم يرفض الوحى جملة ، بل أخذ منه ماطاب له ورفض مالم يحلو له ، ومنهم من قبله اسما وادعاه ثم غيره وبدله وحرفه عن صورته التى أوحى بها الى النبى ، وغيرهم .

وهؤلاء وأقرانهم وأمثالهم لكل وجهة هو موليها ، يدعوا اليها ، ويدافع عنها .

وبين هؤلاء وأولئك يصرف كثير من الخلق عن الدين الحق المثبت بالوحي الصحيح ، فظهر من يعبد الأصنام والأحجار والأوثان ، كما ظهر من يعبد الشمس والقمر والنجوم ، كما ظهر من يعبد النار ، والهواء الماء وكذلك ظهر من يعبد الأشخاص أو الأشباح أو الأرواح ، أو الوحوش والحيوانات والأشجار ، وكذلك ظهر من يتصور الاله في جسد أو ابن جسد ، وقد ظهر لكل مجموعة كهانا وعرافين وأحبارا يقدمون القرابين لهذه الآلهة ، ويقيمون الطقوس وأركان عقيدتهم ، ومظاهر شريعتهم ، يستجلبون بها أموالهم ويخضعون رقابهم ، يحلون لهم ما يشاؤون ويحرمون عليهم مايشاؤون ، حسبما تملى عليهم عقولهم وأهواؤهم ويصير اتباعهم كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا " .. والحقيقة أنه ليس يهدى كما زعموا ، وانما الهدى كما قال الله تعالى : " قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين " .

اذ أنه لو ترك الناس وعقولهم في هذه المسائل فانهم — لا شك — يختلفون ويتفرقون فرقا عديدة ، ويتنازعون ، ولا ينتهي الأمر بهم الى الوحدة والانسجام ، ولا الى الهدوء

والطمأنينة ، ومن ثم يدعو الله عز وجل خلقه الى مجانبة كل هذه السبل والالتجاء الى سبيل واحد هو سبيله وحده فيقول :-

(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون)

(ان الذين فرقوا دينهم كانوا شيعا لست منهم فى شىء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) .

وقد يظن ظان اننا بهذا نرفض العقل وهذا غير صحيح ، لأننا انما نرفض العقول الفاسدة نحسب وأربابها ، نرفض العقل الذى يرفض الدين الحق ، أو يقحم نفسه فى مسائله لافساد صحيحها وانكار صوابها .

أما العقل الصحيح فان الوحى الصحيح يدفع الناس الى استعماله بالنظر والتدبر والتفكير والتأمل ، وهذا لا يكون قط الا اذا تجرد صاحب هذا العقل تجردا مطلقا من كل سلطان وأغواء عليه (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ، ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) .

ان الوحى الصحيح لا يستشير الانسان فى آية قضية من القضايا التى جاء بها ، ولا يحتكم اليه باعتباره حكما فى أى مبدأ من

مبادئه ، ولا يطلب منه مشورة في آية قاعدة من القواعد التي شرعها ، بل هذه الأوهام لا تدور تخلد المتدين قط - وان دارت على الدوام بخلد الشياطين - ذلك أن الوحي نزل على أنه رسالة السماء الى العالم حتى كانت الرسالة النهائية في صورته الأبدية ، - القرآن الكريم - تؤكد أنه قد نزل يبلغ أن هذه الرسالة صدق كلها ، حق جميعها ليس فيها مبدأ من المبادئ مشكوك فيه ، أو محل شك ، فلا حرف كان يحسن الا يوجد ، لأنها الحق الخالص ، من اتبعها فقد اهتدى ، ومن حاد عنها فقد انحرف ، ومن ابتغى الهدى في غيرها أضله الله ، ومن تركها من جبار قصمه الله ، لأنها صراطه المستقيم ، ونوره الوضاء .

مفهوم الدعوة الى التفكير في الدين :-

ان كل ماذكره الله عز وجل من التفكير والنظر والتدبر - بل فرضه على البشرية فرضا - انما أراد به الاعتبار والعظة - كأداة - للالتزام والعض على الحق ، والحرص عليه حرص الانسان على ايمانه ، وروحه - وأراد أن يقول : تفكروا لتروا أن ذلك هو الحق ، انظروا لتتأكدوا أن ذلك هو الخير لكم ، والحق الذي لا ريب فيه هدى للمتقين .

وان بدا لكم غير ذلك فالعيب في مقاييسكم وعقولكم ، في بصركم

وبصيرتكم اذا رأيتم غير ذلك فاعلموا أن الفساد في عقو لكم وتفكركم ، ومكوناتكم العلمية والعقدية .

اذا رأيتم غير ذلك فاعلموا أن فطرتكم قد فسدت لانحرافكم ، وأن قلوبكم ران عليها الاثم فضلت ، وأن عقولكم قد صدأت فأصبحت لاترى الحق حقا والخير خيرا ، وأصبحت من الضلال بحيث ترى الخير شرا ، والشر خيرا ، وأصبح أصحابها كالأنعام بل هم أضل " لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها " ..

ان الله عز وجل — لايلقى بوصايا لله ليبحثها الانسان ، ويبدى فيها رأيه بالاثبات أو النفى ، بالسلب أو بالايجاب ، كلا . بل كل من توهم ذلك فانه لا يقدر الله حق قدره — وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — وانما ألقاها — سبحانه — لتتبع ، ولتتبع في خضوع وسجود ، ولتتبع دون حرج يحيك في الصدر ، أو شك يجول في النفس ، لأن التسليم لله — تعالى — وحيا ودينا — عقيدة وشريعة ، ضرورة لا غنى للبشرية عن الاذعان بها ولها ، لصالح الانسان — نفسه . " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " ..

وهذه هي أمارة الإيمان الكامل بالله تعالى في كل فرد وأمة

لأن كل من يجد في نفسه حرجا من الاذعان لدين الله جملة أو لقضية من قضاياه أو شأن من شئونه .

وكل من لم يسلم تسليما كاملا مطلقا تاما ، كل من كان كذلك فانه يحسن به أن يرجع الى ايمانه ليصحح انحرافه ، ويقوم اعوجاجه ، ويتوب الى الله تعالى توبة نصوحا ، وهذه هي مهمة الأنبياء والمرسلين وحملة الدين الحق في كل زمان ومكان لأنهم مفتاح باب الله وقادة الخلق الى الحق . و " الحق أحق أن يتبع "

واذا كان للباطل دعاته من أعوان الشياطين وجنودهم فليس دعاة الحق وجنوده أعداء الشياطين ؟ ؟

ان على جنود الحق - الدعاة إلى الله أن يعرفوا واجباتهم نحو الله ودينه ، وأن يعلموا أن كل لحظة من التخاذل والنكوص مليئة بالآف الفرص السانحة لأعداء الحق أعداء الانسانية ، أعوان الشياطين أن ينشروا أديانهم ومذاهبهم ويقنعوا به السذج من البشر ، فهل يفيق الدعاة الى الله ؟ وهل يدركون مسئوليتهم ، ويوفوا عهدهم وينصروا دينهم ؟ ؟ . .

(ويستنبئونك أحق هو ؟ ؟ قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين " . وحتى يتضح لك أهمية الدين الحق ، وتحمس على نشره وتقف لأجله أضع بين يديك شيئا من صورة الأباطيل بشأن الله - عز وجل - في الديانات الأخرى ، وتصويرها اياه

في صورة لا تليق به جل جلاله .

مفهوم الديانات القديمة وعلاقتها ببعض العادات في العصر الحديث :-

وقبل أن أتحدث عن أسطورة الاله المتجسد في الديانات القديمة ينبغي أن أوضح لك - عزيزي الطالب - المقصود بالديانات القديمة.

وبادئ ذي بدء أنبه أنه ليس يعني بيان المقصود هنا بالديانات القديمة أنه لايوجد ماهو أقدم منها، وذلك لأن مقصودنا هنا تحديد ماهي الديانات القديمة في عرف علماء مقارنة الأديان؟ وإلا فالاسلام بمعناه العام هو أقدم دين للبشرية منذ فجر وجودها ، كما أنه آخر صورة للوحي الالهي بمعناه العرفي - عند من قصره من علماء الأديان على الرسالة الخاتمة التي جاء بها النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن ثم فاننا كمسلمين حين نطلق مسمى الديانات القديمة انما نطلق من باب اصطلاح علماء هذا الفن فحسب وليس من باب ما نعتقد ، أو نؤمن به ، وهو مصطلح نقله علماؤنا عن علماء الغرب المشتغلين بدراسة علم مقارنة الأديان .

وذلك لأن نقطة الخلاف بيننا وبينهم هي الاجابة على هذا السؤال :-

أيهما أسبق التوحيد أم التعدد ؟ وما هو مصدر الدين ؟ وما هي بواعثه ؟

أساس الخلاف : عقيدة الانسان الأول :-

ان مصدر الخلاف بين علماء الاسلام وبين علماء الغرب ومن شايعهم من علماء الشرق أن علماء الاسلام بناء على عقيدتهم في الوحي الالهي ومن خلال آيات القرآن الكريم يؤمنون ايمانا جازما لا يقبل المناقشة بأن آدم هو الانسان الأول الذي خلقه الله عز وجل وأبو البشر جميعا وأنه كان نبيا تلقى عن الله عز وجل مباشرة وبلا واسطة خطابه ، فأمره ونهاه وعلمه من كنوز علمه وبحار فضله فاجتباه وهداه ، وهذا يعني أن آدم - أبو البشر - كان موحدا .

فاذا ما ظهر بعد ذلك في البشر مخالفة للفطرة الصحيحة والدين الحق في أي جيل من أجيالها بالشرك والتعدد فهي لاشك مرحلة طارئة عليها ليست في أصل دينها ولا في صحيح معتقد أنبيائها ورسلها ، بل هي من وحي الشياطين أعداء الانسان في كل زمان ومكان .

وهذا هو وحي الله - عز وجل - للانسان الأول .

(فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى

قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) ..

وهذا البيان لآدم بعد قوله تعالى : (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) ..

أليس هذا هو وحي الله - عز وجل لآدم الانسان الأول باجماع البشرية كلها ؟

ومن ثم فاننا ننظر الى الدين القائم على - الوحي الالهي - الصحيح على أنه هو العلاقة الحية بين خالق مريد مدبر ومخلوقات واعية ، مدركة هي أهل للتكليف والتلقي عنه تدعوه يستجيب ، وتصلي اليه وتؤمن بجدوى صلاتها لاله واحد لا كثرة لخالق واحد لا كثرة ، بوحي مصدره وغايته واحدة لا كثرة .

اننا تعلمنا من قرآن ربنا - عز وجل أن الألوهية الحقة - لله تعالى - وحده وأنه " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) .. وأنه " لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا " . " فاعلم أنه لا اله الا الله " .. فحجج القرآن على الوحدانية قاطعة ، وأنها في الوحي الأخير كما هي في الوحي الأول ، أي أنها

لانسان عصر الحضارة وما بعد الحضارة وما قبل عصر الحضارة ، كما كانت للانسان الأول، وستظل هي العقيدة الحقة لمن أرادها حقا الى يوم القيامة .

وهذا لأن الكمال المطلق لا يكون كمالين مطلقين ، والأبد لا يكون أبدين ولأن الوجودين اللذين يتفقان في البداية والنهاية وفي تقدير كل شيء وتصريف كل عمل ، ولا يختلفان في وصف من الأوصاف ولا في لازمة من لوازم هذه الأوصاف هما وجود واحد لاوجودان ، وليس بينهما من فاصل بالذات عن الذات ، ولا مميزا ما يجعلهما ذا اثنين اثنين ، وأما ما يدعى لها القداسة من آلهة البشر المزعومة ، فهي إن أطاعت الله - تعالى - ولم تخرج عن قضائه وقدره - وهي لاشك كذلك - " ان كل من في السماوات والأرض الا آت الرحمن عبدا " فحكمها حكم المخلوقات الطائعة وان كانت لا تطيعه فهي تنازعه وتبتغي " الى ذي العرش سبيلا " أي تقر بكماله المطلق رغما عنها - فلا يستقيم على ذلك أمر وجودها كما حدث لفرعون حين أصر على صلفه وغروره وكبريائه وكفره وقال لقومه " أنا ربكم الأعلى " " فأخذه الله نكال الآخرة والأولى " ..

فالأصل اذن الوحدانية وأما التعدد فظاهرة تطرأ وتقاوم فتختفي

أو تضمحل ثم تطرأ وتقاوم فتختفي أو تضمحل ، وهكذا حتى خلفت وراءها رواسب بشرية في كل جيل وأمة ولا يزال لها بقية وأعوان جعلوها أديانا ذات طقوس وشعائر وقرابين حتى في أزهى عصور الحضارة والتقدم العلمي ، بل في ذلك تطور وسائل الدعوة الى الدين الصحيح .

وعلى هذا نقول ان المسلم ينظر الى الانسان والكون والدين ، وعلاقة كل منهم بغيره من خلال الوحي الصحيح الصادر عن الله تعالى — الموجد لهم جميعا وحده لا شريك له . وهذا هو الضابط عندنا .

* أما عند علماء الغرب :—

فالدين متطور والتدين ظاهرة . وهذا يعني أنه خاضع للانسان يتصوره ويطوره كيفما يشاء ، ويضع ضوابطه ، ويصيغ قوانينه كما يحلو له ، ومن ثم فهو محكوم ببيئته ومشاهده ، ومنافعه ومضاره وظروفه الخاصة والعامة ، وأثره وتأثره ، وحتى لا أكون متقولا أذكر . هنا طرفا من مقولات هؤلاء العلماء في هذا الصدد .

يقول أحدهم :— والواضح أن الانسان البدائي كان يفكر بطريقة تشبه كثيرا طريقة تفكير الأطفال أعني أنه كان يفكر في سلسلة

من الخيالات فكان يستدعى الى مخيلته الصور العقلية للأشياء أو كانت الصور العقلية (الأخيلة) تقدم نفسها لعقله ، كما انه يتصرف حسبما تمليه عليه الانفعالات التى تثيرها تلك الأخيلة وذلك هو ما يفعله فى هذه الأيام طفل أو شخص غير متعلم ومن الواضح أن التفكير المنظم انما هو تطور متأخر نسبيا فى الخبرة الانسانية وهو لم يلعب دورا كبيرا فى الحياة الانسانية الا فى غضون الثلاثة آلاف سنة الأخيرة . بل ان أولئك الذين يضبطون أفكارهم حقا فى هذه الأيام نفسها ، وينظمونها فعلا ليسوا الا أقلية ضئيلة من الناس ولا يزال معظم الناس يتأثرون بالخيال والعاطفة ، ومن المحتمل أن أقدم ما ظهر من الجماعات البشرية ابان المراحل الأولى لقصة الانسان الحق ، كانت تتكون من مجموعات عائلية صغيرة .

ثم يقول :- " وكما أن قطعان ورعائل الثدييات الأولى نشأت عن عائلات ظلت بعضها مع بعض ثم تكاثرت ، فمن المحتمل أيضا أن القبائل الأولى قد فعلت مثل ذلك ، ولكن قبل حدوث ذلك كان الأمر يقتضى أن تقيد بصورة ما أنانيات الفرد البدائية وكان لا بد من بسط فكرتى " الخوف من الأب واحترام الأم " حتى

تتغلغلا فى حياة الكبار ، وكان لابد من تخفيف الغيرة الطبيعية عند الرجل الكهل ، من ذكر ان الجماعة الصغار حين يكبرون ، وكانت الأم من الناحية الأخرى هى الناصح الطبيعى والحامى الفطرى للصغار ، وقد تولدت الحياة الاجتماعية الانسانية عن طريق التفاعل بين الغريزة الفجة التى تدفع الصغار الى الانفصال ، وتكوين أزواج من أنفسهم عندما يشبون ، وبين مايتعرضون له من أخطار العزلة ومضارها " .

وآخر :- " يريد منا أن نعتقد بأن احترام الرجل العجوز والخوف منه ، والانفعال العاطفى الذى يحسه المتوحش البدائى ازاء العجائز المسنات اللواتى يتولين حمايته كانت مصدر شطر عظيم من بدايات الديانة البدائية ، ومن فكرة الأرباب والربات ؛ وقد كان مما ارتبط بهذا الاحترام للشخصيات القوية أو القادرة ، على المساعدة شعور بالرهبة والتوقير لهذه الشخصيات بعد وفاتها يرجع لعودتها الى الظهور فى الأحلام ، لذا كان من اليسير الاعتقاد بأنها لم تكن فيه حقا ، وأن كل مافى الأمر أنها انتقلت وهميا الى منتأى تستمتع فيه بقوة عظيمة أعظم مما كان لها " .

ثم يقول :- ومن المعلوم أن أحلام الطفل وتخيلاته ومخاوفه أكثر اشراقا وواقعية من أحلام الراشد العصرى ، ولما كان الرجل البدائى

دائما الا طفلا فى تفكيره أو يكاد كما أنه كان أيضا أدنى الـــــى الحيوانات ، وكان يتصور أن لهـــا دوافع واستجابات مثل التى له ، وكان يستطيع أن يتخيل أن هناك حيوانات معاونة وأخرى معادية ، وحيوانات آلهـــة ، ولا يحتاج الانسان منا الا أن يكون فى صغـــره — طفلا واسع الخيال ليدرك من جديد كم كانت الصخـــور الغريبــــــة الشكـــل أو الكتل الخشبيـــة أو الأشجار الشاذة الصورة وما أشبههـــا تبدو لأعين رجال العصر الحجرى القديم مهمة وذات مغزى خطيــر أو منذرة بالشـــرور ، أو مظهرة للمودة ، وكيف كانت الأحلام والأوهام تخلق من الحكايات والأساطيـــر عن مثل تلك الأشياء ما كان قـــد أصبح مقبولا ومصدقا عند البعض عندما يروى ".

وخلاصة هذا الرأى :— أن الانسان البدائـى يشبـــه الطفل فى تفكيره وسلوكه وأن هـــذا التفكير المتناسب مع الطفولة الانسانية كــان مصدر فكرة الأرباب والربات التى بدأت بأحاسيس طفولية نحو الكبار مـــن الأجداد والجدات الذين اذا ماتوا لم يكن من السهل انتزاع هـــذه الأحاسيس نحوهم ، خاصة وأن الأوهام والاحلام والخيال كل ذلك ساعد على الاعتقاد ببقائهـــم فى الذاكرة ولو رمزيا ، فبدأ الاعتقاد بالأربـــاب والربات ويتقد يسهـــم وحبهـــم والعكوف على تقليدهـــم والتقرب بالقرابين

اليهم على هذا النحو ليطور بعد ذلك .

وهكذا تصور الغربيون أن عبادة الآباء والأجداد والحيوانات ومظاهر الطبيعة كانت بداية الاعتقاد وأن التوحيد كان مرحلة تطورت من خلالها العقيدة .

وقد نشأ هذا التصور الغربي عن الاعتقاد ايمانا منهم بأن الانسان قد نشأ على هذه الأرض شأنه شأن سائر الحيوانات فلم تعن به قوة علوية ، ولم تكفله أية عناية إلهية ، بل ألقى في الحياة وأصبح همه لا يكيف حياته بنفسه ، ويضع معبوداته بحواسه وعواطفه وعقله أحيانا .

وكأن العقائد في نظر هذا الاتجاه كانت تتطور تبعا لسنة التقدم والارتقاء ، بدأت بعدد من الأحلام والخيالات وتمثلت في الأساطير والسحر حتى صعدت الى قمة مجدها بعدد من الأخلاق والفكر ، وتمثلت في توحيد الاله وتنزيهه .

وكان الكهان والسحرة أصحاب الرأى والأمر والنهى والسلطان ثم نازعهم العلم والعلماء ، وكان صراع طويل خيل لكثير من الناس أن الدائرة ستدور على العقائد كلها حتى تسقط راية الدين ، وتذهب هيبته من النفوس ، وينطلق العالم بلا خوف

ولا قيود من أى نوع الا بالعلم ومن أجل العلم ، هكذا يقولون،وقد اتضح هذا الاتجاه تماما فى الفكر الماركسى وأعلن بلا مواربة أن الدين صنعة الانسان على ذلك النحو المتطور ، وقد آن له أن ينتهى بالعلم التجريبى .

مظاهر تطور الدين فى الفكر الغربى :-

يقرر علماء مقارنة الأديان فى الغرب أن الأمم البدائية فى اعتقادها بالآلهة والأرباب مرت بثلاثة أطوار هى :-

١ - دور التعدد اللانهائى

٢ - دور التمييز والترجيح .

٣ - دور التوحيد .

فلسفة الأدوار الثلاثة :-

فى دور التعدد كانت القبائل الأولى تتخذ لها أربابا تعد بالعشرات وقد تتجاوز العشرات الى المئات ، ويوشك فى هذا الدور أن يكون لكل أسرة كبيرة رب تعبده ، أو تعويذه تنوب عن الرب فى الحضور وتقبل الصلوات والقرابين .

وفى الدور الثانى وهو دور التمييز والترجيح تبقى الأرباب على كثرتها ويأخذ رب منها البروز والرجحان والتقدم على سائرها

اما لأنه رب القبيلة الكبرى التى تدين لها القبائل الأخرى بالزعامة وتعتمد عليها فى شئون الدفاع والمعاش واما لأنه يحقق لعُبّاده جميعا مطلبا أعظم وألزم من سائر المطالب التى حققتها الأرباب المختلفة .

وفى الدور الثالث : تتوحد الأمة فتجتمع الى عبادة واحدة تؤلف بينها مع قبول تعدد الأرباب فى كل اقليم من الاقاليم المتفرقة ،

ويحدث فى هذا الدور أن تفرض الأمة عبادتها على غيرها ، كما تفرض عليها سيادة تاجها وصاحب عرشها .

والرأى الراجح : عند علماء مقارنة الأديان : أن الاعتقاد بالثنائية يأتى أحيانا كثيرة بعد اعتقاد التوحيد على الصورة التى أجملناها وهى التوحيد الناقص ـ أعنى التوحيد بمفهومهم هم والذى هو توحيد آلهة القبيلة فى إله واحد كبير ـ وليس التوحيد بمفهومه عندنا نحن فى الاسلام والذى نعرفه بالوحدانية والأحدية التى ترفض الشريك والند والنظير والمثيل والمشابه والعدد ـ فى الذات والصفات والأوصاف .

وذلك لأن التوحيد الذى يقولون عنه أو يقصدوه ليس توحيدا خالصا من أى من المرفوضات السابقة ، وانما تأذن بوجود الأرباب معها كما تأذن بوجود تنازع فى هذه الصفة ـ التوحيد ـ بين اله دولة واله دولة أخرى .

وهم يعللون ظهور الثنائية بعد التوحيد بأن الانسان يترقى في هذا الطور فيحاول تفسير الشرفي الوجود بنسبته الى اله غير اله الخير ولا يكون هذا من قبيل النكسة في عقيدته ، لأنه لا يزال يسبغ تعدد الأرباب ويسبغ التمايز والترجيح بينها والتفاوت بين درجاتها وطبائعها .

وكما ظهر ثنائية الخير والشر بنسبتهما الى إلٓهين متمازين كذلك ظهرت ثنائية الظلمة والنور وغيرهما .. الخ .

وواضح بداهة سذاجة هذا الاعتقاد من جهة وكذا سذاجة الفلسفة الغربية في تفسيرها للدين وعلاقة الانسان به ، وحظ الألوهية منه ، ونظرة الانسان لها قديما ، كما يتضح لك أيضا أن هذه التفسيرات قد بنيت على الظن والتخمين والتخيل لا على الحقيقة العلمية أو المنهج العلمي في التعرف على المغيبات الغابرة من مصادرها الصحيحة ولو أنهم اتبعوا المنهج العلمي في البحث والتفسير لعلموا أن هذه الأخلاط العقدية التي وقعت فيها ثلة من الغابرين ، ولا يزال يعكف عليها ثلة من المتحضرين ماهي الا انحرافات عن الدين الحق الذى صاحب البشرية منذ باكورة فجرها مع إنسانها الأول ولازمتها ولا تزال تلازمها حتى يومنا هذا ، وستظل الى أن تقوم الساعة غير أن هذا الانحراف قد ولد العديد من الأرباب والآلهة على النحو التالي :-

أرباب كثيرة ولدها انحراف البدائيين :-

لم تكن أرباب الأمم الماضية في جميع أطوارها نوعا واحدا أو مثلا لفكرة واحدة ولكنها أنواع شتى، نفصلها فيما يلي :-

١ - أرباب الأسرة :- وهم الأسلاف الغابرون ، يعبدهم أبناؤهم وأحفادهم، ويحيون ذكراهم بالحفلات والمواسم المشهودة، تماما كما يحيي الناس ذكرى موتاهم في هذا الزمان بالليالي الساهرة وفي الأعياد بزيارتهم بالأقوات والألطاف ولكن مع هذا الفارق البين وهو أن الرجل الهمجي لم يمنعه مانع أن يجعل الذكرى عبادة وأن يجعل هدايا القبر في حكم الضحايا والقرابين .

٢ - أرباب الانسانية :- وهي الأرباب التي كانت تقترن بأسماء الأبطال والقادة المحبوبين والموهوبين كما في تمجيدنا لذكرى الرؤساء والشهداء وغيرهم اليوم مع الفارق أيضا في النظرة اليهم بين الانسان القديم والانسان الحديث اذ كان الجاهلي يعتقد فيهم القدرة على الخوارق وصناعة المعجزات .

٣ - أرباب الطبيعة : وهم المتمثلون في مشاهد الطبيعة وقواها كالرعد والبرق والمطر والنور والظلام والينابيع والأنهار والبحار والشمس والقمر والربيع وقد خصصوا لها مواسم وأعياد ولا تزال لها بقية الى اليوم كما في احتفالات المصريين مثلا بعيد الربيع وكما

فى بهجة الأعرابى فى الصحراء بنزول المطـر .. الخ .

٤ ـ أرباب البيت : كرب البئر ورب الجرن ورب الطعام ورب الموقد .

.... الخ ..

٥ ـ أرباب النسل والخصب وهى على الأغلب الأعم فى صورة الاناث ويسمونها بالأمهات الخالدات ، وقد ترقت الى واهبات الخلود بعد هبة الحياة مع الزمن وصورتها اليوم ما قد أطلقوا عليه "عيد الأم" وقد خصوه بمظاهر خاصة ، وأمورا هى أبعد ماتكون عن الدين الحق .

٦ ـ أرباب المعانى : كرب العشق ، ورب الجمال ، ورب الحرب ، ورب الغضب ، ورب الصيد ، ورب الاحسان ، ورب العدل ، ورب السلام ، وهذه الأرباب كثيرا ماتجد لها نظائر فى كتب اليهود المقدسة .

٧ ـ أرباب الخلق : وهذه ينسبون اليها خلق السماوات والأرض والانسان والطير ، والحيوان والأشجار والنباتات وغيرها ..

٨ ـ آلهة عليا وهى آلهة الخير والخلق التى تدين عبادها بشرائع الخير ، وتحاسبهم عليها ، وتجمع المثل العليا للمحاسن والأخلاق ، وتضمن السعادة الأبدية للارواح فى عالم البقاء .

... ...

يقول الأستاذ العقاد :- وهذه الطبقة من طبقات العبادة هي أرقى مابلغته الانسانية في أطوارها التوالية واستعدت بعدة للايمان بإله واحد لجميع الأكوان والمخلوقات بغير استثناء أمة من الناس .

ويبدو أنه - رحمه الله - وهو مسلم لا يشك في اسلامه وعقله - قد اختلط عليه الأمر فلم يفرق بين الانسان الأول والانسان البدائي وذلك لأن الانسان الأول - وكما أوضحنا من قبل - كان نبيا تلقى الوحي من الله - عز وجل - محملا بالوحدانية الخالصة لله تعالى في كل شيء ، أما الانسان البدائي فهو انسان همجي انحرف عن الوحي الصحيح والفطرة المستقيمة ، جاءته الشياطين فاجتالته عن الدين الحق .

نظائر وأشباه للبدائية في بعض الأوساط الاسلامية ؟ :-

ومن عجب - والقرآن بين أيدينا - أن نرى في عصرنا الحاضر نظائر لما كان قد وقع فيه الانسان البدائي همجي العقيدة ، فنرى ونسمع بنعرات الجاهليين تنادي بالقومية وتمجيد الآباء ، والعكوف على دراسة تاريخهم - ليس لتوقي أخطاءهم ، وانما لنتدرسهم خطاهم ونسير على دربهم كالمناداة بمصر الفرعونية لمحو

هويتها الاسلامية ، وذلك ببذل الأموال لتشييد الآثار وترميمها كذقن أبي الهول والأهرامات والمعابد الأسوانية والمسلات .... وغيرها .

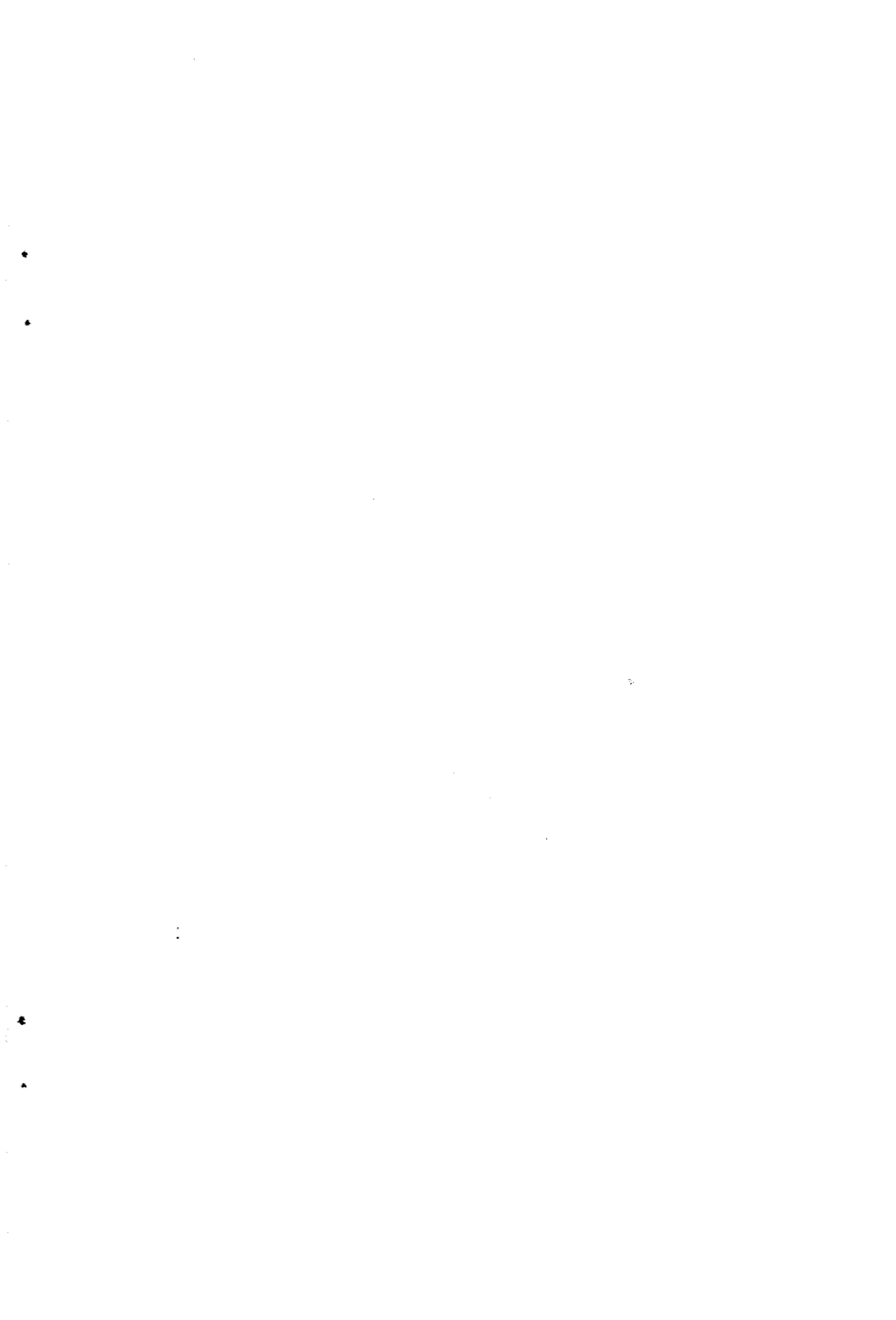
والى جانب ذلك نرى وسائل الاعلام تهلل وتمجد فى القائمين على هذا الأمر كما نراها تهلل وتهتم غاية الاهتمام بأعياد الربيع والمصائف ، وأعياد الأم ، وذكرى الزعماء والشهداء والأبطال ، وأعياد الطفولة والأسرة ، والرياضة وناهيك عن اذاعة المباريات الكروية فى أوقات العصر والمغرب والعشاء خصوصا فى وقت مايسمونه المونديال وما أدراك ما المونديال ؟؟

والى جانب ذلك نرى العادات السيئة التى توارثتها الأجيال من تخصيص يوم العيدين الفطر والأضحى بالذهاب الى المقابر فى الصباح حيث يسبقهم النسوة والأطفال ويأخذن معهن الأطعمة والحلوى والمياه ويضعونها فوق القبور ، وبدلا من أن تشملهم بهجة العيد الشرعى يقضون يومهم فى مواساة أسر الموتى عبر العام مجددين الأحزان والمآسى مدعين أن ذلك من قبيل الواجب ، مخالفين بذلك تعاليم الاسلام منفذين عادات الجاهلية وميراث البدائيين . فأين رجالات الدعوة ؟ وهل يستسلمون لهذا الركام البدائى والميراث الجاهلى ويصمتون ؟ أم يبلغون كلمة الله ورسوله ويصمدون ؟؟ ..

الفصل الثاني

الالوهية في فكر وعقيدة الانسان

البدائي



الألوهية في الديانات البدائية :-

يحلو لي وأنا أكتب هذه السطور لشباب الدعوة الاسلامية أن أذكر تقسيما لمراحل هذه الدراسة التي نحن بصددها يتضح لك من خلالها النظرة الى الالوهية في كل مرحلة منها فأقول :-

ينقسم التاريخ العام في نظرة البشر للألوهية الى :-

١ - الألوهية في عقيدة الانسان الأول . وقد أوضحتها بالأدلة من قبل .

٢ - الألوهية في عقيدة وفكر الانسان البدائي .

٣ - الألوهية في عقيدة وفكر الانسان القديم .

٤ - الألوهية في العقيدة الاسلامية .

واذا كنت فيما سبق قد أوضحت أن الانسان الأول عاش ومات على توحيد الله - عز وجل - مبينا أن الوحدانية هي الأصل الذي دان الله عليها الخليقة وصبغ فطرتها ، وأن ما عداه خروج عن الدين الصحيح والوحي الذي أوحاه الله إلى أنبيائه الكرام وأمرهم أن يبلغوه الى خلقه في كل أمة وجيل متعبدا اياهم به ، فان الكلام هنا سوف ينصب على المراحل الثلاثة الباقية :-

... ...

أولا : الألوهية في عقيدة الإنسان البدائي :-

يسطع علينا القرآن الكريم بنور هديه ، واشراقات فجره ، يقبس من علم غيبه الذى أوحى الله - عز وجل - به الى نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - عن لمحات غابرة من العقيدة فى ألوهيته تعالى فيقص علينا بعد آدم - عليه السلام - خبر ابنيه مبينا على لسان كليهما ايمانه بوحدانية الله تعالى ، والاقرار بثوابه وعقابه ، رغم وقوع الاعتداء من أحدهما على الآخر بقتله ، واحساسه بالذنب والندم عليه فيقول تعالى :-

(واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين ، انى أريد أن تبوء بإثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتى اعجزت أن اكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين) . ثم يصمت القرآن عن بيان جوانب العقيدة لدى الانسان البدائى - وهو ما يؤكد أن شيئا ما خطراً على العقيدة فى الله - جل جلاله - لم يقع -

حتى يقص علينا خبر نوح - عليه السلام - مع قومه ، وفى قوم نوح كانت أولى مظاهر الشرك وتعدد الآلهة ، ويؤكد القرآن الكريم أن نوحا - عليه السلام - ما جاء أو ما أرسله الله - عز وجل - إلا لمقاومة ظاهرة التعدد والشرك بالله التى تمثلت فى عبادة قومه للأصنام وعكوفهم عليها ، وكانت أول الظواهر البشرية فى التاريخ لعبادة غير الله والإشراك به تعالى .

<u>فلسفة عبادة الأصنام لدى قوم نوح كما يصورها القرآن الكريم :</u>...

لقد عرض القرآن الكريم عقيدة قوم نوح - عليه السلام - فى جملة من كلامه عليه السلام يصور لنا من خلالها فلسفة القوم فى عبادتهم للأصنام ودفاعهم عنها وعكوفهم على عبادتها وإصرارهم على مواجهته - عليه السلام - بعدم مفارقتها فيقول الله عز وجل :-

(قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) .

وهذا الأنين الباكى والأسلوب الشاكى لم يصدر من نوح - عليه السلام - إلا بعد أن عانى الكثير والكثير من عنت القوم حيال تبليغه ونصحه وإنذاره ودعوته الى عبادة الله وحده وتقواه وطاعته فى كل ما جاءهم به بلاغا عن الله - تبارك وتعالى ، وإرشادهم وتذكيرهم

ينعم الله - عز وجل - عليهم في قوله :-

(مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا)

غير أنهم لم ينفعلوا لهذه النعم التي أمداها الله - عز وجل - لهم ، ولم ينفعلوا لتذكير نوح - عليه السلام - اياهم بها وقالوا - أي طائفة المنتفعين من عبادة القوم لها من الصناع والسدنة والكهان - حرصا على منفعتهم الشخصية في السلطان ، والسيطرة والعلو ، لا تصغوا لهذا الرجل " ان هو الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين " فلا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ، لاتتركوا عبادة هذه المعبودات ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا ، وقد خصوها بالذكر من جملة أصنامهم رغم اندراجها تحت جملة قولهم " آلهتكم " لأسباب ذكرها بعض أرباب التأويل أذكرها فيما يلي :-

١ - لأنها كانت أكبر أصنامهم ومعبوداتهم الباطلة وأعظمها عندهم ، وان كانت متفاوتة في العظم فيما بينها بزعمهم

كما يوحى اليه اعادة قولهم " لا " مع بعض وتركهم لها مع آخر، وقيل أفرد يعوق ونسرا عن النفي لكثرة تكرار " لا " وعدم اللبس .

٢ ـ لأنها أسماء لرجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان اليهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك الصالحون ودرس العلم عبدت هذه النصب .

٣ ـ وقال الألوسي : " أخرج أبو الشيخ في العظمة عن محمد بن كعب القرظي أنه قال : " كان لآدم ـ عليه السلام ـ خمسة بنين : ود وسواع ... الخ فكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان فقال حزنتم على صاحبكم هذا قالوا نعم ، قال هل لكم أن أصور لكم مثله في قبلتكم اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا نكره أن نجعل في قبلتنا شيئا نصلي عليه ، قال فأجعله في مؤخرة المسجد ، قالوا نعم فصوره لهم حتى مات خمستهم فصور صورهم في مؤخرة المسجد فنقصت الأشياء ، حتى تركوا عبادة الله تعالى وعبدوا هؤلاء فبعث الله اليهم

نوحا - عليه السلام - فدعاهم الى عبادة الله - عز وجل - وحده لا شريك له وترك عبادة هذه النصب فقال القوم ماقالوا .

ولعل مقصد الراوى فى كون هؤلاء الخمسة أبناء آدم عليه السلام - أنهم أحفاده لكون الحفيد ينسب الى الجد ابنا مجازا .

وهو مايؤكد للباحث أن التعلق بالسابقين فى صورهم بعد العكوف على ذكرهم والتعلق بهم لا للتمثل والاقتداء بهم خطر كبير على عقيدة التوحيد عبر الأجيال . لأن الصورة ترتسم فى ذهن الأجيال على غير مايجب أن تكون عليه تماما كما ترى من بعض السذج فى تعلقهم بمقامات الأولياء والصالحين من عباد الله والركوض فى أعتابهم والطواف حول قبورهم ولذلك يحذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الأمور .

فيقول فى حديث صحيح : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم والصالحين مساجد)

وفى حديث آخر صحيح ينهى أمته عن هذه الفعال به بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى فيقول - صلى الله عليه وسلم " لا تتخذوا

قبرى وثنا يعبد من بعدى) .

وهذا دور الدعاة أن يبصروا الأمة فى دينها توقيا للوقوع فى أمثال هذه المخاطر التى تُرى ويُسمع بها، وذلك فى لين ورفق ورحمة مع اعطاء كل ذى حق حقه دون ما افراط ولا تفريط .

وقد قيل إن "أول ماعبدت الأصنام أن آدم - عليه السلام - لما مات ، جعله بنو "شيث" فى مغارة فى الجبل الذى اهبط عليه، وكان بنو "شيث" يأتون جسد آدم فى المغارة ، فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل بن آدم ، يابنى قابيل ان لبنى "شيث" دورا يدورون حوله ويعظمونه ، وليس لكم شىء فنحت لهم صنما فكان أول من عمل الأصنام " .

وقيل "كان" ود "و" سواع "و" يغوث" و" يعوق "و" نسرا " كانوا قوما صالحين ماتوا فى شهر واحد فجزع عليهم القوم فقال رجل من بنى قابيل "ياقوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة تماثيل على صورهم غير أنى لا أقدر أن أجعل فيهم أرواحا ؟ فقالوا نعم . فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل يأتى أباه وعمه فيعظمه ويسعى حوله ، حتى ذهب ذلك القرن ، وجاء قرن آخر، فعظموهم أشد من تعظيم الأول لهم ، ثم جاء من بعدهم القرن

الثالث فقالوا : ماعظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله ، فعبدوهم وعظم أمرهم واشتد كفرهم ، فبعث الله اليهم ادريس عليه السلام فدعاهم الى الله فكذبوه وآذوه ، فرفعه الله مكانا عليا ، ولم يزل أمرهم يشتد حتى مجيء نوح عليه السلام فبعثه الله اليهم نبيا ، فدعاهم الى الله فعصوه وكذبوه .. الخ .

وهكذا رأيت كيف ظهرت الأصنام على ساحة الحياة ، ورأيت فلسفة القوم في عكوفهم عليها ، كما بان لنا أن من أسباب رسوخها أمور هي بعينها مايمكن أن نراه في كل زمان ومكان منها :-

١ - العادة والالف .

٢ - حب الآباء والأجداد وتقليدهم .

٣ - غياب العلم وتسلط الجهل .

٤ - السكوت على الجهل والبدع وعدم التصدي لها منذ اللحظة الأولى لظهورها حتى تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل ويصيروا سندا للدفاع عنها رغم توافد الرسل عليهم .

وهو مايجعلنا نضع نصب أعيننا حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى يقول فيه " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه

وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ".

٥ ـ أن الأمر في بدايته قد يبدوا هينا وله مبرراته ثم سرعان مايستخدم لغير ماوضع له ، ومن ثم فان أي ظاهرة ينبغي أن تدرس جيدا قبل انتشارها وذلك لنتأكد من مدى نفعها لعقيدة الانسان حسب شريعة الله ووحيه الذي جاء به الأنبياء عليهم السلام ، أو مدى خطورتها على العقيدة بصرف النظر عن تعلقه بحسن النية أو خبثها ، وذلك لأن فلسفة صانع التماثيل أول ماصنعها ماكان يقصد أن يعبدها من حوله من البشر وانما كان يقصد أن يخلد ذكرى الصالحين في أذهان القوم ، فما لبث أن كانت النتيجة عبادتها . تماما كما كان هدف مخترع القنبلة الذرية فما كانت غايته أن تستخدم في تدمير العالم أو تهديده بقدر ماكانت غايته خدمة العلم فما لبث الساسة أن أساءوا استخدامها واستغلوها لغير ماصنعت له .

فالأصنام والتماثيل كالقنبلة الذرية في عصوفها بالعقيدة الالهية الصحيحة التي فطر الله عليها الانسان .

ألم يقل المعارضون للانبياء في فلسفة عبادتهم للأصنام " لنعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى " ؟؟!

... ...

الألوهية في عقيدة وفكر الانسان البدائي ببلاد مابين النهرين :-

نبذة تاريخية :- تعد هذه هي الحلقة الثالثة في الفكر البشرى وعقيدة الانسان ببلاد مابين النهرين والتي تعرف الآن بالعراق وأطراف من تركيا وأريحا بفلسطين والأردن وهي المنطقة التي كلف ابراهيم عليه السلام - أبو الأنبياء - بالدعوة الى الله فيها ومقاومة أوجه الانحراف العقدى خصوصا مايتعلق منها بجانب الألوهية ، وكانت هذه المنطقة موطنا للسومريين والبابليين والاشوريين والكنعانيين .

ولقد كشف علماء الاثار عن بقايا أقدم المستوطنات القروية " جيرمو " في العراق و " كاتل هيوك " في تركيا ، و " أريحا " بفلسطين " والتي كانت موجودة بالفعل في الألف السابع أو السادس قبل الميلاد ، وفي الألف الرابع تعلمت مجموعات كبيرة من الناس في جنوب بلاد مابين النهرين " العراق الحديث " التحكم في مياه نهرى دجلة والفرات ،

وري السهول المحيطة بها ، وهذا التحكم في البيئة مكن المدن من الاستقرار على ضفاف الأنهار والقنوات الرئيسية .

ومنذ عصر ماقبل التاريخ ، وهؤلاء الناس على وعي بالقوى الروحية التي يعتمد عليها وجودهم وتشهد على هذا بقايا المعابد والهياكل وأماكن التضحية وتقديم القرابين ، والتماثيل الرمزية الصغيرة ، وتماثيل الآلهة وعادات الدفن، ومع ظهور الكتابة التي وجدت أولاً في " أورك " أو " آرك " حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م ظهر مصدر جديد من الشواهد الذي زودتنا بما يقرب من نصف مليون وثيقة مكتوبة على الطين ، وكذلك بألواح الكتابة التي استخدمت العلامات المسمارية مما جعل من الممكن تطورهم الفكري حتى وصول الغزاة من الفرس والإغريق إلى هذه المناطق .

وقد كانت هذه الكتابات عبارة عن أساطير حملت أفكار البدائيين وثقافاتهم وعقيدتهم في الآلهة وطقوس عباداتهم وأحوالهم ، وتاريخهم .

يقول أحد البحاثة الأوربيين عن الأسطورة :-

" الاسطورة تقوم في الثقافة البدائية بوظيفة لاغناء عنها ، فهي تعبر عن العقيدة وتذكيها وتقننها وتصون الأخلاق وتدعمها وتبرهن على كفاءة الطقوس ، وتضم قواعد عملية لهداية الانسان ".

والأسطورة نتاج فكري وثقافي تصور فكر وثقافة الانسان البدائي ، فتروى تاريخا مقدسا في نظر هذا الانسان، أو تسرد حدثا وقع في عصور معينة في القدم ، أو تُحكى على أنها وحي كائنات خارقة ، فتصور كيف برزت هذه الكائنات الى الوجود وكيف أصبحت حقيقة واقعة في نظر أصحاب الأسطورة ، وقد تكون هذه الكائنات الخارقة آلهة أو أشباه آلهة تفسر الأسطورة أعمالها وقدراتها مع ظواهر الطبيعة والكون والانسان . ومن ثم أصبحت الأسطورة عند الانسان البدائي عقيدة لها طقوسها وقدسيتها كما اعتبر كثير من العلماء أن الأسطورة أصل للمعتقدات الدينية، لأن العقائد قد تلبست بالأساطير في جميع القبائل البدائية،

والتى من بينها انسان بلاد مابين النهرين .

فلسفة نشأة الكون عند السومريين :-

وقد كان لهذا الانسان آلهته التى طور السومريون نظرتهم اليها خلال الألف الثالثة قبل الميلاد ، ما كان له أثرها ، لا على معاصريهم من السومريين فحسب ، بل على خلفائهم أيضا من البابليين والحيثيين والآشوريين والعيلاميين ، وسكان فلسطين من الشعوب المجاورة الذين اعتنقوا معتقداتهم الأساسية ، وكان تصورهم الرئيسى فى جوهره هو أن الكون يتسم بالنظام ، وأن كل مايمكن أن يدركه فهو انعكاس لتجلى العقل الالهى ولنشاط خارق للطبيعة .

والعناصر الرئيسية للكون عند السومريين هى السماء "آن" ومعناه "الأعالى وهو رمز للاله بصفة عامة عندهم ، وهو اسم يسبق كل أسماء الآلهة عند السومريين ،"وأنه"هو الاله الرئيسى فى مجمع الآلهة السومرى .

والأرض " كى " وتبدو الإلهـة الأخيرة أشبه بقوس الغلاف الجوى " ليل " أو " الروح ، و" كى " عندهم أو " الأرض " اسم لزوجة الاله " آن " ويظهر الزوجان معا فى النصوص البابلية القديمة ، ولقد كان " آن " و " كى " ملتصقين فى البدء ثم تزوجا ، وأنجبا ابنهما " آنليل " وهو اله الجو والعواصف وسيد النسيم عند السومريين .

وقد كانوا يعتقدون أن البحر الذى كان فى البدء هو السبب الأول الذى انبثق عنه الكون المخلوق ، وتشكلت منه الشمس والقمر والكواكب والنجوم ، وكل يتحرك فى طريقه الالهى المرسوم ، وما يحدث فى السماء يحدث على الأرض ، ثم ظهرت النباتات والحيوانات والحياة البشرية .

أما الكائنات العلوية والموجودات غير المرئية التى تتحكم فى الكون الكبير وتتجسد فيه ، فقد كانت توصف بصفات بشرية ، من ذلك أنها كالرجال والنساء لها انفعالاتها الطاغية وجوانب

ضعفها ، كما أنها تأكل وتشرب ، وتتزوج وتنجب أطفالا ، وتقتني خدما ومنازل ، لكنها على خلاف البشر خالدة ، فالآلهة عندما خلقت البشر احتفظت لهم بالموت ، وأبقت الحياة في يدها .

فلسفة الألوهية عند السومرين :-

الالوهية عند السومريين تحمل العديد من التناقضات والتداخلات في الاختصاصات والآلهة عند السومريين كُثُر ، غير أن هذه التناقضات الظاهرة في تعدد الآلهة لم تكن تثير قلقا عند رجال الدين السومريين ، وعندما حل عصر " فاره " - وهو موقع أثري في جنوب الرافدين ، والاسم السومري القديم له هو " شوروباك " - وكانت عاصمة الدولة السومرية في ذلك الوقت حوالي سنة (٢٥٠٠ ق ٠م) عندما حل هذا العصر وضع السومريون مئات الأسماء المقدسة ، وصنفوا كلا منها على أنه إله ، والاله في السومرية هو " دينجر " وفي السامية " ايل " وكتبوا هذه الأسماء مع تصديرها بعلامة لأحد النجوم ، ولكل إله أو إلهة خاصية

مميزة ، ومناط مسئولية محددة ، رغم أن كثيرا منها آلهة ثانوية ،
لكنهم يجمعونها فى أسرة تلتف حول إله قوى بوصفها زوجات
او ابناء ، أو موظفين أو خدما أو أعوانا لكنهم فى الأمر شركاء .

أكبر الالهة عند السومريين :-

يسمى أكبر الالهة عند السومريين " آن " ويعنون به اله
السماء ويطلقون عليه الاله الرئيس أو الحاكم الأعلى فى مجمع
الالهة السومرى وكان فى البداية مهتما بشئون الحكم ، ويرمز له
بغطاء للرأس ذى قرون علامة على الوهيته وكان معبده الرئيسى
فى " أورك "، ولكن عندما هزمت مدينة " نيبور " المجاورة لمدينة
" أورك " اصبح إلهها " آنليل " وأصبح معبده الرئيسى فى " اكور "
موضع تقدير وتمجيد كبير و " آنليل " هو إله الاحسان والجد
الأول الذى يعزى اليه خلق الشمس والقمر والنباتات والأدوات الضرورية
التى يسيطر الانسان بواسطتها على الأرض .

وتذكر بعض نصوص الأساطير القديمة أن " آنليل هو ابن " آن-و "
رغم أنه فى نصوص أخرى من نسل أول زوجين إلهيين ، وهما " آنكــى "
و " نينكى " أى " سيد الأرض وسيدتها " .

ورغم أن " آنليل " يرتبط بمدينة " نيبور " فإنه يعد الالــه
الأسمى لكل سومر وهو يمسك بالألواح التى سطرت فيها أقدار
البشر جميعا ، ولقد ظلت مدينة " نيبور " مدينة مقدســة
ومركز الحج .

وفى الأساطير المنقوشة بالخط المسمارى على الألواح التى
عثر عليها المنقبون عند مدينة الموصل ونقلوها الى المتحــف
البريطانى بلندن وجدت فيها قصة الخليقة ، وان قد
تعاون المترجمون على ترجمتها فهذه خلاصتها :-

(" كان الأفق الأعلى لا يسمى بعد السماء ، وكان الأفق الأدنى
لا يسمى بعد بالأرض ، ولما تفتح الهاوية ذراعيها . . " .

" وكان الماء يغمرها جميعا ، وليس من انسان ولا حيوان يجوس

خلالها " ، " وولد يومئذ أقدم الأرباب لخم ولا خامو " .

" ثم ولد آشور وكيشور " .

ويلى هذا بعد كلام مفقود أو مطموس فى الألواح المكسورة ـ كلام عن الخلق فى اليوم الرابع حيث صنع منازل لأعظم الأرباب وصنع بروج الفلك على صور الحيوان وقسم السنة إلى أربعة فصول ، وإلى اثنى عشر شهرا فى كل فصل منها ثلاثة شهور ، وجعل فيها أيام المواسم والأعياد .

" وضع للسيارات ـ أى الكواكب ـ منازل تشرق فيها وتغرب ، ولا يصدم بعضها بعضا فى الطريق ووضعها مع منازل بعل وحى ، وأقام لها مراصد على جوانبها ، واعلاما على اليمين واليسار ، وأقام فى الوسط نيرين ، أقام القمر يسيطر على الليل ويسير فيه الى مطلع الفجر ، وقدس فى كل شهر أياما ليبرز فى غرة الشهر قرنين ويثير أجواء السماء " .

ثم يلى هذا كلام ناقص عن اليوم السادس يتلى بعد اتمامه على الوجه الآتى : " واجتمعت الأرباب ، وخلقت الوحوش والأنعام

والدواب ، ومنها جماعة بيتي " أنا أشور السماء " وكانت فيه بهجة ، والاله المشرف جعل فيها اثنين " .

وفي المتحف البريطاني لوح عليه صورة شجرة جلس الى جانبها رجل وامرأة ووراء المرأة حية ، وقد بسطا يديهما الى ثمرتين بأسفل الأغصان ، وفحوى قصة خلق الانسان - حسبما توحي هذه الصورة - أن الاله "مردوخ" فاتح الاله "آيان" رب الماء العذب ، فأفضى اليه بأنه سيخلق الانسان من دمه وعظمه ، وأمر حاشيته أن تضرب عنقه ليسيل دمه ، فنجم منه الانسان ، ولم يمت الاله "مردوخ" لأن الاله لا يموت ، ولكن الانسان قضى عليه بالموت بعد ذلك لأنه طمح بآماله الى خلود كخلود الأرباب .

كما يوجد بالمتحف أيضا "قصة الطوفان البابلية" وتوءلف من اثنى عشر فصلا حسب البروج . وليس مجال ذكرها هنا ، ورغم أنه لم يذكر بها اسم نوح - عليه السلام - أو ما يشير اليه ، الا أنها في الترجمة العربية قد برز فيها اسم الله - عز وجل - بما

هو مذكور به فى القرآن الكريم علما على الذات القدسية العلية:
" الله " وأنه الفاعل القادر القاهر المدبر بيده الأمر وهو على
كل شئ قدير .

وقد أرجع المنقبون نسخ هذه القصة إلى عصر قديم
أقدم من تلك الألواح التى وجدت بها ، وهذه الألواح لا يقل
تاريخها عن ألفين وخمسمائة عام قبل الميلاد ، والمصدر
الذى نقلت عنه يرجع إلى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد وهو
عصر قريب من بعثة نبى الله وخليله ابراهيم عليه السلام ودعوته
مما يجعلنا نقول لعل ما ورد بهذه القصة البابلية عن الطوفان
من آثار النبوة ، وان كانت لم تخل من الحبكة الأسطورية
والحكايات الشعبية التى تخلط كثيرا بين الواقعية والخيال .

ورغم وجود اسم الجلالة الدالة على الذات العلية " الله "
فى ألواح قصة الطوفان البابلية ، الا أنه لم يرد فى جملة آلهة
البابليين والآشوريين ، وان أشاروا إلى ان للآلهة كبير

تخضع اليه جميعها سواء أنه السماء ، وهذه قائمة بأسماء الآلهة ومهامها عند السومريين والبابليين .

١ - آن .و : اله السماء ، وهو رئيس الآلهة عند السومريين والحاكم الأسمى وإله الآلهة .

٢ - كى : إلهة الأرض المؤنثة ، إلهة الخصب والنماء .

٣ - آنليل : إله الهواء والعواصف ، ومعناه " سيد النسيم " ودرجته في المرتبة الثانية بعد " آنو " اله السماء ، ورئيس مجمع الآلهة ، لأنه قام - حسب معتقدهم - بتنظيم الكون واخراجه من التجاهل وأعطاه أهمية كبرى في مجمع الآلهة ، فحاز لنفسه ماكان " لآنو " من هيبة ، وينسب إليه أنه قام بفصل السماء عن الأرض بعد أن كانا ملتصقين ، وكما أنه إله عند السوريين ، هو أيضا إله عند البابليين في مجمع الآلهة البابلي ، غير أنه عندهم في درجة أدنى مما هو عليه عند السومريين ، اذ يقع مرتبة ثانوية ، وتقول بعض النصوص إنه ابن الإله " آنو " وتقول نصوص أخرى انه ابن أول زوجين من فصيلة الآلهة الأرضية " أنكى " و " نينكى " سيد

الأرض وسيدتها . "

٤ — آنكي : وهو سيد الأرض ويقابله في اللغة الآكادية " أيا " المعروف — عندهم — بإله الحكم والتعويذات ، وسيد محيطات المياه العذبة في جوف الأرض ، وبذلك يكون الاله " آنكي " هو اله الخير والعذوبة ، ومانح الخصب ، ومفجر الينابيع ، وهو الذي يدير شئون القوى الالهية ، وتسمى " مـه " وبذلك يدبر شئون الكون ويحدد نظامه .

٥ — مردوخ : يذكر بعض علماء الترجمة أن اسمه الأصلي " مار-دوكو " ومعناه " ابن الاله " دوكو " وقيل انه ابن الاله " آنكي " وهو اله مدينة بابل ثم صعد الى قمة مجمع الآلهة البابلية لأسباب سياسية بحتة فبعد أن كان الها هامشيا ، أصبح الاله الرئيسي للشعب البابلي في عهد حمورابي ، اذ كان قد استولى على مكانة " آنليل " ووظيفته داخل بابل في أواسط الألف الثانية وقد كانوا يرمزون في عباداتهم الى كوكب المريخ معتقدين أنه مرضه ومثاله

على الأرض . خصوصا في شمالي العراق ، عندما كانت مدينة " بابل " هي مركز الدولة (أو السلالة الملكية) القوية التي سيطرت على معظم بلاد ما بين النهرين ، وهو - عندهم - رب الحرب لاحمرار لونه كلون الدماء .

٦ - إيتانا : وهي آلهة الحب والرحمة والحنان والخصوبة والنماء - عندهم - وقد اختارت أن تهبط درجات الموت السبع في العالم السفلي ، فكان في نزولها غياب لمظاهر الخصوبة في التربة ، وغرس الأشجار ، وموت النبات ، وفي صعودها بعد أن قهرت الموت - حسب عقيدتهم - انتعاش لقوى الخصوبة الممثلة فيها وانبثاق الخضرة والحياة في مملكة النباتات .

ويلقبونها " سيدة السماء " وتسمى عند البابليين " عشتار " وهي تحمل نفس صفاتها عند الآشوريين ، وإن اختلفا في حكاية تغلبها على الموت ، حيث انها عند البابليين هبطت الى العالم السفلي لتحرير زوجها " تموز " الأمير هناك وذلك عكس " ايتانا "

عند السومريين ، التى قهرت الموت وتخلصت منه بأن أرسلت زوجها " دوموزى " وهو قريب من الاسم " تموز " للموت مكانها بعد أن صعدت من ذلك العالم ، وذلك كشرط أساسى لتحريرها ، و" عشتار " التى عند السومريين " ايتانا " اسم لكوكب " الزهرة " عند البابليين ويلقبونها ربة الحب لتألقها وزهوها وتقلب أحوالها ، و" ايتانا " عند السومريين هى الصورة المثالية " لعشتار " أو " الزهرة " على الأرض حسب عقيدتهم ، وتسمى فى " كتاب اليهود المقدس " عشتاروت " وينسب كذبا إلى نبى الله سليمان " عليه السلام ـ أنه بنى لها معبدا ، وأنه عبدها استجابة لبعض نسائه[1] .

٧ ـ نابو : هو ابن الاله " مردوخ " رمز " المريخ " وممثله على الأرض ، وقد كانت مهمة " نابو " رعاية العلم ، والذى يقع فى مقابلة فى العصر الحديث مصطلح " وزير التعليم " ـ ؟ وقعت تحت سيطرته سواء فى " بابل " أو فى المدينة المجاورة لها التى يوجد فيها معبده وتسمى " بورسيبا " وقد عبده السومريون على أنه اله الحكم ، اله

(١) يراجع " ملوك الأول ١١ : ١ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٣٣ " و" ملوك الثانى : ٢٣ : ١١ .

الكتابة ، وحامى حمى الأدباء والمدافع عنهم وبهذا اكتسب صفة الحكمة ، ويرمز إليه - عادة - بالقلم ، وقد أطلق عليه في العهد القديم - الكتاب المقدس لليهود - اسم " نبو " .

٨ - حدد : وينسبونه الى " مردوخ " أو " المريخ " وهو اله المطر والسحاب والصواعق ، وكل مظاهر الخصب ويختلط أحيانا بـ " حدد " وتحت هذا الاسم داخل مجمع الآلهة البابلى " بعل " ومعناه - عندهم - السيد أو الكبير ، ويطلق فى العربية على " الرجل الزوج " رب البيت وسيده وكبير الأسرة وفى القرآن الكريم : " اتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين " ، وهم بصفة عامة - عندهم - إله الطقس ، ويكتب أحيانا " أدد " .

وقد حاول البعض توحيد هذه الآلهة العديدة عند السومريين والبابليين ، فى " حدد " هذا السابق ، وقالوا إنه اله " مردوخ " وإله " سن " و " ايتانا " ، " نابو " ، " أنكس " وغيرها ،

من الالهة التى تربو على الخمسين رئيسا .

٩ - سن : القمر ويسميه البابليون " نانار " وهو عندهم ابن " آنليل " و " نينليل " وهما إلهين - عندهم ، وأخو " عشتار " الزهرة و " أونو - شمش " أى الشمس ، والجميع عندهم آلهة ، و " نانار " أو " سن " هو صورة هذا الاله " القمر " ومثاله . والقائم بأحكامه على الأرض - حسب عقيدتهم .

و " نانار " هذا الاسم العلم الذى عرف به فى بلاد مابين النهرين ، وقد كانوا يتوجهون اليه بالعبادة ، وكان له مركز فى مدينة " أور " ، بلد خليل الله ابراهيم عليه السلام ، ومركزه فى شمال العراق ، وقد عمت عبادته بلاد الساميين " أو العرب الأوائل " من وادى - النهرين الى سيناء ، ومن ثم أسموه " سن " أو " سين " ومنهما أخذ اسم : " سيناء " ولعله فى الأصل مشتق من مادة " السَّنَى ، والسناء " .

وقد كانت لهم صلوات يتوجهون بها الى القمر حسب طقوس معينة ،

من هذه الصلوات أنهم كانوا يقولون :-

" يارب " ، يامن قدرته الوهابة تمتد مابين السماء ، والأرض ، ومن يجلب الغوث والمواسم ويسهر على الأحياء ومن يعظم في السماء عالية وصيته ، ومن يعظم في الأرض عاليه وصيته ومن تسبح له الأرواح السماوية ، والأرواح الأرضية ، مشيئتك أنت في السماء مشرقة ونسألك أن تكشف لنا مشيئتك على الأرض ، فإن مشيئتك تطيل الحياة ، وتبسط لها الأرجاء ، وتشمل كل كائن شمولا عجيبا ، وأنت تجرى العدل على قضاء الانسان وما من أحد ينفذ الى سرها ، أو يقيس عليها ، أنت رب الأرباب مالك من شبيه ولا نظير .. الخ " .

١٠ - شماس : ويقصدون بها الشمس ، وهى وان لم تكن عبادتها عامة بينهم كعبادة القمر " سن " أو " نانار " إلا أنها كانت تعبد فى " لارسا " بنفس الدرجة والمكانة التى كان يعبد بها " نانار " فى " أور " بالشمال .

وقد كان ذلك حين غلبت مدينة " لارسا " على اقليم الجنوب ، اذ أصبح " شماس " اله الشمس خليقا أن يبسط سلطانه على المدن الأخرى التى دخلت فى طاعته ، واصبحت سطوة بابل مرادفة لسطوة السومريين ، ولم يكن فى السماء قرار ولا برهان ، إلا بمقدار ما فى الأرض من البشر ، كلا ولا كانت شريعة للاخلاق أرفع من شريعتهم .

وقد كان لأهل الجنوب حجة إلى الشمال لاعتقادهم أنه مركز القطب الثابت ، ولكن التنازع بين دول الشمال ودول الجنوب ، حال دون الاتفاق على عبادته ، ويظهر أن الصائبين أو السابحين ، الذين ظلوا يعبدونه فى الجنوب بقيت نحلتهم فى مكانها على خلاف مع من حولها .

واضحة هى كثرة الآلهة التى وجدت فى بلاد ما بين النهرين — رغم أن ما تركته اكثر مما ذكرته هنا — وأن محاولات الجمع والتوحيد التى قام بها البعض قد فشلت فشلا ذريعا وما ذلك إلا لأن كل فريق قد تعصب لمعبوده ، وان قبل معه غيره ، إلا أنه تعصب له سيدا

ورئيسا على هذه الالهة ، دون ما سند من وحى صحيح أو فكر مستقيم أو عاصم من عقل سليم ، وليس الا اتباع الهوى والظن والأساطير .

كما يتضح لك أن الكواكب عبدت على أنها آلهة وأن الملوك قد عبدوا فى نفس الوقت على أنهم صورة هذه الكواكب وممثليها أو نوابها على الأرض ، وأنها قد أضفت عليهم صفة القداسة وأن كل ملك وملكة وأنما لهما كان يرمز إليهم بكوكب أو نجم ، وكذا كان يصنع له تمثال على هيئته لتخلد فى أذهان القوم وأجيالهم صورته .

تعقيب :- وهكذا بان لك أن القوم كانوا فى عقيدتهم على ثلاثة

مذاهب :-

احداها :- عبدة الكواكب (وذلك عندما صيروا مفهوم الوسيط

فى الصابئة الأولى - وقد كان يتمتع هذا الوسيط بصفة التقديس، والوسيلة - الى غاية ومعبود ، فأدى ذلك الى دراسة الفلك وتكوين علم له . فالذين فزعوا الى الهياكل التى هى السيارات السبع درسوا بيوتها ومنازلها ومطالعها ومغاربها واتصالاتها على أشكال الموافقة والمخالفة ، مرتبة على طبائعها وتقسيم الأيام والليالى والساعات عليها ، ثم تقدير الصور والأشخاص والأقاليم والأمصار عليها .

وقد استطاعوا من خلال رصدهم لها ، أن يعينوا اليوم " زحل " أو غيره مثلا " ليوم السبت " وراعوا فيه ساعته الأولى ، وتختموا بخاتمه ، والمعمول على صورته وهيئته وصنعته ، ولبسوا لباسا خاصا به ، وتبخروا ببخور خاص به ، وتوجهوا نحوه بدعوات خصوه بها وسألوه حاجتهم مما ترتب عليه أن تسربت الوثنية الى الدين من هذا الجانب وكذا

أخلاط من الشرك ، وان كان قد نتج عن هذا الاتجاه نحو الكواكب والاهتمام بها تقديم دراسات دقيقة طيبة كونت فيما بعد ما عرف باسم علم الفلك ، ثم كانت النهاية أنهم خلطوا الطلسمات المذكورة في كتب السحر والكهانة والتنجيم ، والتعزيم والخواتيم بعلم الفلك .

يقول ابن حجر " وكانت علومهم أحكام النجوم ، ومع ذلك كان السحرة منهم يستعملون سائر وجوه السحر ، وينسبونها الى فعل الكواكب ، لئلا يبحث عنها وينكشف تمويههم " على العامة ، وهؤلاء هم أصحاب الهياكل ، أي عباد الكواكب القائلون بألوهيتها .

ثانيها :- عبدة الأشخاص ، ويسميهم الباحثون " صابئة الأشخاص وهؤلاء قالوا " انه لابد من متوسط يتوسل به ، واذا كان من الروحانيات فاننا لا نستطيع رؤيته ، ولا مخاطبته ، واذا أخذنا هياكلها وسائط فان الهياكل قد ترى في وقت ، ولا ترى في آخر لأن لها أفولا وطلوعا . لذلك كان لابد لنا من صور أشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب أعيننا نعكف عليها فاتخذوا أصناما " أشخاصا " على مثال الهياكل السبعة ، صوروها بصورتها وراعوا في ذلك الزمان والمكان ، فاذا ما أرادوا حاجة ، سألوها حاجتهم .

ثالثها :- عبدة الملوك : ففى متحف أشمول " الذى أهداه الى جامعة اكسفورد بانجلترا سنة ١٦٧٧ أسماء الأسرا التى حكمت " بابل " من بعد الطوفان الى أيام " سراجون " " وقد جاء فى الألواح التى حفظت أسماءها أن الأسرة الأولى تولى منها الملك ثلاثة وعشرون ملكا وكانت مدة حكمهم جميعا أربعة وعشرون ألف سنة وخمسمائة وعشر سنوات .

وكتاب الألواح مجمعون على أن الملوك الأوائل الذين حكموا بعد الطوفان قد هبطوا من السماء إلى الأرض لحكمها بعد أن طهرها الله وعاقبها على فسادها ، فهم أرباب سماويون تجب عبادتهم على الرعايا .

واشهر من عبد من هؤلاء الملوك فى مدينة " أور " " أورنامو " صاحب الصرح الشاهق الذى أقيم لعبادته على أنه صورة القمر ، وله تمثال نقل الى متحف بنسلفانيا بأمريكا .

وقد خلفه ابنه " دنقى " أو " شلقى " على حسب اختلاف المنقبين فى أساليب ترتيب الحروف والنطق بها ، وهو أحد العواهل السومريين الذين فرضوا سلطانهم على جميع البلاد توحيدا للدولة ..

ولـ... "دنق" هو الوحيد الذى فرض عبادته على البلاد ... كان هذا ... شأن جميع الملوك الذين أخضعوها لسلطان ... لم يفلح فى إخضاعها فتمتع بالعبادة من رعاياه حيث ... السلطان ... فى بعض الأقاليم أو تمتع بالكهانة الأولى ... الدين.

ويبدو أن ... الأمر ... قد استشرى وبلغ أشده فى هذه البلاد ... عبادة ... وغيرهم من ألوان الآلهة الأخرى التى ذكر فيها ... لدعوة نبى الله ابراهيم عليه السلام ، وتاريخها ... من هذه الثلاثية العبادية فى تلكم المنطقة التى نحن بصدد الحديث عنها على النحو التالى :-

... الوحى الالهى من هذه الأرباب وعبادها :-

... سياق القرآن الكريم محاورة من الأدب الراقى تكشف عن ... النبيلة التى تمتع بها نبى الله ابراهيم - عليه السلام - ... مع هؤلاء القوم عباد الروحانيات "الملائكة" فى ما اعتقدوه ... من أن الكواكب صورتها ، وأن الأصنام التى صنعوها ... تماثيلها ، وكذا من عبادتهم للملوك ، تعتبر هذه المحاورة تأسيسا لعلم الكلام الدينى ، وبيانا للموازنة بين علم الكلام الدينى أو المنطق الدينى القائم على الوحى الإلهى ، وبين

علم الكلام الوثني القائم على الفكر والفلسفة والهوى فحسب .

ونلاحظ من تحاور ابراهيم - عليه السلام - مع قومه أن علم الكلام الوثني قد نشأ بجانب علم التوحيد ، وابراهيم نبي الله اذ يهدم العبادات الطبيعية والعقيدة الوثنية ، والتي انتشرت ابان بعثته ، وهي التي ألّهت العالم الطبيعي كان بعضها من النيرات مثل الكواكب والبعض الآخر له شكله الأدنى من حيث الاشراك - أيضا - مثل عبادة الأصنام ، وتعرض لها نبي الله ابراهيم ، وهو اذ يهدم هذه المظاهر يبين لهم في النهاية أن الآلهة التي تحتويها وثنيتهم ليست إلا أسماء كاذبة أطلقت على بعض أجزاء من العالم المادي المحسوس .

وقد عمد عليه السلام الى ابطالها بعدة صور . أذكرها من القرآن الكريم على النحو التالي :-

١ من خلال دعوته لأبيه ومحاجته اياه :-

اذ يقول الله عز وجل في هذا الشأن " واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ياأبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا . ياأبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان

كان للرحمن عصيا ، ياأبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا .... الخ " .

٢ — من خلال دعوته لأبيه وقومه ومحاجته إياهم فى ابطال عبادة الأجرام السماوية .. اذ يقول الله عز وجل :—

" واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ... الخ " .

٣ — من خلال ابطاله العملى لعبادة الأصنام باثبات عجزها بعد أن أبطل عبادة الكواكب بأفولها . اذ يقول الله عز وجل :—

" ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا

بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ، وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ،قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ،قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ، قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ... الخ " .

٤ — من خلال اثبات تجردها من صفات صلاحيات الالوهية فى الذات . وذلك فى قوله تعالى :—

" واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ، قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لى إلا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت

فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين " ..

٥ - من خلال بيانه لحقيقة أمرها وذلك فى قوله تعالى :-

" اذ قال ابراهيم لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لاتنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا إليه يزفون ، قال أتعبدون ماتنحتون ؟؟ ... الخ " .

٦ - وبعد أن أبطل عبادة الكواكب تماثيل الروحانيات " الملائكة" فى اعتقاد القوم وأبطل كذلك عبادة الأوثان والتماثيل التى بنيت هياكل لتنوب عن الكواكب والروحانيات فى الأرض ، بالحجة القاطعة والبراهين الساطعة ، عمد الى ابطال عبادة الملوك الذين اعتقد القوم أنهم وفدوا اليهم من قبل السماء فقدسوهم وأطاعوهم طاعة عمياء ، وذلك فى محاورته للملك الذى حاجه فى ربه وجمهور المفسرين على أن اسمه " النمرود بن كنعان " واليك ما قصه الله علينا من خبرهما فى هذا الصدد . فيقول عز وجل :-

" ألم تر الى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال

ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت . قال ابراهيم فان الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر . . " .

ومن الواضح بعد ذكر هذه النصوص القرآنية أن نبى الله ابراهيم عليه السلام قد قدم سعياته ريجيا مصحوبا بنقد حقيقى لهذه الألوان المتعددة المذاهب من العبادة ولا يخفى ماقد حمله أسلوبه من أدب الحوار التى سلكه ليس مع أبيه وحده ولكن مع القوم جميعا ومع الملك أيضا ، وهو منهج ينبغى على الداعية أن يتخلق به فى دعوته للخصوم .

فهو لا ينقد فى غير هدم ، وانما ينقد نقدا يجعل الخصم يقف ويستسلم وان لم يُسْلِم لأن نقده حمل معنى الوصف والتدرج وصولا إلى غاية منشودة .

* *

...

أسطورة تألية الأشخاص في الديانة المصرية القديمة :-

تقديم :-
تعد مصر في تاريخ الحضارات من أقدم البلدان التى ظهرت على أرضها الحضارات بمفهومها الواسع في شتى ميادين الحياة عدا الدين في مفهومه الصحيح وذلك ربما لأنها كانت في معزل عن الوحى الالهى نظرا لظروفها السياسية حتى وان وجد الوحى الإلهى مع نبى أو رسول من الرسل .

ولقد احتفظ علم الآثار من بقايا مصر القديمة بالشيء الكثير الذى يرتبط بعقيدة المصريين القدماء أكثر من ارتباطه بالحياة الدنيوية ، وهذه المادة الدينية هى في الأعم الأغلب جنائزية " أى تختص بأمور الموتى " في طابعها ، فاذا ماورد الى أذهاننا - قبل أى شيء آخر - المقابر والأهرامات والموميات ، ونحن نفكر في هذه الحضارة فلابد أن نتذكر أن هناك تأكيدا ليس في محله قد نتج بالضرورة عن طبيعة المادة المتاحة لنا ، ويبدو أن الهرم كان هو أفضل وسيلة لتحقيق هذا الدوام ، وأول هذه الأهرامات إنشاء وتشييدا هو هرم الملك " زوسر " من الأسرة الثالثة وقد صممه " أمنحوتب " مهندسه وهو أول بناء ضخم يشيد في التاريخ ، وبعد ذلك صارت الأهرامات هى مدافن الملوك " الآلهة " عندهم أما عامة الشعب

فقد كانوا يدفنون موتاهم من رعايا الشعب فى مدافن من الطوب الطينى
أو الحجرى على غرار ماهو موجود حتى الآن فى " سقارة " أسفل
الهرم الموجود بها .

وقد فلسف البعض فكرة انشاء هذه الأهرامات المدرجة من خلال
التصور الرئيسى الكامن خلف الهرم المدرج وهو الصعود الى السماء ،
أو الى الاله الأعلى أو الى الشمس ، واقد عدل تصميم الأهرامات
فى الأسرة الرابعة لصالح هذا المفهوم الفلسفى فى هيكل الهرم نفسه ،
ويدلل على ذلك أهرامات خوفوا وخفرع ، ومنقرع فى الجيزة .

الأهرامات وألوان العبادات فى مصر القديمة :-

ارتبط هرم خوفو الأكبر فى الأذهان كغيره من الأهرامات
بأنه معبد للموتى ذو القداسة فى عقيدة قدماء المصريين حيث تقام
داخل الهرم عبادة الملك الاله المقدس الميت ، وهناك ممر
يؤدى من هذا المعبد الى حافة الصحراء وهنا يقع " معبد الوادى "
الذى يستقبل جثمان الملك ويقام له الطقوس الأسطورية الواجبة قبل
أن ينتقل عبر الممر الى الهرم .

ومن ثم فالهرم فى جوهره قبر هائل يستهدف حفظ جثمان
الملك الميت من الناحيتين المادية والروحية على السواء ، ولذلك نرى

حول الأهرامات قبور حاشية الملك من النبلاء على هيئة مصاطب .

كما ظهرت في مصر العليا مع نهاية الدولة القديمة أنواع جديدة من المقابر شيدت على أساس قابلية الحفر في المنحدرات الصخرية الصلبة ، وينحت هيكل في الصخرة العليا يؤدي الى ممر رئيسي - يؤدي بدوره الى صخرة الدفن ، ولقد استخدمت سمات متعددة من هذا التخطيط في دفن كثير من الفراعنة في الدولة الحديثة ، بما فيهم " توت عنخ آمون " في وادي الملوك بالقرب من طيبة ، وأخذ هذه القبور المنحوتة في الصخر هو قبر "سيتي الأول " الذى يمتد داخل الذي تمتد داخل الصخرة حوالى (٧٠٠ قدم) ، أى ما يساوي تقريبا (٢١٠ مترا) .

وقد نقشت على جدران حجراته نصوص (كتاب ذلك الموجود في العالم السفلي) وهي نصوص تصف الرحلة الليلية لإله الشمس خلال مروره بالعالم السفلي حتى يظهر مع الفجر في العالم العلوي ، وكان المصريون يعتقدون أن الملك الميت يصحب اله الشمس في رحلته كيما يشرق معه فجر جديد ، ومن الواضح أن ذلك ضمان لبقائه حيا بعد الموت،وكان اعتقادهم في علاقة الملك الميت باله الشمس،

أن الشمس كانت تمثل عندهم الاله الأكبر العلوى ومن ثم فان من يصحبها من الملوك يكون هو الإله الأكبر السفلى ، وكانت عبادة الشمس في هليوبوليس لا تزال هي ملحمة البناء إذ كان فيها حجر قديم مخروطي الشكل يسمى " بن بن " هو الذى تمت محاكاته فيما يبدو وان لم تكن المحاكاة دقيقة في بناء الأهرامات .

الالوهية في المصرية القديمة :-

تعددت نظرة المصريين القدماء في ما يختص بالاله كما تعددت الآلهة وتعددت اختصاصتها ومن ثم تم تقسيمها على النحو التالي :-

١ آلهة الخلق :- وهى الآلهة التى تحوز الصدارة في مجمع الآلهة في مصر القديمة وهى الآلهة المسئولة عن الخلق، وليس مجمع الآلهة المصرى استثناء من هذه النظرة ، رغم وجود أساطير كثيرة ومتنوعة عن الخلق ، ولا شك أن أسطورة " هليوبولس " قد كانت أكثرها انتشارا ، وتقول هذه الأسطورة : إن الاله الخالق الأول هو " آتوم " الذى اتحد في هوية واحدة مع اله الشمس " رع " .

و " آتوم " ليس اسما لملك من ملوك مصر وليس اسما لشخص أو شيء محسوس ملموس ، وانما هى كلمة مصرية قديمة تعنى " الاله الـــذى أتم نفسه بنفسه أى أنه خلق نفسه أولا قبل العالم كله وقبل أى شيء حيث لم يكن شيء ثم خلق العالم ومن صفاته فى الاسطورة القديمة " ذلك الذى جاء للوجود من تلقاء ذاته " أى أنه المتفرد أولا ، والمتفرد ايجادا والمتفرد ذاتا ، والمتفرد صفاتا ، الذى لم يره أحد ولا يستطيع أن يراه أحد ، وهى نظرة الى الاله الحق " الأول الله " تتفق مع ما جاء به الوحى الصحيح عن الله تعالى فى وصف ذاته كما فى قوله تعالى : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " .

ولكن السؤال الذى يفرض نفسه هنا هو اذا كانت هذه هـــى عقيدة : المصريين فى الإله الأول الأعظم " الله " أو آتوم " .. كما يسمونه فلم تعددت آلهة الخلق عندهم ؟؟

فلسفة تعدد آلهة الخلق عند المصريين القدماء :-

لا يمكن للباحث أن يفترض رأيا فى فكرة تعدد الآلهة عند قدماء المصريين ، ولكن اذا ما أردنا الوقوف على فلسفة تعدد آلهة الخلق فى عقيدة المصريين القدماء فان علينا أن نرجع فى ذلك الى أسطورتهم العقدية القديمة .

وتقول الأسطورة فى تفسيرها لهذا التعدد : ان " آتوم " خرج من عماء المياه الذى يسمى " نون " وهو المحيط الذى خرجت منه كل الكائنات – ثم ظهر فوق تل ، وأنجب بغير زواج الاله " شو " وهى كلمة تعنى فى اللغة المصرية القديمة " الفضاء " وقد صورته الأسطورة على أنه رجل يقف فوق الأرض ويسند السماء بيديه – ومعناه الهواء ثم أنجب شو الالهة " تفنون " أو (تفنت " ومعناها " الرطوبة " وهى زوجة الاله " شو " وقد عبدها المصريون على هيئة الأسد وزوجته فى الدلتا ، وفى الأسطورة أنها شاركت – أى " تفنت " زوجها " شو " أعباء مهمته السلبية فى حمل الأفق ، وهذان الإلهان خلقا – كما يدل اسمها – بطريقة البصق الأولى " أشش " ، والثانية " تف " ولا يزال المصريون يستخدمون فى لغتهم العامية كلمة " تف " بمعنى بصق .

وكان إله الهواء " شو " هو الذى زج بنفسه بين الهة السماء " نوت " وزوجها اله الأرض " جب " وبذلك فصل السماء عن الأرض وهنا تمثل المصريون الانجاب الطبيعى ، ويصدق الشيء نفسه على أولاد الاله " جب " والالهة " نوت " وهم عندهم : " أوزوريس " و " ايزيس " ، و " ست " و " نفتيس " رغم أن مغزاهم

أو دورهم الكونى كان فى البداية أقل وضوحا .

ولو أنك دققت النظر والملاحظة لوجدت أن هذه الآلهة المصرية عددها تسعة ، وهذه الآلهة التسعة تشكل مايسمى " تاسوع هليوبوليس" وكان المصريون يسمونهم " التاسوع العظيم " وهو تصور للآلهة طبّقه المصريون فيما بعد على مجموعة أخرى من الآلهة المحلية ، واشتد نطاقه فى بعض الأحيان ليشمل عددا يزيد على الآلهة التسعة .

أما أن بداية خلق الكون كانت انبثاق الأرض من الماء ، فيبدو أنها فكرة وردت على نحو طبيعى على أذهان سكان وادى النيل الذين يستلهمون فى بعض الأحيان جزرا من الطين تظهر فى النيل .

والواقع أنه كان من المألوف جغرافيا - قبل أن يكتمل بناء السد العالى فى أسوان أن ترى القرى المصرية فى تلكم المنطقة ابان فيضان النيل ، كما لو كانت جزرا خرجت من المياه المحيطة.

وهناك تفسيرا آخر لعقيدة " تاسوع هليوبوليس" يتعلق بالقوى الخلاقة للاله الأول " آتوم " ، وهو أن جميع القصص التى

تدور حول نشأة الكون ، لابد وأن نواجه مشكلة عويصة هى : كيف نشأ الخالق اذا لم يكن هناك سوى خالق واحد ؟ ثم كيف خلق هو نفسه ؟

لقد ذهب قدماء المصريين الى أن " آتوم " الذى يعنى اسمه " الواحد " " الكامل " ظهر الى الوجود بأن أوجد ذاته ، فهو اذن - عندهم - قد انجب نفسه ، ولكن كيف أصبح أبا للالهه " شو " والإلهه " تفنت " ؟ هل تم ذلك عن طريق الاستمناء ؟ أم عن طريق السعال أو البصق ؟

فيد الاله " آتوم " فى السياق الأول ، تشخصه فى صورة " الهه " وكلمه " يد " مؤنثة فى اللغة المصرية القديمة وفى سياق آخر يصف الإله نفسه بأنه " ثنائى الجنس " كما جاء فى الأسطورة " إننى أنا الذى أنجبت " شو " إننى أنا هو ، وهى .

وهكذا نرى فلسفة قدماء المصريين فى عقيدتهم بشأن تعدد الالهة المنبثقة جميعا عن الإله الواحد الكامل " آتوم " وهى فى مجملها تتعلق بالطبيعة والخلق .

ولم يقف الأمر بالمصريين عند هذا الحد من الالهة بل لقبوا بالاله كل ملك ورث العرش بعد ذلك من الأسرة الحاكمة .

وكانوا يخلعون على ملوكهم - أو يخلع الملوك على أنفسهم - أسماء هذه الآلهة ، أو يربطون أسماءهم بها فى صيغ مركبة ، وما كان هؤلاء الآلهة سوى أشخاص بشرية خلعت عليها هالات التقديس والطاعة العمياء .

الطوطمية والأرواح فى العقيدة المصرية القديمة :-

شاعت الطواطم فى العقيدة المصرية القديمة قبل اتحاد المملكة المصرية على يد " مينا " وبعده ، الى جانب عقيدتهم فى ألوهية الملوك ، ويظن الكثيرون من علماء الأديان أن تقديس النسر والصقر ، والقطط والنسانيس ، والتماسيح ، وغيرها ، من فصائل الحيوان هى بقايا " طوطمية " قديمة تحولت مع الزمان الى رموز ، ثم فقدت معنى الرمزية ، واندمجت فى العبادات المترقية على شكل من الأشكال .

والواقع أن عبادة الحيوان كانت جزء أساسيا من الديانة المصرية ، وهى تشير الى أن الأصل كامن فى الحياة الخصبة فى وديان الأنهار فى أفريقيا، ولقد جاء العديد من الآلهة البشرية " الكونية" من منطقة شرق الدلتا ويرجع بعض العلماء هذا الى

كونه نتيجة تاثير سا مى ، وهناك بالطبع ديانات أخرى كثيرة تبدو فيها عبادة الحيوان ظاهرة ، غيرأن هذه الظاهرة قد شاعت على نحو ملفت فى مصر هو احياء هذه العبادة وانتشارها بقوة فى الفترة المتأخرة ،

وتعد عبادة " عجل ابيس " فى " منف " من أقدم عبادات الحيوان فى مصر ، اذ أن عبادته قديمة قدم الأسرة الفرعونية الأولى ، وتكشف عبادة أبيس عن تطور كان شائعا فى الواقع ، فهى تبدا كعبادة مستقلة قائمة بذاتها ثم ترتبط عائديا بعد ذلك بكبار الآلهة عندهم - مثل " رع " و " أوزوريس " ثم ترتبط باسم " بتاح " وكذلك باهم آلهة " منف " .

وقد تمت خطوة أبعد لا نظير لها : ففى بداية العصر البطلمى انتشرت عبادة " أوزوريس أبيس " عن وعى ، لاقامة عبادة جديدة هى عبادة سيرابيس ، وربما قصد به أنه توجه للاغريق المقيمين فى مصر ، غيرأن سيرابيس فقد - بمرور الزمن - هيئة الثور أبيس .

ويؤكد طوطمية المصريين القدماء ، انه لم يزل يشاهد فى آثارهم من تماثيل ملوكهم أو آلهتهم وفى معظم الحالات كانت تظهر صورة حيوان فيتخذ الإله صورة هذا الحيوان ، وبذا يتخذ الاله إما صورة حيوانية خالصة أو يرتبط بالإله الثور أو العجل " ابيس " أو على

هيئة جسم انسان ورأس حيوان ، ولقد تطور هذا الزوج الأخير – فيما بعد – كنوع من الحل الوسط ، ووجدنا له أمثلة في صورة آنوبيس " الكلب " وحوريس " الصقر " و " خنوم " الكبش " وأحيانا يتضاءل العنصر الحيواني أكثر من ذلك ، كما هي الحال عندما تتخذ " حتحور " إلهة السماء شكل " البقرة " السماوية فتصور في صورة جسم ورأس بشريين ، ولكن مع تاج يمثل قرني البقرة تحتضنه قرص الشمس. وكما شاعت عقيدة الطواطم كذلك شاعت عقيدة الأرواح عند قدماء المصريين .

فكان المصريون من أعرق الأمم وأقدمهم ايمانا بالبعث والثواب والعقاب بعد الموت ، وقد رمزوا للروح " كا " تارة بزهرة ، وتارة بصورة طائر ذي وجه آدمي ، وتارة بتمساح أو ثعبان . وقالوا ان " الروح " تتشكل بجميع الأشكال ، ولكنهم لم يقولوا بتناسخ الأرواح ، ولعل اختلاف الرموز من بقايا اختلاف الطواطم في زمان سابق لزمان الاعتقاد بالبعث والثواب والعقاب .

" وأما أثبت العبادات وأعمها وأقواها وأبقاها الى آخر الأسر الفرعونية " فهي عبادة الموتى

والأسلاف دون مراء فإن عناية المصريين بتشييد القبور ، وتحنيط جثث الملوك وغيرهم واحياء الذكريات الخاصة بهم لا تفوقها عناية شعب من الشعوب ، وقد بقيت آثار هذه العبادة إلى ما بعد بزوغ الديانة الشمسية ، وتمثيل أوزوريس " بالشمس الغاربة ثم تغليبه على عالم الخلود وموازين الجزاء .

وضوح التدخل البشرى فى هذه العقيدة :-

رغم ما وصل اليه المصريون من ايمان بالبعث والحساب والثواب والعقاب الا أن العقل البشرى العاجز وحده عن الوصول الى الحقيقة فى الشئون ، قد ظهر تدخله وعجزه ، حينما استطاع المصرى أن يعتقد أن الموتى سيحيون حياة أخرى فى مكان بعيد عن القبر ، وبعيد عن الجسد الموسد فيه ، ولم يستطع أن يتصور عودة الجسد وامكانية محاسبة الانسان بعيدا عن جسده الأصلى الذى يدفن فى القبر ، كما لم يستطع أن يتصور الخلود للموتى أو لأرواحهم دون أن يكون لجسدهم الأصلى وجود .

ولعل هذا يفسر سر حرص المصريين على سلامة أجسام موتاهم ودفن حاجاتهم معهم ، فكان تفننهم فى المحافظة على الجسد الأصلى حتى وصل بهم الأمر الى الشيدات الضخمة المبنية بالأحجار ، وعلى رأسها الأهرامات ، كما وصل بهم الى تحنيط الجثث ، وحفظها واحاطتها بالأسرار

السحرية التى لازالت تثير قلق علماء الآثار الغربيين ويسمونها " لعنة الفراعنة " .

معتقدات المصريين القدماء فى ميزان المنهج العلمى :-

يقضى المنهج العلمى بعدم دلالة معتقدات المصريين - القدماء على التطور التصاعدى للدين تبعا للتطور الثقافى أو الحضارى ، وانما يهيئ للدين الصحيح أو الدين المقنع فرص التقدم الحضارى أو الثقافى لما يمنحه للنفوس المقتنعة والمؤمنة من الراحة وعدم القلق ، فتنشط النفس وتنتج فى ميادين الحياة المختلفة لأن الاستقرار العقائدى يؤدى الى صرف الجهود البشرية فيما يؤديان إلى الانصراف عن الدين وعدم الاهتمام بالعقيدة . ولعل هذا الخيط الرفيع هو سر الخلط والربط بين التقدم فى الدين والوصول الى مرتبة الوحدانية ، وبين التقدم فى جوانب الحياة الأخرى .

فالنفوس حينما تستقر فى معتقداتها التى تمدها بقواعد الفكر والسلوك المنضبطين تزحف مطمئنة نشطة الى كل ميادين النشاط الحضارى ، أما اذا كانت النفوس مترددة قلقة فى معتقداتها انعكس هذا القلق ، وذلك التردد على كافة الأنشطة الإنسانية الأخرى تخلفا وفسادا .

والنتيجة أن الحضارة أو الثقافة تابعة للدين والاعتقاد ، وهي التي يجب أن تقاس بالدين ، فتخضع الثقافة أو الحضارة لنوع الاعتقاد وقدرته على بث الطمأنينة في النفس ، وتنشيط قواها وحفزها على العمل في ميادين الحياة ، فالدين يسبق جميع الأنشطة الانسانية فاذا صح أدار الحياة كلها إدارة نشطة صالحة مستقيمة ، واذا فسد أدار الحياة إدارة خاطئة فاسدة .

ومن هنا يمكن لنا عن طريق المنهج العلمي ، والمنطق العقلي أن نقضي بعدم دلالة الوصول الى التوحيد من جانب المصريين بهذا الطريق التدريجي — التطور — على أن الدين كله من صنع الإنسان ولا صلة له بالوحي .

لأن التوحيد سبق هذه المعتقدات كلها — كما أثبتنا من قبل بالأدلة ، ومرفته الإنسانية ، منذ آدم ، ثم عبثت أهواء البشر ونزعاتهم الظالمة بالاعتقاد الصحيح فلما عاد التوحيد المصري بصورته هذه لم يكن إلا اقتباسا من دين صحيح ، سواء جاء هذا الإقتباس من طريق قراءات " اخناتون " واطلاعه على معتقدات قديمة أو من بلاد الشام حيث عاصر اخناتون دعوة نبي من أنبياء الله أو وصلته دعوته . ونستخلص من هذا أمورا نذكرها فيما يلي :—

١ ـ أن التوحيد الذى فرضه اخناتون على المصريين بشرى بحت حيث لم يفارقه تصور البشر الفكرى ، اذ لم تخلص فكرته عن التوحيد من شوائب النقص . حيث قد اختار الشمس إلها يجمع كل الآلهة . فهى الإله الأكبر عنده . بالرغم ما أضفاه على إلهه من صفات هى أعلى صفات الكمال لا تتوافق والشمس . فالاله الواحد عنده (هو الحى المبدىء للحياة الملك الذى لا شريك له فى الملك خالق الجنين من النطفة التى ينمو منها الجنين نافث الأرواح فى كل مخلوق قريب بآلائه تسبح باسمه الخلائق على الأرض والطير فى الهواء وترقص الحملان من مرح فى الحقول فهى تصلى له وتستجيب لأمره ويسمع الفرخ فى البيضة نداءه فيخرج الى نور النهار واثبا على قدميه وقد بسط الأرض ورفع السماء وأسبغ عليهما حُلل الجمال ، وهو ملء البصر وملء الفؤاد وهو الوجود وواهب الوجود وشعوب الأرض كلها عبيده . لأنه هو الذى أقام كل شعب فى موطنه ليأخذ نصيبه من خيرات الأرض ومن أيام العمر فى رعاية الواحد الأحد "آتون الشمس") . وفى صلواته يقول اخناتون (يا أتون ما أكثر خلائقك التى نجهلها ، أنت الإله الأحد الذى لا اله غيره خلقت الأرض بمشيئتك وتفردت فعمرت الكون بالانسان والحيوان والكبار والصغار) .

ثم يقول : (تسير السفن مع التيار وفى وجهه وكل طريق ينفتح

النهار لأنك أشرقت فى السماء ويرقص السمك فى النهر أمامك وينفذ

ضياؤك الى أغوار البحار)

ثم يقول : (وتمسى فتنزل الظلمة وعند ايقاظهم فيغتسلون

ويصلون ويرفعون أيديهم اليك ويمضى سكان العالم

يعملون)

وواضح فى العبارات السابقة التى تتمثل فيها صلوات

اخناتون اشارات شتى واضحة الى الاله الواحد القادر الذى

بيده كل شىء وبه سرور كل شىء الا أنه فى إشارة يفسد هذا

التوحيد الذى يكاد يكون صحيحا لولا تلك الاشارة التى جمع فيها

كل خصائص الألوهية الحقة ثم أضفاها على إلهه الأكبر الشمس الذى

وحد فيه كل آلهة الطبيعة والانسان ·

وفى هذا دليل على أن ماوصل إليه "اخناتون" ما يسمى توحيدا

لا يصلح أن يسمى وحدانية بمفهومها الذى نعرفه فى الدين

الصحيح اذ لم يزل يشاب هذا التوحيد الاخناتونى بالنقص بل ويبتعد

بعدا شاسعا شديد البون عن التوحيد الحقيقى المنزه ·

فلقد كان توحيد اخناتون مجرد نزعة شخصية دفعة اليها مكتسباته من العلم والمعارف ، التى تميز بها "اخناتون" عمن سبقوه من ملوك الفراعنة وفلاسفتها ، وذلك نتيجة كثرة الاطلاع وبحثه عما أعانه على اقتباس صفات الكمال الالهى من مصادرها الصحيح واضفائها على توحيده مع الاحتفاظ له بمعتقدات المصريين القديمة والمعاصرة له ، لكنه عجز عن التصرف فى تجسيد الالوهية الحقة صاحب الكمال المطلق ولم يجد حظا فى تفكيره سوى الشمس الها أكبر يجمع فيه شتات الآلهة المصرية ، وكانت هى أروع بديل أمامه الوقوف عليه مع ما عرف عنه من عكوف التفكير والخلوة والتأمل والتفقه والرغبة فى الابتكار ..

وهذا هو اخناتون الذى يتغنى بعض المستغربين وأذيال المفكرين بتوحيده ، وهذه هى أفكاره وفلسفته نحو الاله ، كما رأيتها وثنية بحتة ، فأنى لتوحيده أن يكون وحدانية ، الى الإله فى توحيده المزعوم متجسدا ؟

٢ – أن التوحيد الذى وصل اليه اخناتون لم يكن صعودا على سلم التطور الطبيعى – المدعى – كما لم يكن كله من صنع

الانسان بل كان خليطا من فكر الانسان والاقتباس من وحي أو دين سماوي قديم لوجود رسالات سماوية سابقة بزغت في أرض مصر أغفلها دعاة مذهب التطور وانما زعم عمدا ومن غير دليل علمي على انتفائها . بل قام الدليل العلمي على وقوعها . مابين القرنين السابع عشر والثالث عشر ق.م تقريبا مثل : دعوة رسول الله " ابراهيم - يوسف - موسى " وهي الدعوة التي عاشها المصريون أنفسهم ، ودعاهم اليها الرسل السابقون وتحمل في مجملها توحيد الاله الخالق وتنزيهه قبل اخناتون بمئات السنين وكان لا بد أن تترك أثرها التاريخي والفكري في البحث والدراسة . فاذا ثبت عكوف " اخناتون " على القراءة والبحث والتفكير . كان طبيعيا أن يتأثر بذلك التراث الديني القديم .

٣ - وفي ضوء هذه القاعدة كانت عقائد المصريين أثناء التعدد وبعده وعند عبادة غير الاله الحقيقي صورة من الانحراف عن الفطرة المستقيمة والوحي الصحيح ، أي ردة دفع اليها الهوى والغرائز البشرية ثم تطورت الى صورها المختلفة . وأشكالها العديدة التي طالعناها وكان توحيد اخناتون محاولة بشرية

ميزة اختلط فيها الفكر الانسانى بالدين الصحيح ، فجاء على هذه الصورة الناقصة .

وعلى نفس الطريقة وبنفس المنهج ، يمكن تفسير عقيدة البعث والحساب فالإيمان بالبعث والحساب حقيقة دينية وصلت إلى المصريين عن طريق دين صحيح لو لا أن عبث بها الفكر الإنسانى البشرى وخالطها التحريف فحول صورة البعث الى خيال بشرى وقضية على مستوى الإدراك الحسى للبشر . لايمكن أن يصل الانسان من خلالها إلى حقيقة ثابتة فى هذه الأمور .

* *

. . .

أسطورة تأليه الاشخاص عند اليونانيين القدماء :

ظهرت في اليونان القديمة العديد من العبادات وتعددت فيها الالهة التي نسجها خيال فلاسفة اليونان وملوكهم • فعبد الانسان الانسان وعبد الانسان الحيوان والاشجار والارواح والخيال والوهم أو " الحظ " والعديد من مظاهر الطبيعة •

فلقد انتشرت عبادة الانثى في مناطق واسعة من الشرق الادنى • لأنها تمثل قوة الخصوبة في الطبيعة وفي ذلك اسقاط للنموذج الانثوى الاصلي عليها • وأطلق عليها اسماء متنوعة • فهي " الأم " او " الأم العظيمة " كما أطلق عليها فيما بعد " ام الالهة " ويمكن كذلك ان تسمى " اننا " أو " عشتار " أو " عناه " — وهي مذكورة بهذا الاسم في اسفار العهد القديم " بيت عناه " يشوع : ١٩ : ٣٨ والقضاة ٣ : ٣١ — وتسمى كذلك " آتارجاتيس " و " ريا " او " ديكتينا " أو " باوبو " أو " ما " او " مه " أو " اللات " أو " سيبيل " • • كل هذه الاسماء للإلهة الأم في عقيدة اليونانيين القدماء • وغالبا مايكون لهـا زوج أو رفيق إله شاب • يموت فتحزن عليه ثم ينهض من جديد او يبقى حيا بمعجزة • ولقدكان هذا الاله هو " دوموزى " أو " تموز " او " أونيس "

روح النبات الذى يموت فى فصل الشتاء •

وقد كانت الإلهة الام موجودة بالفعل عندما وصل الهيللنيون الى اليونان كان اسمها فى ارجوس "هيرا" (اى السيدة) التى حلت محل "ديونى" زوجة لزيوس وكان اسمها فى دلفى "الأرض" وكانت لها عرافة قديمة وفى الدسيس كان اسمها ايضا الارض الام "ديمتر" وكان اسمها فى اسبرطة "أورثيا" ولقد جاءت بها ورها من آسيا عبر جزر بحر ايجة متخفية فى أشكال مختلفة وكان اسمها فى افيسوس "ارتميس" واصبح معبدها إحدى عجائب الدنيا ومن هناك وصلت الى جزيرة ديلوس ثم من ديلوس إلى اركاديا فى البليونيز (الموزة) ويرودون فى اتيكا ولقد رفضها اليونان وجعلوا منها ربة للطبيعة البرية وصائدة عذراء وان كانت تسربت روايات عن حملها لطفل وعن رفيقها "كالليستو" أما افروديت الام (المولودة من زبد البحر) فقد رحلت الى بافوس فى قبرص ولتسميتها (بالمولودة من زبد البحر) معنى مزدوج فهذه التسمية تدل على البحر الذى خرجت منه "افروديت" كما هى الحال فى لوحة

" بوتشلى "(١) الشهيرة كما تدل أيضا على الرغاوى المحيطة بالحيوانات المنوية .

وقد انتقلت عبادتها من قبرص فوصلت ميناء " كورنثة " حيث كان معبدها يرتفع عاليا على " الأكروبوليس " مزود بألف من العاملات في معبد للبغايا أو " بنات الضيافة " اللائي كن ، كما يقول استرابو(٢) مركز الجذب الرئيسى فى المدينة وأصبح فعل " يتكرنث " (المشتق من اسم المدينة كورنثة) مرادفا فى نظر الاتقياء " للاخلاقية الجنسية " ولهذا اعتمد اتهام " بولس " للمجتمع الاثينى فى رسالته الى أهل رومية فى الاصحاح الاول : على سنتين قضاهما فى كورنثة ، فاذا ما استبعدنا النزعة التجارية ، ظهرت قوة الام العظيمة ولقد عرف

---

(١) بوتشلى ، ساندر (١٤٤٥ـ ١٥١٠) هو رسام ايطالى من مواليد فلورنسا استوحى الوثنية القديمة فى لوحاته من اشهرها " افرود يت " وهى تخرج من البحر عارية ناضجة الانوثة ومثيلتها ما يسمى عندنا عروس البحر .

(٢) استرابو (٦٤ـ ٢٣ ق.م) هو جغرافى ومؤرخ قديم يونانى الاصل والنشأة تعد اثاره مرجعا معتمدا فى دراسة التاريخ القديم .

الاغريق أيضا قصة موت الروح النباتية فى أسطورة حب" افرود يت" "لادونيس" الذى قتل وهو يطارد الخنزير البرى •

وقد كان يوجد بالاضافة الى عبادة "الإلهة الام" أو" أم الآلهة" فى عقيدة اليونانيين القدماء عبادة العديد من الحيوانات والتماثيل التى سادت فى البداية كتماثيل صغيرة للإلهة الام وغيرها حيث لم تقتصر على تماثيل الانثى فحسب • ولكن فى الالف الثانية قبل الميلاد اكتملت فى عقيدتهم صورة الإلهة تماما وارتبطت بالحيوانات والطيور والثعابين كما ارتبطت بالعمود والشجرة والسيف والفأس المزدوج وصارت لها السيطرة على جميع مجالات الحياة والموت • ويصورها تمثال شهير وهى واقفة فوق الجبل يحيط بها أسدان وتمثال آخر والثعابين تطوق ذراعيها أما رفيقها الشاب الذى عرفه الاغريق باسم" زيوس" فقد ولد فوق جبل" أيدا" •

وكانت العقيدة هى عبادة الخصب حيث ارتبطت الالهة بالقمر (لما للقمر من ارتباط بالطمث وقوة النساء) كما ارتبط زوجها بالشمس وقد تمثلوها مرة أخرى على صورة البقرة والثور•

وكانت أسطورة حب " باسيفى " لثور ، واغتصاب " إيروبا " من قبل " ثور " أسطورتين تنتميان معا الى " كريت " وكان الزواج المقدس جانبا هاما من الطقوس اليونانية وفى احدى صور هذه الاسطورة جامع " باسيون " وهو إله يونانى قديم للزراعة قبل مجئ الاغريق - " ديمير " - إلهة الخصب والنماء عندهم - فى حقل محروث وأنجب منها الاله " بلوتو " الذى يظهر فى الاحتفالات عندهم على هيئة طفل يحمل ثمار المحصول رمزا للوفرة والثروة والغنى ٠

ويروى " هوميروس " الاديب الاغريقى فى " الأوديسة " ان " باسيون " جامع " ديمتر " فى حقل محروث ثلاث مرات ، وان " زيوس " كبير الالهة قد صب عليه جام غضبه ولعنته بأن قتله بصاعقة عندما علم بذلك ٠

زيوس اله الغزاة الهيلينيين :

جاء الهيلينيون الغزاة الى الجنوب فى الألف الثانية ق ٠ م وجلبوا معهم اله السماء (الهند - اوربى) العظيم ديوس أوزيوس - ولقد قيل ان هذا هو كل مانعرفه عنهما وكان من الطبيعى للبدو المهاجرين أن يظلوا على تمجيدهم لقبة السماء فالارض يمكن ان تتغير اما السماء فلا تتغير ومع " زيوس " جاءت رفيقته الملازمة له ملازمة الظل ديونى

والعذراء "بلاس" التى تقم بالاشراف على المعارك • التقى هؤلاء الغزاة فى اليونان بإلهة " الأرض الام " ومع اول موجة من موجات المهاجرين الهيلنيين احتفظت هذه الإلهة بمكانتها الرمزية السابقة وأصبح إله السماء " بوزيز - داس " زوجا للارض بعد ان لم يتعرف الهيلينيون على الهيهم وكلما ثبت "زيوس " سلطانه انزاحت صورة " زيوس " الى البحر لتصبح "بوزيدون" وبصفة عامة كان هناك حل وسط • وهو ان تختفى " ديونى " ويقبل زيوس الارض الام فى صورها المختلفة رفيقة لفراشه • ومن هنا جاءت غرامياته للمتعددة • فزواج السماء والارض جعل الخصوبة مضمونة ويمكن ان يصبح رفيق الام هو ابن زيوس مثل هرقل اما فى "أثينا" فقد تمت الغلبة للعذراء وتحولت الام الى عذراء مقاتلة هى " أثينا - بلاس " ولما كان من الطبيعى ان يعبد اله السماء فوق الجبال فقد اتخذ زيوس عرشه فوق أعلى جبل وهو جبل أوليمبوس حيث شيد فيما بعد محرابه فوق احدى القمم المنخفضة رغم وجود عروش كثيرة له فى الاكروبول فى ارجوس وفى جبل كوريسوس فى افسس • وفى جبلين فى انطاكية •

ولقد مر هذا الاله نفسه بألوان من التحولات المختلفة

ففي كريت حيث وجدت حكايات كثيرة عن مولد زيوس امتزج بالاله المحلي للخصوبة وتوحي اسماؤه المتعددة بانه ثبتت له السيادة على وظائف معظم الآلهة المتخصصين . فقد أدرك اليونانيون مبكرين على نحو غير عادي وجود إله عال محيط بكل شيء واصبح زيوس هو الإله الذي يرعى الاستقامة وظهر اتجاه نحو وحدانية ممكنة وتطلب عيد الاله زيوس في أولمبيا عقد هدنة حتى بين اليونانيين المتحاربين، وفي ثلاثية اسخيلوس المسرحية "الأورستيا" نراه في خلفية المسرحية يتكاثر فهو زيوس "المنقذ" وزيوس "محقق الامال" ومع التحول من زيوس حامي حمى الضيافة الى زيوس إله المجلس السياسي وجدناه يحقق ذاته ولقد صوره المثال "فيدياس" في تمثال اعتقد كونتيلياتوس أنه يضيف جديدا الى الديانة التقليدية . وهو تمثال أوحى الى "ديون البروزي" بموعظة نبيلة اما بالنسبة "للرواقيين" فقد كان زيوس كل شيء ومنبثا في كل شيء ولهذا كان من الطبيعي أن يطلقوا على الكون اسم "مدينة زيوس".

مجمع الالهة في الاولمب :

في الشعر الذي ينسب عادة الى "هوميروس" يظهر مجمع الالهة في جبال الأولمب أشبه بالمجتمع البشري لكنه كتب بأحرف كبيرة "زيوس" هو السيد المسيطر . والقائد الاعلى وأب الآلهة والبشر . ثم هناك بعد ذلك بعض التخصصات في الوظائف : "هيرا" هي حارسة الزواج "وبوزيدون" يحكم البحر "وأفروديت" هي قوة الحب "وأرتميس" هي ربة الطبيعة البرية . أما "أثينا" فهي - بالاضافة الى خصائصها الحربية ربة الحكمة وراعية الحرف الفنية . كما أن "ديميتر" أصبحت الارض الام . وارتبطت بصفة خاصة بحصاد القمح وأما الاله "أبوللو" فهو مركب ومثير للخلاف . فاسمه مزدوج "فوبس أبوللو" "أي أبوللو المطهر" والمركز الرئيسي لعبادته مزدوج أيضا فهو يوجد في "ديلوس" وفي "دلفي" ، كما أنه يرتبط ارتباطا مزدوجا بالشمال والشرق وهذا يشير الى أصله المركب ويوحي لقب "فوبس" بأنه إله الشمس الذي يرسل أشعته فتنشر الوباء كالسهام والذي يستطيع أن يعالج الطاعون كما يستطيع أن يأتي به ولقد أشرف في العصور الكلاسيكية على الثقافة بمعناها الواسع والموسيقى والادب والفكر

الراقى أما الاله هرمس فهو " ركام من حجارة " أو كومة من الاحجار توضع على جانب الطريق للتوقير • ولهذا أصبح مرشدا للمسافرين والتجار ورسول الالهة الذى يرافق الموتى • وهو بصفة عامة المحتال النشط مثل القيوط فى أمريكا أو الانانس فى غرب أفريقيا وكلمة "هرمايون" كومة حجارة " تعنى لُقيَةً تجلب الحظ، وكانت الحجارة او الاعمدة المربعة التى تحمل وجه إنسان وعضو الذكورة تحدد شوارع المدينة أما "هيفاستوس" فيمكن أن تتعقب أثره حتى حقول النفط فى الشرق الأدنى • فمن الطبيعى بوصفه إله النار أن يرتبط اسمه بالحدادة والتقنية، وأما "أريس" فيبدو أنه قدم من "تراقيا" وأيا ما كان أصله فقد كان عند الاغريق إله الحرب وعشيق "أفروديت" واخيرا هناك "هستيارية" المدفأة والمنزل بذلك يكتمل عدد الآلهة اثنى عشر إلهـا غير أن " ديونسيوس " أزاحها الى الخلف وظهر أسمه على لوح مخطوط على شكل الحرف "ب" فى فترة مبكرة

ولابد أنه أجبر على التراجع أو الإنزواء فترة ما فهو لا يظهر عند هوميروس" ليعود إلى الظهور على نحو مفاجئ وعنيف • لقد جاء من "تراقيا" كقوة للطبيعة البرية • والوجد والنشوة الدينية والنبيذ وثماره

وانتشرت عبادة التشوه بين النساء اللاتى كن يصعدن هائمات فوق الجبل فى نوبة شعار مقدس ويصطدن من إلههن فى صورة حيوان ثم يلتهمنه، وهى صورة أعاد " يوريبيدس " إبداعها على نحو بالغ الروعة فى مسرحية " عابدات باخوس "، ولقد أطلق الباحثون على قصائد هوميروس اسم " إنجيل الاغريق " وإن لم تكن كذلك فقد كانت مسئولة أكثر من أى عامل فردى عن تثبيت وتدعيم صورة الآلهة الشبيهة بالبشر فى أذهان الناس • غير أنه من الاهمية بمكان أن نتذكر أن هناك قوة القدر، التى تعنى أن " زيوس " قد يستطيع تحدى القدر لكن من الخير له ألا يفعل • وتحولت بعض الآلهة إلى آلهة مدن - وسرعان ما دخلت الديانة السياسية ولدينا " أثينا " كمثال واضح ففى عام ٤٠٥ ق • م صدر قرار يعطى حق المواطنة الاثينية الى أبناء " ساموس " وهو قرار يوضحه منظر " هيرا " إلهة " ساموس " و" أثينا " الهة الإثينيين وهما يتصافحان وتمثل هيرا أيضا مدينة أرجوس كما يمثل " أبوللو " مدينة اسبرطة وملطية وقورنية أما الإلهة " ارتميس " فهى تمثل " أفيسوس " والاله " هرقل " جزيرة " تاسوس " و " بريابوس " مدينة " لامبساكوس " •

أسطورة تأليه الاشخاص عند الرومان :

يصدق ما قلناه عن عقيدة اليونان أيضا على عقيدة الرومان فى الألوهية وفلسفتها ذلك لأن الكتابات الكلاسيكية المتأخرة لاترسم لنا البدايات الأولى التى بدأ بها القوم عباداتهم . ولم يكن للرومانيين فى عقيدتهم نحو الإله فلسفة مستقلة بل هى خليط من أفكار وعقائد استوردوها من مصر والشرق الادنى، والى الآلهة المقتبسة من العقيدة اليونانية والثقافة اليونانية .

لقد بدأ دين الرومان القدماء . كما بدأت مدينتهم ذاتها بداية بخصمية فقد كانت الأماكن المقدسة خارج تخومها . فالإلهة "ديانا" عبدت فى كهف فوق جبل بعيد عنها وكان هيكل "جوبيتر" فى مقاطعة أخرى لا تمت لها بصلة . وقد خلع الرومان على آلهتهم الاولى صفات وخواص غامضة مبهمة . فلا شخصية تميزها . بل ولم يميزوا بين الذكر والانثى من هذه الآلهة المشخصة - عندهم - كما كان الامر لدى غيرهم من الأمم الوثنية الأخرى .

ولم تعرف العقيدة الرومانية القديمة أساطير عن الالهة ...

بداية الامر — ولا من أين جاءت ؟ ولم يكن بين تلك الآلهة تـــزاوج ولم تلد أنسالا • ولم يكن في الدين أبطال نسجت حولهم القصــص والأساطير • كما فعل " هوميروس" مع اليونـان •

فلم يرسم الرومان صورا لآلهتهم ولم يصنعوا تماثيل • ولم يخلعـــوا عليها شخصـيات معينة إلا مؤخرا • بعد أن تلقنوا ذلك من اليونـان وكانت — بادئ الامر — عبارة عن مجرد أرواح وقوى عاشت في الحقـول والمزارع وذلك نظرا لطبيعة أعمالهم حيث شغلوا في أول عهد هـــم بالزراعـة • وانجاب الاطفال والحرب •

تطور العقيدة الرومانية من التجريد الى التجسيد :

تطورت العبادات والعقائد الريفية الزراعية — التي تشكل فـي وضعها العام — كل الشعب الروماني تقريبا — ونسقت في نظام محكم وكان للالهة الكبار — عندهم — كهنة وسدنة • ولكل إله خاصـته منهم • غير أن الحفلات الدينية القومية لم تكـن دائما موكولـة الـى أولئك الكهنـة • ففي عهد الملكية كـان الملك — هو رئيس الكهنة — يتولى كل الحفلات الهامة بنفسه •

وكانت تلك الحفلات أو الأعياد القومية عديدة • فقد قيل إنهـا

كانت (١٠٤) مائة وأربعة عيدا فى العام • وفيها كانت تجرى مراسم معينة وتقدم الذبائح والتقدمات • وتقام الطقوس والشعائر •

وهنا نتساءل : ماهى الآلهة التى كانت تقام لتكريمها تلك الحفلات ؟

وهنا نرى أننا أمام سلسلة عجيبة من أسماء الآلهة القومية والتى يبلغ عددها ست وثلاثون إلها نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : "يانيوس" و" جوبيتر" و" مارس" و"نبتو" و" فينوس" و" أبوللو" و"ميترفا" و" ميركورى" •

التعريف والاقتباس للالهة فى عقيدة الرومان :

١ ـ جوبيتر :

وهو " كزيوس " عند اليونان ـ لايعرف له أصل تاريخى ـ ويقال انه وفد إلى ايطاليا من فوق الجبال ـ كما هى فلسفة ظهوره فى عقيدة اليونانيين ـ ثم امتص خواص ووظائف الآلهة المحلية الصغرى وصار اله الرعد والبرق والمطر• ولانه كان إله النور أيضا • كانت أيام اكتمال البدر مقدسة له وهو الذى سبق وقدر مصائر الناس • وقدم لهم إيماءات من نور للدلالة على أحداث المستقبل بعلامات فى

السماء وطيران الطير • وكان البرق في يده • سلاح تأديب وانتقام للشر والاشرار ذلك لانه كان قيما على شرائع الدولة وأحكام العدالة وقد بنى له الرومان هيكلا فوق " الكابيتول " وفي العصر المتأخر جعلوه حارسا لروما • فكان له نصيب في الأمجاد الإمبراطورية التي اعتزت بها المدينة : وخلعت عليه ألقابا تدل على العظمة والنصر • والقوة والقهر • وكان يتعبد له الولاة وحكام الاقاليم قبل مباشرة وظائفهم • وكانت مواكب الانتصار التي يتقدمها قادة الحرب بعد عودتهم من معارك النصر • من أروع وأبهى المشاهد في عاصمة الامبراطورية • تزدحم فيها الطرقات بجماهير الشعب هادرة بأصوات كالرعد • حاملة الغنائم والاسرى تَقْدُمَةً إلى هيكل " جوبيتر " وقربانا وزلفى له به •

وهى صورة تضاهى مايحدث من بعض سذج المسلمين المعاصرين أدعياء التصوف • وسدنة القبور حيث يجعلون لها أعيادا يسمونها " موالد " أو " مشاهد " ويحدثون عندها أمورا لاتليق ونقاء العقيدة وصدقها وصفائها في الاسلام • ولاتتفق وحقيقة الإيمان الصحيح • ولسنا بهذا نهاجم الأولياء • ولا ننكر الولاية • وانما نهاجم الإنحراف في العقيدة وظلم الاولياء بفعل ما لم ينزل الله عز وجل به من سلطان عندهم •

٢ ـ الاله مارس :

وهو اله الحرب ـ عندهم ـ وقد كان في الاصل حامي الحقول والقطعان من القوى المعادية ، من حيوان أو انسان أو طير ، أو قوة فوق الانسان ، ولكنه اقترن بالحرب ، وتغيرت طبيعته ، بعد امتداد الامبراطورية الرومانية ، وقد ترك لنا أحد الكتاب وصفا لطبيعة مارس الهادئة الناعمة قبل ان يصير اله الحرب والنزال ، يرسم فيه الكاتب موكب فلاح وأسرته يدور حول تخوم مزرعته ثلاث مرات ومعه خنزير وخروف ، وثور ، وهي الضحايا التي كان يقدمها للاله " مارس " مقترنة بسكائب من الخمر ، وأدعية في ذلة وانصياع ، أما وقد صار " مارس " إلاها للحرب بعد ذلك فإن الرومان قد شيدوا له مذبحا في وسط مدينة روما ، وكان رموزه المقدسة الرمح والترس وكان الذئب حيوانه المقدس ويقض صغار الآلهة خدَمُهُ وعبيدُه ،

٣ ـ الاله يانوس :

ويسمونه " حارس الباب " ويطلب في الواقع عند البدء في أي عمل أو مشروع ، وقد اختص أيضا بعبادة الساعة الاولى في اليوم وكذا عبادة اليوم الاول من كل شهر ، وعبادة الشهر الاول من

كل عام ولذلك سمى الشهر الاول على اسمه " يناير " اما شعاره الاصلى

فى روما فكان " بابا " لا غير ، قام عند الزاوية الشمالية الشرقية فى

الساحة الكبرى بالمدينة .

هذا ويحكى المؤرخون أن الغزاة " الاتروسكيين " قد بسطوا

نفوذهم وسلطانهم على روما فى القرن السادس قبل الميلاد . وكانوا

قد وفدوا الى روما على سفن من شرقى البحر الابيض المتوسط .

وسرعان ما استولوا على السلطة كلها واخضعوا الرومان الأصليين .

وكانوا على جانب عظيم من النشاط والجد فى العمل . ومن عشاق التجارة

وحسن التنظيم والتدبير، فأقاموا سورا حول روما لحمايتها من الغزاة .

وادخلوا آلهة جديدة على آلهة الرومانيين العديدة مع الإبقاء عليها

دون أن يعتدوا على العقائد والطقوس القائمة . وابتنوا هيكلا

للآلهة " ديانا " فى أشهر مواقع روما . وهيكلا رائعا من صنعهم للآلهة

" جوبيتر " و " يونو " و " مينرفا " وأقاموا تماثيل للآلهة . وكانوا هم

الذين ابتدعوا هذه الفكرة .

وهى فكرة التزاوج بين الآلهة وقد اعتبر الاثنان زوجا وزوجة . وكانت

هذه الفكرة غريبة على الرومان لم يألفوها من قبل . وغدت الآلهة

" يونو " ربة النساء والبنات ، وكان يطلب عونها ساعة الولادة ويستجار بها ، كما تستجير بعض الساذجات اليوم بالسيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ وجميانة حال الولادة وغيرها من اوقات العسرة ،

اما الآلهة ـ منيرفا ـ التى جاء بها " اترسيكون " فقد كانت تشبه فى اخلاقها " اثينا " الهة اليونان ـ والتى تسمى عاصمتها باسمها الى اليوم ـ الهة الحب والجمال ـ وربة الحكمة وراعية الفنون والاداب وعلى مر الزمان كان الرومان يلتمسون عونها فى زمن الحرب ،لذلك كانوا يمثلونها مرتدية خوذة ودرعا ، وفى يدها رمح وترس كما كانت تفعل شبيهتها اليونانية ،

التوحيد الوثني الروماني :

وكما ظهرت فكرة التوحيد المصرية على يد اخناتون كذلك كانت فكرة توحيد الآلهة ـ بعينها ـ فى العقيدة الرومانية ـ بعد أن مرت بمراحل عديدة من الظهور المتجدد والمستمر للالهة المختلفة الكثيرة ، فان تاريخ دين الرومان فى القرن الأخير قبل الميلاد من عهد الجمهورية (١٥٠ ـ ٤٩ ق ٠م) يصور لنا قوى متنابذة تتحرك إلى

اتجاه مضاد تماما للاتجاهات فى العصور الأولى ، فلم يكن الاتجاه جذبا الى مركز الدائرة بل ابتعادا عنها وخروجا على المألوف المتواضع عليه من عقائد وممارسات ، وكان دين الدولة قد أصيب بنكسة ، وراح يهوى الى الدنى ، وأمسى مجرد أوضاع أو مراسم طقوسية جوفاء جافة لا حياة فيها ، وصارت روما فى واقع الامر إلهها نعبد ذاتها ، فما حاجتها بعد الى هذه الآلهة القديمة الكبيرة التى لم تروِ لها ظمأً ، ولم تدفع عنها غدرا ، أما الطبقات المثقفة التى أثارتها - أو خدعتها - الفلسفة اليونانية فقد راحت تسعى فى طريق الإلحاد الذى روجه "الأبيقوريون" ، أو الى مذهب الحلول الذى نادى به "الرواقيون" ، ومن لم يرتض هذا ولا ذاك فقد فضل عدم الاكتراث واغفال كل دين .

وبعد انقضاء جيل من الحروب الأهلية التى هددت الاعصار حاول " اغسطوس قيصر " أن يعيد روما الى حالتها الطبيعية باحياء الممارسات الرومانية القديمة ، وترميم هياكل روما المهدمة ، وحث الناس على الانخراط فى سلك الكهنوت وبناء هياكل جديدة ، على أن هذا كله لم يكن كافيا ، لأن أثره لم يتعد روما الا أنه لم يلق الا استجابة خافية ، وقد عرف " اغسطوس قيصر " النفع السياسى

الذى قد يعوض عليه اذا ما حسبه الناس الها خارج روما • وذلك لأن العالم افتقر الى قوة • الى عبادة تربط اجزاءه معا وظن فى نفسه ان " عبقرية " البيت الامبراطورى قد تكون أفضل العبار لتحقيق هذا الهدف •

ولتشجيع هذا الاحساس وترسيخه شيد " اوغسطوس " هيكلا فى ساحة روما • وزوده بكهنة اصطفاهم خصيصا وكرسه ليوليوس قيصر " أبيه الذى كان قد تبناه • وكان مجلس الشيوخ الرومانى قد خلع على " يوليوس قيصر " لقب " اله " فى سنة ٤٢ ق•م أما عن نفسه فقد اكتفى — مؤقتا — اغسطوس — باقامة معابد صغرى تعبد فيها "عبقريته" لا " شخصيته " كمظهر من مظاهر التوحيد لجميع أفراد الآلهة فى الاله " القيصر " •

وأخيرا وضعت هالة الألوهية على كل امبراطور قبل موته • وصار تكريس الامبراطور وترسيمه على كرسى الملك • وعرش القيصرية كإله جزء من مراسم الامبراطورية وقانونها • ومن بينهم " كاليغولا " و" دومتيان " وهما اللذان ولغا فى دماء المسيحيين ابان الاضطهادات المريرة التى اشتعلت نيرانها بسبب رفض المسيحيين الأول السجود

أمام تمثال الامبراطور وتقديم العبادة له • أما " نيرون " الطاغية فقد طاب له أن يجعل نفسه معادلا للإله " ابوللو " أو صورة له • تماما كما كان من سبقوه من الملوك في تنصيبهم من أنفسهم أو تنصيب الآخرين لهم آلهة على صورة الأبراج والأفلاك •

أسطورة تأليه الاشخاص في الهندوسية :

التعريف بالهندوسية :

الهندوسية ليست عقيدة محددة لانها أسلوب في الحياة أكثر منها مجموعة من العقائد ولهذا فليست لها صيغة محددة المعالم ومن هنا شملت من العقائد ما يهبط إلى درجة عبادة الاحجار والاشجار كما شملت ما يرتفع الى التجريدات الفلسفية الدقيقة .

ومن ثم فالهندوسية " دين الهنود " أو البرهمية — أو — الهندوكية — موضوع واسع ومفهوم محير . وحتى يتسنى لنا وصف هذا الدين — أو هذه النحلة — لابد وأن نعرف بداية أن دينا بلغ تاريخه ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة (وربما اكثر من ذلك) وتعتنقه حتى عصرنا الحاضر ملايين الملايين من البشر . وهو فضلا عن ذلك دين بلا عقيدة محددة المعالم . أو جماعة من الأتباع تختص به . أو هيئة مركزية ذات ترتيب هرمي . وحتى يتسنى لنا وصف دين على هذا النحو . فإننا نقوم بمحاولة لاتختلف عن محاولة من يحاول جاهدا تسلق قمم الجبال . بل ان محاولة تعريفه ذاتها مشكلة عسيرة . فالحكومة الهندية تعرف الهندوسي بالنسبة لقانون

الاحوال الشخصية بانه الشخص الهندى . واما غير الهندوسى فلا يعد و مواطنا هنديا وبالتالي فلابد - حسب القانون الهندى للاحوال الشخصية . ان نضيف كذلك الى الهندوسية (الباكستانى والنيبالى والسنغالى ..الخ) الذى ليس مسلما ولا مسيحيا ولا زرادشتيا ولا يهوديا . من جميع قاطنى شبه القارة الهندية . وينبغى علينا من أجل اهداف الدراسة أن نستبعد كذلك البوذى والجينى والسيخى . لكن ذلك لايخبرنا إلا بما لاتكونه الهندوسية ويسمى هذا اللون من التعريف " التعريف بالسلب " .

الألوهية في الهندوسية:

أما من الناحية الايجابية فيمكن القول بأن الهندوسية هى اتباع أوعبادة الاله " فشنو " أو " شيفا " أو الالهة " شاكتى " أو تجسيداتهم أو مظاهرهم أو أزواجهم أوذريتهم وهكذا يندرج ضمن الهندوسيين عدد كبير من اتباع عبادة " راما . وكرشنا " وهما تجسيدان (لفشنو) وأتباع عبادة " درجا " و " سكانده " و " جانيشا " وهم على الترتيب زوجة " شيفا وابناه " لكن ينبغى أن نستبعد "براهما "

و" سيريا " أى الشمس الذين كان لهما من قبل عبادة خاصة ، ومعابد خاصة كما ينبغى كذلك أن نستبعد ماقاله — عدد من الباحثين ليس بالكثير — ممن يعتبرون التراث " الفيدى " هو التعبير الرئيسى عن الدين . لأنه إنما يمثل التراث الشعبى الهندى وهو تراث أسبق من التراث الهندوسى المقدس ، والأهم من ذلك — أيضا — أننا لابد أن نستبعد أيضا بحكم هذا التعريف العدد الغفير من الاشخاص الذين يعجزون عن إخبار منهدوسى التعداد الرسمى بما اذا كانوا من الفشناويين أو الفشتاويين . وإنما يعبدون — فى الأساس — آلهة محلية . هذا فضلا عن أتباع الديانات القبلية الخالصة من شعوب الأدغال والتلال فى مناطق عدة من شبه القارة الهندية الباكستانية .

وعلى أية حال فالهندوسية تشتمل على كثرة من العبادات والفرق التى تقترب قليلا أو كثيرا من الإندماج فى تراث بالغ القدم . وعلى حين أن المفاهيم والممارسات العملية التى يرعاها هذا التراث القديم تؤثر فى هذه العبادات والفرق وتضفى عليها طابعا هندوسيا مميزا . فإن هذا التراث القديم ذاته هو الحصيلة النهائية لموثرات

ثرية أتت من القارة • بحيث استوعبت في داخله جميع الآلهة المحلية وآلهة القبائل وكثرة من الطقوس والفلسفات •

تعقيب وتعليق :

مما سبق يتضح لنا أن التفكير الهندوسي — أو العقيدة الهندوسية — تتجه فيما يختص بالإله الى نزعة التعدد • وقد بلغ التعدد عند الهنود مبلغا كبيرا والذى ظهر بداية في الثالوث " براهما " و" هيفا " و" فشنو " أو" شيفا " • " فيشنو " ة شاكتى " ثم اتخذوا بعد ذلك مع الاحتفاظ بتقديس الثالوث • لكل قوة طبيعية تنفعهم أو تضرهم إلها يعبدونه ويستنصرون به في الشدائد كالماء والنار والانهار والجبال وغيرها • وكانوا يدعون تلك الآلهة لتبارك لهم في ذريتهم وأموالهم من المواشى والغلات والثمار وتنصرهم على أعدائهم •

يقول المؤرخ " جوستاف لوبون " :

" وهيهات أن تجد هندوسيا لايعبد عددا من الآلهة •فالعالم عنده زاخر بها حتى إنه يصلى للنمر الذى يفترس أنعامه• ولجسر الخط الحديدى الذى يصنعه الاوربى • وللاوربى عند الاقتضاء " •

" حضارة الهند ص ٣٦٨ " .

ولكن بعض الهنود فى وسط هذا التعدد كانوا يميلون أحيانا للتوحيد أو اتجاه قريب منه . فقد كانوا اذا دعوا الها من آلهتهم أو أثنوا عليه أو تقربوا اليه بقربان . أقبلوا عليه بكل عواطفهم وميولهم حتى يغيب عن أعينهم سائر الآلهة والأرباب . ويصير إلههم هو ذلك الإله لاغير فيسمونه بأحسن الأسماء . ويصفونه بكل صفة تضفى عليه الأمجاد والكمال . ويخاطبونه برب الأرباب . وإله الآلهة تعظيما وإجلالا . لا تحقيقا وايقانا ، ثم اذا انعطفوا إلى إله غيره . أقاموه مقام الاول — السابق — وأضفوا عليه نفس ما أضفوا به إلههم القديم . فهذا التعبير " رب الأرباب وإله الآلهة " كان أولا يدل على العظمة والجلال . فلما مضت القرون على هذا النحو أصبح هذا التعبير ثابت المعنى أى أنهم اعتقدوا فعلا أن فى صف الآلهة رئيسا ومرءوسين . وآمر ومأمورين . وأن الرئيس والآمر هو وحده رب الأرباب واله الالهة . وصار هذا الوصف ثابتا لواحد من هذه الأرباب وتلكم الالهة لا ينتقل الى غيره . والكائنات كلها تحت يده . وسائر الآلهة تحت أمره .

ولعلك تلاحظ معى أن الهندوسية ذات اتجاهين فى نظرتها الى الالوهية والتوحيد على النحو التالى :

الاتجاه الأول:

هو التفكير فى الله إلها مجردا عن الشخصية " التشخيص" وأنه هو روح العالم • وهو الحق الوحيد الجاثم وراء خداع وبطلان هذا الوجود العالمى •

وهذا الاتجاه هو أول الدعامات التى تقوم عليها العقيدة البرهمية فى أسفار الفيدا • غير أن لهم فلسفة تدخل الشائبة على هذا التوحيد المجرد ذلك فى إقرانهم الوحدانية بوحدة الوجود وهو ما نوضحه فيما يأتى من خلال أسفارهم :

" تقرر أسفار الدين البرهمى :— أن الله واحد لاشريك له وأنه قد صدرت منه جميع الكائنات • وسرت منه روح فى الجماد والنبات والحيوان فالموجود بحق هو الله وحده • وليست هذه الكائنات إلا مظاهر منه • وهذا هو ما يعبر عنه بوحدة الوجود التى انتقلت الى بعض المتصوفة فى العالم وانبثقت منها نظرياتهم حتى قال بعضهم بالحلول •

ويبدو أن التوحيد المجرد كان أولا فى الامة الهندية ثم دخلت عليه الدخائل عن طريق هذه النظريات على يد " براهما " والذى اعتبروه فيما بعد هو الإله الأسمى الذى انبثقت منه كل الآلهة والافراد . والتى على أساسها قسم المجتمع إلى طبقات كل طبقة حسب موقع خروجها من جسم " براهما " وإلى ذلك تشير الأسفار المقدسة " الفيدا " عندهم . اذ تقول على لسان " براهما " :

" اننى أنا الله نور الشمس وضوء القمر وبريق اللهب ووميض البرق وصوت الرياح والعرف الطيب ينبعث فى الارجاء . والاصل الأزلى لجميع الكائنات . وحياة كل موجود . إننى صلاح الصالح أنا الأول والآخر . أنا الحياة والموت . لكل كائن . إننى أنا الله الذى لا إله غيرى . رب الأرباب مالك السماوات والارض " .

وتقول فى موضع آخر :

" أن الله واحد لأنه الجميع (أى جميع الكائنات فهى كلها مظاهر منه) وهو الله الذى لا إله غيره . ورب الأرباب مالك العالمين وخالق السماوات والأرضين " .

ويقول صاحب " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " : واعتقاد الهند - يقصد الهندوس - أو البراهمة - في الله سبحانه أنه الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء ، المختار في فعله القادر الحكيم ، الحي المحيي ، المدبر المبقي الفرد في ملكوته عن الأضداد والانداد ، لا يشبه شيئا ، ولا يشبهه شيء ، ثم أخذ يورد نصوصا كثيرة من كتبهم يؤيد ما ذكره عن اعتقادهم بوحدانية الله وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث" (١) .

هذا وتبدو فكرة التوحيد واضحة كل الوضوح في شرحين من شروح الفيدا وهما " اليوبانشاد ، والفيدانتا " وفي هذا الاخير تتبلور فكرة وحدة الوجود التي يقوم عليها الدين البرهمي " الهندوسي " وتصل إلى ذروتها فيقرر هذا الكتاب في عبارة صريحة أن الاله والنفس الانسانية وجميع الكائنات شيء واحد .

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة : أبو الريحان البيروني ص ٣٠ وما بعدها .

الاتجـاه الثاني :

وهو اتجاه يدعى أصحابه أن الله هو صـورة الاشباح المتجسدة مثل : " راما وكرشنا " وسيفا " وهو يخالف الإتجاه الاول في التصـريح بالتجسيد وهو قريب جـدا من الفكر المسيحي أو المسيحية البولسية — لانه ينتهي الي التثليث ولعل عقيدة التثليث في المسيحية قد نقلت من الهندوسية بتمامها على كلتا الصـورتين • فالقائلون بأن الواحـد في ثلاثـة يردد ون ما قاله أصحاب الإتجاه الاول • والقائلون بأن الثلاثة في الواحد يضاهئون ماقاله أصحاب الإتجاه الثاني • وكلا الفريقيـن يشكل مذهبا له كنائس تنتمي اليه في العالم • وفلسفة يدافع عنها • فالأرثوذكس يقولون بأن الثلاثـة في الواحد • أما الكاثوليك فهم على النقيض يقولون بأن الواحد في الثلاثـة • وهؤلاء وأولئك في ضـلال عظيم وعلى خطـر كبير •

وللهندوسية أوضـاع شتى تتفاوت بين فلسفة الحلول الإلهـي في الطبيعة • ثم تأخذ في الإنحـدار حتى تصل الى عبـادة الارواح الشريرة ومن الصـعب جدا التمييز بين هذه الأوضـاع المتفاوتـة •

ولعلنا لانجانب الصـواب إذا قلنا إن أقوى العوامل تأثيرا في

الفكـر البرهمي أو الهنه وسى من أعلى الطبقات الى أدناها هى :

١ـ نظام الطبقات ـ القائم على وضـع كل طبقة فى نشأتها من جسم الإلـه •

٢ـ الفكرة بأن الله هو الحق الوحيد وأن الجميع منبثق منه ثم تمـر الارواح بمراحل عديدة من التناسخ أو " الكارما " ثم تعود اليه فى النهاية •

٣ـ الفكـرة بأن العالم وهم وخـداع وتضـليل •

٤ـ الفكـرة المثلثة عن الاعمال • وتناسخ الارواح ـ الكارما ـ وانطلاق النفس واندماجها فى الكائن الأسمى •

فلسفة التعدد والتشخيص في الهندوسية :

غريبة هي فلسفة الهندوسية في التعدد والتشخيص ، وتتضح هذه الغرابة في مكاتبات دارت بين عالم كهنوتي هندي وزعيم مسيحي حول الدين والاله ، واليك ترجمة هذه المحاورة كما صدرت عن العالم الكهنوتي الهندي ، والتي ذكرها أحد البحاثة المسيحيين في كتابه[1] فيقول :

وهذه (ترجمة رسالة بعث بها العالم - الكهنوتي - الهندي يصف فيها الهندوسية فيقول :

" تسألني أن أقدم لك وصفا للهندوسية وأخشى أني سأخيب أملك فيّ ، فالهندوسية ليست دينا واحدا ، ولا عقيدة واحدة ، ولا ايمانا واحدا ، انما هي خليط من كل الاديان ، وكل العقائد التي اكتسحت البلاد مدى أجيال التاريخ ، فضلا عن هذا فان الهندوسية تشمل كل الاطوار التي مرت بها الغرائز الدينية والافكار الفلسفية وتطورت وتقدمت ، وليس هذا كل مافي الامر ، فالهندوسية ليست مقتصرة على الدين بالمعنى الضيق الذي نفهمه من الدين ، ذلك

---

(١) أديان العالم - حبيب سعيد ص ٩٥ ومابعدها

لأنها آوت تحت جناحيها كل الممارسات والطقوس الدينية • وشبه الدينية والاجتماعية التي عرفها الجنس أو الاجناس الهندية •
ولاتحسبني مفرقا فيما أقول •أو أني أجنح الى المبالغة أو المغالاة فتعدد الآلهة والوحدانية • ومذهب حلول الله في الانسان والحيوان والجمادات وانكار وجود الله • هذه كلها قد أينعت وازدهرت تحت ظلال الهندوسية وباسمها • وماتزال أوضاعها _ الى اليوم _ قائمة في الهندوسية وعبادة الشياطين • وعبادة الابطال • وعبادة الاسلاف • وعبادة الاشياء الحية والجمادات • وعبادة القوى الطبيعية ربالاضافة الى هذه العبادات كلها عبادة الله • هذه العبادات كلها نسجت في لحمة الهندوسية وسداها • وهي تقدم غذاء لكل الاذواق والمشارب ولكل مراتب الحياة • وكل أطوار الترقي • هنا دماسة الهندوسية وجمالها وقوتها • بمعنى _ أنها تشتمل على أرقى وأسهر أوضاع العبادات وأدنى وأحط العبادات _ أيضا _ وأنها تحتضن أرقى الآراء الفلسفية وأسخف وأحقر المذاهب العقلية والدينية" •

أرأيت كيف جمعت الهندوسية بين أحقر ألوان العقيدة وأعلاها ؟

وكيف جمعت بين أرقى الآراء الفلسفية وأسخفها ؟ وكيف جمعت بين أحط الاديان وأعلاها ؟ خطيرة هي الهندوسية أليس كذلك ؟ أولا تراها أشبه الديانات وأقربها الى المسيحية البولسية ؟

الثالوث الهندى المتجسد وخصائصه :

لقد كان للاحتكاكات بين البوذية والهندوسية كبير أثر على الهندوسية في اخراجها من التجريد الى التجسيم البشع على نطاق واسع في الهندوس جميعا — ذلك بسبب ما انطوت عليه البوذية من الالحاد والاداب الباردة . مما لا يرضى الانسان العادى ولا يشبع شيئا من خاجات نفسه الدينية . وكان هذا . مع المؤثرات الاخرى حافزا للهندوسية لأن تخرج فكرة " المظاهر المتجسدة للالهة " وهى فكرة لم تظهر في الهند الا حوالى سنة ٥٠٠ق.م . أى بعد غزو البوذية لبلاد الهند . وقد قامت هذه الفكرة على أن :

" فشنو " الاله الحافظ . و" سيفا — أو شيفا " الاله المدمر . كونا بالاشتراك مع " براهما " ثالوثا بدت مظاهره المتجسدة في أوضاع شتى . وكان من نتيجة ذلك أن عبد "سيفا" اله الدمار تحت اسمه أو أسماء أخرى بالاشتراك مع زوجته " كالى " وأكثر عبادة هذا

الاله قائمة على البطر والفسق • ومع ذلك فقد نشأت في جنوب بلاد الهند جماعة عمدت الى كتابة مؤلفات خشوعية دينية تحت اسم " سيفا " هي أنبل ما أخرجته بلاد الهند من الكتب الدينية • أما الاله " فشنو " فكانت له مظاهر متجسدة كثيرة • أهمها في " راما وكرشنا " خصائص الثالوث المتجسد في الهندوسية •

وحتى تكتمل الدراسة تضع أمام الدارس بيان بعقيدة الهندوس فيما يتعلق بخصائص كل واحد من أفراد ذلك الثالوث المتجسد • وهو ما سنتناوله على النحو التالي :

١ ـ خصائص براهما :

يعتقد الهندوس أن براهما هو الخالق بين الالهة الثلاثة • ولكن لا يعبده الا قلة قليلة من الهندوس • ولست تجد في كل البلاد طولا وعرضا أكثر من أثني عشر معبدا أقيمت لتكريمه • ويقال انه بعد أن خلق العالم تنحى عنه وتركه • ويصورونه في الفن الهندي شخصية ملكية ذات أربع رؤس وهو يقرأ في أسفار الفيدا • ويظهر راكبا أوزة بيضاء برية رمزا لوحدته ووحشته •

٢ـ خصائص سيفا :

كما يعتقد الهندوس أن سيفا هو أحد الالهة الكبار - بل ويعد من الالهة ذائعة الصيت في قارة آسيا ويسمونه "الاله الاكبر" أما صفاته وخصاله وخصائصه فهي مزيج غريب فتان لامع . وبعضها أسود داكن فهو الاله " المدمر " المهدد المكدر القاتل . الذى يصيب الناس بالمحن والبلايا " وهو جالب الامراض والموت . وهو الذى يقع عنه حرق جثث الموتى الهندوس . وهنا يكون موضع التكريم والتوقير له .

وقد كان في الاصل الها جبليا . مهمته التدمير والقيام بالغارات المخربة على السهول والوديان . ولكن الذين أمكنهم التوغل الى معاقله الجبلية . اكتشفوا أنه ينمي هناك أعشابا دوائية فيها شفاء للناس . ومن ثم لم يكن وظيفته التدمير فحسب . وكان مجيئه احيانا " بركة متخفية " حتى لقد اعتقد الهندوس أنه كان يدمر قديما ليخلق شيئا جديدا . أليس موت النباتات وجفافها مقدمة لأنواع جديدة من الحياة والاخضرار أو لا يؤمن القوم أن الموت ان هو الا انطلاق الى حياة جديدة . اذا لم يكن الاله " سيفا "

محض شر في نظر الهندوس . بل قرنوه بكل أوضاع الانتاج الجديد في حياة النبات والحيوان والانسان .

ولهذا السبب رسموه بعين ثالثة عمودية في جبهته وصوروه بجسد أزرق وحلق قائم . تحيط به الثعابين ويظهر في بعض صوره وله خمسة أو ستة وجوه للدلالة على وظائفه الكثيرة . وصفاته المتنوعة المتناقضة .

وغريب حقا أن نجد هذا الاله داعيا وشفيعا للزاهدين والمتصوفة والقديسين وكثيرا ما يصورونه هو نفسه في موقف التأمل المفكر العميق . وقد تلطخ جسده بالرماد والهباب . ويقص شعره على طريقة الزاهدين .

٣- خصائص فشنو :

كما يعتقد الهندوس أن " فشنو " هو ثالث الالهة الكبار أو ثالث الثالوث الالهي . وهو يختص بالحفظ والاحسان الدائم والجود والقيم على المثل العليا . والعامل على تحقيقها . وعلى نقيض " سيفا " المركب تركيبا غريبا . هو النموذج الكامل للمحبة الالهية يرقب من علياء السماوات . وحين يرى شيئا يهدد القيم العليا أو يعرض

الخير للخطر يستخدم كل قواه ونفوذه لاسناده ا . ولذلك تعبده الجماهير بحب . وتؤثره على سيفا . ويستمتعون بالقصص المذية عن نشاطه وخدمته التي روتها أساطير الكتب المقدسة " الفيدا " ويرسمه الهنود عادة بأربع أذرع . ويمسك بالية بين صدفة بحرية وورقة اللوتس رمزا لقوته السحرية . ونقاوته الطاهرة . وفوق رأسه تاج وأكليل .

تجسدات فشنوا :

تقول الاساطير ان " فشنو " تجسد في أوضاع كثيرة . فهو قد تجسد مثلا في " سمكة " انقذت الانسان الاول من طوفان أهلك البشر أجمعين . وتجسد في "سلحفاة " أعانت الالهة على تخليص شراب الخلود وغيره من المنتجات القيمة وتجسد في " دب " رفع بأنيابه الارض التي كانت قد غاصت في قلب البحار وتجسد مرة أخرى في " أسد " مزق شيطانا كان قد أراد قتل ولده . لأنه قدم الدعاء للاله " فشنو " وتجسد مرة في " بوذا " وهو مؤسس ولعل تجسده في " بوذا " كان مناورة بارعة للتوفيق بين الهندوسية والبوذية .

على أن تجسد اته كانت فى " راما " و"كرشنا " وراما هو الرجل المثالى الكامل فى القصص الهندوسى • وزوجتـه هى المرأة المثالية •

وتقول الاسطورة ان زواجه السعيد من " سيتا " الاميرة الفاتنة قـد أعقبه متاعب جمة • ذلك أن الملك الشيطان " رانانا " فى سيـلان قد اختطفها بالخديعة والغواية وحملها الى وطنـه • وفى ضـيق شديد خانق لجأ " راما " الى معونة الاله القـرد " هانومـان " (وهو أول جاسوس بوليسى سرى فى تاريخ الكتابـات العالمية • وقد صار الها يعبد •(الهندوس) ومضى هذا يبحث من فوق رؤوس الاشجار عن سيتا حتى عثر عليها • ثم أثار " راما " حربا شعواء على الالـه الشيطان حتى قتله • وبعد أن جازت " سيتا " فى تجربة من النـار المحرقـة لاثبات طهارتها انضمت الى زوجها ولهذا السبب يعبـد الهنود " راما " بكل توقير كبطل • واله متجسد يمثل " فشنو " بل هو فى نظرهم أكـبر الالهة جميعا •

عبادة البقرة في الهندوسية :

من بين العبادات الشائعة في الهندوسية • عبادتهم للبقرة • وهي من المعبودات التي حظيت بمكانة سامية • بل ربما أسمى مكانة • اذ أنها من المعبودات التي لم تضعف قداستها مع كر السنين وتوالي القرون • ولعل ابتداع عبودية البقرة وتقديسها كان في بداية الامر فرية انتشرت وروج لها في الامة الهندية من قبيل تنمية الثروة القوميه وزيادة موارد ها الاقتصادية بحمايتها وأجنتها من الذبح وتناول لحومها • ثم توارثت الاجيال • جيلا بعقب جيلا هذه العقيدة القائمة على تقديس البقرة • بل قل ان أكثر المعارك التي قامت – ولاتزال – بين الهندوس وغيرهم من السيخ والمسلمين وغيرهم من قاطني الهند كان بسبب البقرة وذبحها •أرأيت؟ وفي الفيدا أو" الويدا " حديث عن قداستها والصلاة لها ولاتزال حتى الان تستمتع بهذه القدسية •

وان من المشاكل التي تعانيها الهند الان تقديس البقرة والامتناع عن ايذائها أو ذبحها وان المرء ليعجب حين يرى ملايين الملايين من الابقار الهائمة (يقال أن في الهند ٣٠٠ مليون من

هذه الابقار) في شوارع المدن الهامة بين شعب يشعر بوطأة المجاعة ويعاني من الفقر والضيق مايعانيه . ولكن وراء هذه العقيدة تجثم فكرة فلسفية على عادة أهل الهند في تأويل معتقداتهم .

وقد قال " المهاتما غاندى " نفسه تعليقا على تقديس البقرة . وان حماية البقرة في نظري من أعجب المظاهر في التطور الانساني ذلك لأنها تحمل الانسان الى ماهو أبعد من نوعه . والبقرة تمثل في نظري عالم ما دون الانسان كله . وعن طريق البقرة . يجعل الانسان نفسه واحدا مع كل حيوانات الارض فهي أم ملايين من الجنس البشرى الهندى - هي عنوان الاشفاق والرفق وحمايتها تعني حماية الخلائق البكماء كلها) .

وهنا نستشف رقة في الشعور بلا ريب . وندرك بعض المعاني لهذا الرمز . ويقول الهندوس ان تقديس البقرة أكثر انسانية من تقديس القرد أو الاسد أو النسر . على أن المثقف الهندوسى العالم لا يرتفع الى المستوى الفلسفي الذى شرحه " غاندى " هنا . فالهندوس قديما عبدوا البقرة وقيل في أساطيرهم انها أقدس جميع الحيوانات كل جزء فيها يسكنه اله من الالهة . وكل ما يخرج من جسمها من

فضلات مقدس • وبولها من أقدس أنواع السوائل يطهر كل شيء يلمسه بل يستخدمون روثها بعد مزجه بالماء كعقاقير طبية • وغسل مساكنهم لتطهيرها •

ذبح البقرة حتى اليوم من الجرائم الشنيعة • وكثيرا ماثار النزاع بين الهندوس والمسلمين بسبب ذلك • وأدى الى مجازر بشرية • وفي بعض رقاع بلاد الهند تنال البقرة • في بعض المواسم • التكريم الذى يخلع على الالهة • فتعلق ضفائر الزهور حول أعناقها • وتسكب الزيوت فوق جباهها • والمياه عند أقدامها وتمتلىء عيون المشاهدين بدموع الحنان والعطف والامتنان •

واذا ما دانت المنية انسانا • في بعض المناطق الريفية • يمسك بذيل بقرة مربوطة الى سريره • لكي يضمن لنفسه عبورا سهلا من هذه الحياة الى الاخرى • واذا لم تسع غرفة نومه بقرة • يمسك بحبل مربوط الى ذيل بقرة خارج غرفته •

عبادة الرجل العادى فى الهندوسية :

ان الرجل العادى فى بلاد الهند يدين بتعدد الآلهة ، وهو يختار من بينها الها أو الهة ، شفيعا له يضع صورته أو رمزه فى بيته ، ويردد اسمه فى الشفق والغسق ، فى اكبار وتقديس ، وفى الوقت نفسه يكرم كل الالهة التى يحسبها فوق الطبيعة ، والتى يبلغ عددها (٣٣٠ مليونا) وأمام هذا العدد الهائل من الالهة ينتقل القروى من مزار الى مزار حسب حاجته فاذا أراد قضاء حاجة أو ازالة صعوبة ، راح يعبد الاله الفيل ابن سيفا ، واذا رام قوة بدنية لعمل ثقيل ، مضى يعبد الاله القرد وفى حالة موت أبيه ، يمضى لعبادة الاله واما واذا رغب فى صيانة نفسه من الامراض الوبائية أو السلامة فى رحلة أو التمتع بحظ سعيد ، مضى الى آلهة أخرى ، ولا تقتصر عبادته على المزارات المتفرقة لمقار الالهة ، أو أمام تماثيلها فى داره ، بل قد يعبد فى أى مكان ، وقد يرى الحجارة المستديرة المنتشرة فى قاع النهر المقدس ، والموضوعة على جوانب الطرق رمزا للاله " سيفا " وفى الاشجار المزدانة

بالاصباغ القرمزية رمز الخصب والنماء وفى الكهوف المظلمة رمزا لاله الموت • وهكذا •

الالوهية في الفكر العربى القديم :

أثبت الباحثون أن حياة العربى القديم • كانت تقليدا وغير مرتبطة بحياة عقلية ناجحة • وليست كما يرى بعض الباحثين — أنها قد خضعت لعوامل التطور اذ يقول أحدهم :

" عرف عن العرب القدماء — قبل الاسلام — أنهم وثنيون • وعرفت وثنيتهم وتقاليدهم في القرآن الكريم بالجاهلية • وبالرغم من ذهاب معظم أخبارها فقد تسربت الينا نتف كثيرة من أساطير الجاهلين ومعتقداتهم وأفكارهم • وكلها تدل على أن الوثنية ليست بسيطة التركيب ولا قريبة المتناول • فما وصلنا منها يدل على أنها مرحلة راقية • وأن كثيرا من قديمها قد بقى في متأخرها وأن بعض أحوالها صبغ بالافكار اليهودية أو الصابئة أو المسيحية أو اتحد مع عقائد أجنبية • ومن الضرورى أن نلجأ الى تصنيف تاريخى من نفهمها • يمهد لبيان تطورها وتعقدها في الزمن •

واستمر الاساطير والعقائد العربية الجاهلية بدءا على ...

أن الوثنية العربية مرت في أطوار تشبه تلك التي مرت بها وثنيات الامم الاخرى — مما ذكرناه سلفا — فانها قد عرضت :

١— الطور الحيوى : وفيه اعتقد العرب أن في كل شيء حياة فعبدوا الشجر والحجر والجن . واعتقدوا أن الحجر شجر الشياطين وأن الصفا والمروة هما رجل وامرأة فسقا في الحرم فمسخا حجرين وأن الضب هو يهودى مسخ فلا يؤكل لحمه . وأن الحجارة في الحرم تحمل قدسيته فهم يحملون منها الى بيوتهم ليعبدوها ... الخ .

٢— الطور الطوطمى : وفيه تنحصر الحياة والارواح في أشياء محددة ومن بقايا هذا التطور ما وجد عندهم من تسمية الانسان بأسماء الحيوان . ومن عبادة بعض البهائم . كالجمل الاسود عند طيء . والكبش الابيض . ومن التشاؤم والتطير بالغراب والبوم . ومن عبادة الاصنام على شكل الحيوان كيغوث وهو على شكل نسر . ويعوق على شكل فرس ... الخ .

٣— الطور الوثنى وتعدد الالهة :

وفيه وصل العرب الى تصور الاله بأشكال انسانية وتعددت

عند هم وتخصصت ومهدت للتطور الوجدانى الذى جاء به الاسلام .

غير أن الدكتور الغيوص فى كتابه " فى الفكر الدينى الجاهلى "
يرفض الرأى القائل بالتطور العقدى عند العرب على النحو السابق .
فيقول تعقيبا عليه :

" ونحن لا نشايع الباحث فيما ذهب اليه من تحليل للوثنية العربية وانتقالها الى أطوار مختلفة لما رأيناه بينهم أنهم مجتمع قبلى التكوين . لكل قبيلة معبودها حجرا كان أو شجرا أو حيوانا . فذهبت فى عبادا لهذه الاوثان المتعددة والمختلفة مذهب التقليد والمحاكاة . لا مذهب الابتكار والتطور .

يقول صاحب كتاب " الحضارات السامية " (١) :

" وقد عرفت القبائل البدوية فى وسط الجزيرة طائفة كبيرة من الالهة ولكنها ليست آلهة أو آلهات متعددة تحديدا واضحا لها صفاتها وأساطيرها الثابتة . بل أرواح كل منها تهيمن على موضع وتحميه مثل البعول الكنعانية المختلفة . فخيال البدوى أضعف

---

(١) الحضارات السامية - اسبتينو موسكاتى ص ٢٠٦ ترجمة السيد يعقوب أبو بكر . مراجعة : محمد القصاص ط دار الكتاب العربى

أرواحا على الآبار والاشجار والحجارة • وشعر بوجود آلهة فيها •
وكانت تسكن الصحراء - حسب عقيدتهم - أرواح أخرى محلية غير
الالهة • هي خليط من مخلوقات غريبة بعضها خير وبعضها شرير
تملك القدرة على الاستخفاء وكان على المرء استرضاؤها اذا أراد
اجتناب أذاها " •

ثم يقول :

" وكان تعدد آلهة الصحراء نتيجة لحالة التشتت التي كانت
تعيش فيها القبائل • ولميلها الغالب الى التفوق وكان الاله
لا يستطيع الا نادرا التغلب على هذين العاملين ومد نفوذه الى
ما وراء حدود منطقته المحلية مثلما فعلت الالهات الثلاث : اللات
والعزى ومناة • وكانت تعبد في المنطقة التي حول مكة وكان يعلو
عليهن أبوهن الله " أي صورة مجسمة في وحي خيالهم له - تعالى
عن ذلك علوا كبيرا "-

أنواع العقائد في المجتمع العربي القديم :

تعددت مواقف المجتمع العربي القديم من قضية الالوهية وتنوعت عقائدهم فمنهم المشركون بالله ومنهم الدهريون ومنهم الموحدون .

المشركون بالله بين ألوان الشرك وأساطيره :

كانت الحياة العقيدية لدى العرب القدماء والجاهلين حتى بعد البعثة المحمدية أخلاطا من ضلالات ، وأمشاجا من أوهام وانحرافات فكان هناك عبدة الصنم وعبدة الاجرام السماوية ، وعبدة القوى الكونية وعباد الاشخاص والجن والملائكة ، وكان هناك الدهريون أو اللادينيون

وقد سجل القرآن الكريم ألوان الشرك التي كانت سائدة في جو العقيدة العربية قبل وابان البعثة المحمدية :

فبعضهم عبد أكثر من اله ، وعن ذلك يقول القرآن الكريم في سورة الانبياء (أم اتخذوا من دونه آلهة ... ؟)

وبعضهم وهم الثنوية : اتخذوا الهين اثنين وعن ذلك يقول القرآن الكريم (وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد النحل آية (٥) .

وبعضهم اعترف بالله وأنكر البعث : ويدل عليه قوله تعالى :

(وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) اعترفوا بالالوهية وأقسموا بالله على ما أنكروه من البعث .

وبعضهم وهم الدهريون اللاذ ينيون الذين قالوا ان هي الا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا الا الدهر . فأنكروا الالوهية والبعث معا . ويدل عليه قوله تعالى (وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) .

وبعضهم جعل لله البنات : ويدل على ذلك قوله تعالى : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون) وقوله (أم اتخذوا مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) .

وبعضهم أسند الولد الى الله : ويدل على ذلك قوله تعالى : (وقالوا اتخذ الله ولدا) وهؤلاء هم أتباع اليهود والنصارى من العرب .

وبعضهم (جعلوا لله شركاء الجن . وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون)

ومنهم من عبد الملائكة اذ يقول الله عنهم (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) ...

ومنهم من كان يعبد الاشخاص والرؤساء والابطال • وهؤلاء يقول عنهم القرآن الكريم : (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) الاعراف : ١٩٤

ومن هؤلاء الذين عبدوا أصناما صنعوها بأيديهم من حجر أو خشب أو معدن أو تمر يقول عنهم القرآن : (أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون • ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون)

ولم تكن عبادة الاصنام لذات الاصنام بل على كونها واسطة بين العابدين والمعبود الاكبر• اذ جعلوها وسيلة الى التقرب من الله — تعالى — وفي هذا يحكي الله تعالى قولهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) أو لكونها — حسب عقيدتهم — تشفع لهم عند الله — عز وجل — يوم القيامة • وفي هذا يقول الله عز وجل : (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) يونس آية : ١٨ •

ولسوف يأتي موقف الاسلام من كافة ألوان الشرك هذه أثناء تناولنا — ان شاء الله تعالى — للالوهية في الفكر الاسلامي وتحدياته لسائر الايديولوجيات القديمة والحديثة •

ويكفى أن نسجل هنا على عجل قوله تعالى : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا تستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) .

فهل بعد هذا من هوان أو ضعف ؟ وهل فوق هذا من تحد ؟ ان الآية تكشف عن مدى ضعف الشركاء ومهانة الالهة المدعاة وعجز الاصنام . وتنطق بذلك كله تلك الصورة القرآنية التى مثلت الضعف فى أروع صورة . وجسمت المهانة تجسيما صادقا واقعيا . حيث أبرزت عجز هؤلاء الذين ادعى المشركون أنهم آلهة قادرون يمنحون ويمنعون .

وهكذا ننتهى من الحديث عن الديانات البدائية بكافة أشكالها الفكرية أو الاسطورية . وننتقل الى الحديث عن الالوهية فى الديانات القديمة ونقصد بها اليهودية والمسيحية .

الفصل الثالث

الالوهية فى فكر وعقيدة الانسان القديم

(اليهودية ـ المسيحية)



أسطورة تأليه الاشخاص في اليهودية :

ان الكلام عن الذات الالهية عند يهود التحريف يتناول أمرين :

أولا : أسماء الذات .

ثانيا : حقيقة الذات .

أسماء الذات :

يطلق على الذات الالهية عند بني اسرائيل أسماء متعددة هي الوهيم – ايل – يهوا .

وكل هذه الاسماء استعملت علما على الذات الالهية عند بني اسرائيل . غير أن أشهرها " يهوا " وأما " الوهيم " فقد ورد عن بني اسرائيل استعماله . ووردت نسخة من نسخ التوراة بهذا الاسم . لأنه الاسم الذي يطلق على الاله .

يقول الاستاذ العقاد : (سميت نسخة الوهيم بهذا الاسم . لأن الوهيم " هي الكلمة التي تطلق فيها على الاله) (١) .

ويبدو أن هذه التسمية هي أقرب التسميات الى اللغة العربية ومن المعروف أن اللغة العربية والعبرية تلتقيان معا في أصل واحد . ولو أننا حذفنا آخر الكلمة – الياء والميم – فستبقى معنا كلمة " اله "

---

(١) ابو الانبياء : عباس العقاد ص ٣٤

العربية مع نقل المدة الى الألف من الواو •

وأما لفظة " ايل " فقد ورد استعمالها قبل بعثة موسى عليه السلام فكان " ايل " هو اسم الاله فى فترة ماقبل موسى عليه السلام • واليه ينسب كثير من أسمائهم الشخصية والمكانية • ومن الأسماء الشخصية عنده هم المنسوبة الى هذا الاسم : اسماعيل واسرائيل بتوشيل • وفى سفر التكوين توضيح لهذه النسبة •فحين هربت هاجر من وجه سارة وهى حبلى فى اسماعيل قابلها "ملاك الرب" (وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك)(١)

وحينئذ تنسب هاجر اسم المكان الى اسم الله فتسمى المكان باسم "ايل رئى" لانها رأت الرب فى هذا المكان)(٢) •

وأما لفظة " يهوا " فهى لفظة قديمة كانت مهملة قبل موسى عليه السلام •فأحياها موسى بدعوته وتمسك بها علما على الذات الالهية • وأهمل ماعداها • ولأن هذا الاسم هو العلم على الذات الالهية بعد

---

(١) ١٦ : ١٠ (٢) ١٦ : ١٣

ذلك ، فقد حاول كثير من المفكرين أن يجدوا لهذا الاسم أو لهذه التسمية تعليلا ، فذهب بعض الباحثين الى أن اسم "يهوا" لا يعرف اشتقاقه على التحقيق ، فيصح أنه من مادة الحياة ، ويصح أنه نداء لضمير الغائب أى "ياهو" لأن موسى علم بنى اسرائيل أن يتقوا ذكر الرب توقيرا له وأن يكتفوا بالاشارة اليه .

وبذهب آخرون الى أن هناك احتمالا لاتجاه آخر هو أن الكلمة العبرانية المماثلة لكلمة "لورد" أى: سيد هى "يهوا" وكانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٦٠٠ م ، ثم دخلت هذه الحروف فأصبحت كلمة "يهوا" "ياهوفا" ومعناها "سيد أو اله" .

حقيقة الذات :

الذات الالهية عند اليهود لاترتفع كثيرا على مستوى البشرية فى شكلها أو مضمونها .

وهذه حقيقة تتضح لكل من يطلع على كتبهم ومصادرهم الدينية وأخصها التوراة المحرفة .

فالذات الالهية تتشكل بأشكال الآدميين ، وتنزل الى هذا

العالم والاله يجالس الناس ويؤاكلهم ويشاربهم • ويمشي على رجله حتى يتعب من المشي ويجلس ليستريح في ظل شجرة •

تحكي التوراة اليهودية أن ابراهيم — عليه السلام — رأى الرب ومعه ملكان فاستضافهم وأطعمهم وسقاهم وغسل أرجلهم ثم رحلوا من عنده •

يقول سفر التكوين (وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفون لديه • فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الارض وقال: ياسيد ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فتأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم •• فقالوا هكذا نفعل كما تكلمت واذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا)(١) •

وقد يتصارع الاله مع الانسان فيغلبه الانسان • وعندما يريد الاله أن يفك نفسه من الانسان لا يستطيع حتى يتوسل اليه ليطلقه وهذا ماحدث على ما تحكيه التوراة المحرفة اذ نزل الاله فصارع يعقوب حتى الفجر • ولم يستطع الفكاك منه حتى توسل اليه • يقول

(١) ١٨ : ١—٨

سفر التكوين : (نبقى يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلوع الفجر وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر• فقال لا أطلقك ان لم تباركنى ... فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا : لأنى نظرت الله وجها لوجه) (١)

والاله يغضب ويتهور وفى أثناء غضبه يرتكب من الحماقات التى يندم عليها حين يثوب الى رشده ، ويذهب عنه الغضب •

وقد يعزم الاله فى حمو غضبه على أمور لاتليق • فيذكره بها غيره وحينئذ يرجع الاله عن عزمه ويندم ويتوب •

وفى التوراة يغضب الاله ويثور• ويعزم على أن يهلك شعب اسرائيل •

ولكن موسى — عليه السلام — يلومه ويذكره بعهده ، مع ابراهيم عليه السلام الذى نسيه • وحينئذ يتذكر الرب أنه عاهد ابراهيم على الابقاء على الشعب اليهودى • فيندم الرب ويتوب •

تقول التوراة ان الله غضب على بنى اسرائيل فنوى على ايذائهم وقال لموسى نبيه (اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم) •

---

(١) ٢٢ : ٢٣ـ ٣٠

تقول موسى للرب : (ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر الذي أردته بشعبك) .

ويذكر موسى ربه بوعوده السابقة التي نسيها ويقول له : (اذكر ابراهيم واسحاق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك)

وهنا يتذكر الاله عهوده وأيمانه ويرجع عن غضبه (فندم الرب على الشر الذي قال انه يفعله بشعبه) (١) .

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي ندم فيها الرب . فالتوراة مليئة بذلك . وفي سفر صموئيل الاول : (وكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : ندمت على أني قد جعلت شاول ملكا لانه رجع من ورائي ولم يقم كلامي) (٢) فالرب ندم على أنه ملك شاول على اسرائيل .

وبالجملة فالاسرائيليون يعتقدون في الاله المجسد . ولم يستطيعوا أبدا أن يهضموا عقيدة الاله المجرد — كما سيأتي توضيحه في فصل آخر — وانما ارتبطت فكرة الاله عندهم بصورة الانسان بكل ما تحويه هذه الصورة من نقائص وأخطاء .

---

(١) سفر الخروج ٣٢ : ١٠ — ١٤

(٢) سفر صموئيل الاول ١٥ : ١٠ ، ٣٥

يقول ول ديورانت :

(٠٠ ذلك أن هذا الاله لايطالب الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شيء ٠ وشاهد ذلك أنه يطلب الى اليهود أن يميزوا بيوتهم ٠ بأن يرشوها بدماء الكباش المضحاة ٠ لئلا يهلك أبناءهم على غير علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين ٠

كذلك لا يرى أنه معصوم من الخطأ ٠ ويرى — أي الاله — أن أشنع ماوقع فيه من الاخطاء هو خلق الانسان ٠ ولذلك تراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم ٠ وعلى ارتضائه أن يكون شاول ملكا ٠ وتراه من حين الى حين شرها غضوبا ٠ متعطشا للدماء متقلب الاطوار نزقا نكدا ٠٠ وضميره — أي الاله — لا يقل مرونة عن ضمير الأسقف الذي يندفع في تيار السياسة ٠ وهو كثير الكلام ٠٠ وقصارى القول أنه لم يكن للامم القديمة اله آدمي في كل شيء كاله اليهودية هذا) (١)

وبسبب نزعة التجسيد هذه ٠ لم يقنع اليهود بعبادة الله الواحد المجرد عن المادة ٠ ولهذا فقد طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم أصناما آلهة ٠ ثم صنعوا هم لأنفسهم عجلا عبدوه ٠ ثم طلبوا

---

(١) قصة الحضارة : حـ ١ ص ٣٤٠

منه أن يريهم الله جهرة حتى يستطيعوا ارضاء نزعة التجسيد والنزعة المادية عندهم وهم على مدى تاريخهم لم يتنزهوا اطلاقا عن عبادة الاوثان .

وهذا يفسر لنا كثرة ظهور الانبياء بينهم لمحاولة ارجاعهم الى طريق الله الذى دأبوا على تنكبه . والانحراف الى السبل التى تفرقت بهم عن سبيله .

فنزعة التجسيد كامنة فى أعماق اليهود منذ كانوا فى مصر وأشربوا أوثانها وخضعوا لآلهتها المادية المجسدة فى حجارة أو لحم ودم .

ولعل هذا يوضح لنا تعلق اليهود الغريب بالهيكل والارض الموعودة . فهم شعب مادى يرتبط بالتجسيد والمادة . ولقد ظلوا طويلا يتشوقون الى هذا الاله الذى يتجسد أمامهم فيحسونه ويلمسونه . حتى بنى سليمان — عليه السلام — الهيكل . فابتدأ عهد جديد بالنسبة لليهود والعقيدة اليهودية . فلقد وجد اليهود فى الهيكل الرب المنظور . والاله المجسد . الذى يرونه فى كل لحظة ويتحسسونه فى كل آن . وجدوا فيه الاصنام التى تمنوها على موسى . والعجل الذى صنعه لهم السامرى . ومنذ ذلك الحين حصروا الههم ومعبودهم

في هذا الهيكل ٠ في حجارته ٠ في قطعة الارض التي تضم هذا الهيكل ٠ أو هذا الاله الجديد ٠ ومنذ بناء الهيكل ٠ فلقد ذهب الاله الحق وجاء الهيكل ٠

وهذا التقديس العجيب لم يأت عن فهم واقعي لحقيقة الهيكل وحقيقة الاله ٠ والفرق الكبير بين الاثنين ٠ وانما نشأ عن عقيدة الوثنية ٠ وجذور الصنمية التي تضرب في أعماقهم ٠ والتي لم يتخلصوا منها لحظة واحدة طوال تاريخهم المخزي ٠

" علاقتهم بالاله "

علاقة اليهود بالاله علاقة شاذة وغريبة لم يألفها المتدينون من قبل أو من بعد . فاليهود يعتقدون أن لهم بالله صلة خاصة بهم وحدهم دون العالمين .

هذه الصلة تقوم على أنهم أبناء الله وأحباؤه . وأنهم شعب الله المختار وأن الله هو الههم فقط . وأنه اختارهم عباداً له من دون العالمين .

ذلك تفكير شاذ ونزعة عجيبة ومعقدة . ولكنهم تمسكوا بها وجعلوها أساسا لعقيدتهم في الله . ونظرتهم الى الناس وأنفسهم . ولقد مرت عقيدة اليهود هذه بدورين أساسيين .

الدور الأول : ماقبل حادثة السبي . وفي هذا الدور كانوا يعتقدون أن الله يتدخل في شئونهم رأسا ويرعاها ويتولاها بنفسه . سواء في ذلك الصغير منها والكبير . فالاله يرسم لهم أماكن هجرتهم ويوضح لهم الاماكن التي يجب أن يتحاشوها ويرسم لهم خططهم الحربية ويقودهم فيها بنفسه . ويبين لهم كيفية التصرف في الاسرى ويرسم لهم المدن وطرق بنائها وتنظيمها .. الخ .

وبالاختصار كان الاله هو الزعيم لهم بكل شيء وهم كالطفل المدلل لايفعل شيئا ولا يقوم بشيء • والمطالع للتوراة التي كتبوها يرى فيها كثرة ظهور الرب لابراهيم واسحاق ويعقوب - عليهم السلام - وكيف كان يتعهد لهم بكل صغيرة وكبيرة •

الدور الثاني :

مابعد حادثة السبي • فلقد ظل اعتقاد اليهود في الاله على هذه الشاكلة حتى وقعت بهم حادثة السبي حين حاربهم بختنصر - نبوخذ نصر - وهزمهم وهدم أورشليم وأحرق هيكلهم ودمرهم تدميرا وقتل منهم عشرات الالوف • ثم حمل من بقي منهم أسرى الى مدينة بابل وذلك عام ٥٨٦ ق • م •

في هذه الحادثة التي هزت اليهود هزا عنيفا وشردتهم وأوقعت بهم من البلاء ما لم يخطر لهم ببال • انتظر اليهود - حسب اعتقادهم - أن يتدخل الاله لكي يؤدي دوره حسب ما كانوا يعتقدون ويؤملون ولكن الاله لم يتدخل ولم يفعل شيئا على الاطلاق بل تركهم تحت رحمة الذلة والاسر دائما • وحد السيف بين الحين والآخر • وانتظروا وطال انتظارهم وبدأت عقيدتهم في الاله المنقذ تتحول • واعتقدوا

أن الاله لم يعد يتدخل في شئونهم كما كان يفعل من قبل • وأن الاله قد ضرب من حوله حصارا وتركهم لانفسهم وأن الاتصال بهذا الاله أصبح أمرا بعيد المنال • ومن هذا المنزع تغيرت نظرتهم الى الاله قليلا قليلا • فابتدأت تسمو شيئا فشيئا • فاعتقدوا أولا في سمو الاله سموا يبعد به عن ادراك البشر ثم ذهبوا في السمو الى آخر درجاته فاعتقدوا أن الاتصال بالاله مباشرة أمر محال • وأنه من لوازم السمو ألا يتصل الانسان به مباشرة •

ومن هنا اخترعوا فكرة الواسطة بين الله والناس • ولقد كان اليهود يعبرون عن هذه الواسطة بالحكمة أحيانا • ويعبرون عنها بالسماء تارة أخرى • ثم آل بهم الامر أخيرا الى أن حصروا الواسطة في الكهانة والكهان •

ومن الواضح أن اليهود يعنون بالشكل وليس بالمضمون فهم يعبرون عن الاله بضمير الغائب • ويعبرون عنه أحيانا بالسماء كما في سفر المكابيين • ويجعلون الحكمة واسطة بينه وبين الناس والكهان كذلك لسموه وعلوه • ولكن هذه أمور لاتحجب عن أعيننا الحقيقة السافرة

وهي أن الاله عندهم متصف بكل النقائص البشرية • كما أوضحنا من قبل فهو شهور • غضوب • يفعل الخطأ ثم يندم عليه • ناكث للعهود ناقض للمواثيق ... الخ •

ولقد ابتدأ أمر الوساطة بين الله والناس عند اليهود تنزيها للاله وتساميا به عن الاتصال بالبشر • ثم انتهى الامر بهذه الوساطة أن أنستهم الاله جملة • وحولت الكهان الى آلهة في الحقيقة والواقع •

فعندما انقلعت صلتهم بالله ولم يعد الاله يظهر لهم كعقيدتهم اعتقدوا أن البحث في الشريعة والتمسك بالناموس هو الطريق الوحيد لوصلهم بالاله ومعرفة مراده منهم • ولأن الكهان والكتبة هم المختصون بالشريعة والناموس فلقد ابتدأ نجمهم يظهر ويرتفع • وابتدأ الناس ينظرون اليهم نظرة تقديس واجلال • وأصبحت كلمة الكاهن هي كلمة الله • وأصبح له الحق المطلق في تفسير نصوص الشريعة دون أن يجرؤ أحد على اتهامه بالخطأ • حتى انتهى الأمر الى مثل هذه العبارة التي تصور لنا مكانة الكهان عند اليهود والتي يوجهها التلمود الى اليهود •

يقول التلمود :

(اذا قال لك الكاهن ان يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فحاذر أن تشك في كلامه . واعلم يقينا أن كلامه هو الحق الـذي لا ريب فيه) .

وهكذا استبدل اليهود الهيكل بالذات الالهية . ثم أقاموا الكهان مشرعين حقيقيين وناطقين باسم الاله المجسد بهذا الهيكل ـ ومن هذا وذاك اضمحل وجود الذات الالهية حتى أضحى كلا وجود .

* أسطورة تأليه الأشخاص في المسيحية :-

تعد شخصية عيسى - عليه السلام - من الشخصيات التي ثار حولها جدل كبير فلقد (ضل كثيرون في أمر ولادته من العذراء منهم ، " ان البعض قد أنكره ، وكفروه ، وقال عليها آنذاك " بهتانا عظيما " . ولا يزال يتردد صداه في الأناجيل حتى اليوم ، ففي احدى محاورات المسيح مع اليهود قالوا له - معيرين - " اننا لم نولد من زنا " . (١) بينما رأى البعض الآخر أن ولادته على تلك الصورة النادرة تعني أن فيه جانبا الهيا يتميز به عن بقية البشر ، وان جاء على صورة بشر .

وبين رفض المسيح والغلو فيه تبقى حقيقة امره واضحة كل الوضوح لا غموض فيها ولا ابهام ، فالمؤمنون جميعا يشهدون بأن " لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء " (٢) وأنه " إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " (٣) ، (٤) . .

وان الناظر في العهد الجديد برمته لا يجد اسم عيسى فيه مدونا ، وانما يجد أن كاتبها يطلقون عليه اسم "يسوع" وغالبا مايلقبونه "بالمسيح" . فضلا - عن تلقيبهم له بألقاب أخرى ، أذكرها فيما بعد ، وانما عنونت به هنا لانه المصحيح عندنا ، أما الاسم عندهم فقد حرف لعله أبينها فيما يلي :-

مدلول الاسم "يسوع" عند المسيحين :-

يقول فولتون شين :-

(كان اسم "يسوع" شائعا بين اليهود ، وهو في الأصل العبرى "يهوشع" بمعنى "الله يخلص" وتطور إلى : "يشوع" وأخيرا صار "يسوع" بمعنى "المخلص" وهذا هو الاسم الذى تسمى به من الملاك (١) "فالعذراء" - كما قال الملاك - ستلد ابنا وندعو اسمه "يسوع" لانه يخلص شعبه من خطاياهم) (٢)

ولقد سبب تحريفهم لاسمه الصحيح - عيسى - كى يخلقوا من اسمه - الجديد "يسوع" شيئا يوافق هواهم فيه ، ورغبتهم منه - وهو معنى الخلاص - سبب هذا اختلافا وتحريفا لمفهوم

الخلاص نفسه ، الذى يحدث به الانبياء والمرسلون فى أقوالهم (اذ فهمه اليهود على أنه خلاص سياسى ، يعيد لهم ملك داود ، ويحررهم من قبضة السلطان المشتدة عليهم .

وفهمه النصارى - المسيحيون - على أنه تخليص لهم من - الخطيئة ، قديمها وجديدها ، وأنه قد افتداهم بقتله على الصليب) (١)

ومن ثم كان رفض اليهود ليسوع الناصرى ، لانهم لم يجدوا فيه الصورة التى رسمتها لهم خيالاتهم وأوهامهم عنه ، فالمسيح الذى ينتظرونه الا بطلا مغوارا على مثال "يشوع الاول" فتى موسى ، سيحا يمسح آلامهم ، وينفس عن الشعب اليهودى المستعبد كروبه التى يحس بها (فالمسيح المخلص عندهم هو الذى يرسله يهوه لتحرير شعبه المقدس واخضاع باقى الامم والشعوب لهم) (٢)

وبالتالى ففكرة المسيح المخلص فكرة يهودية اسطورية -

اقتبسها اليهود من معظم الشعوب القديمة - قبل ميلاد عيسى
- عليه السلام - ورددوها لأزمان طويلة ؟

يقول أحد الباحثين :

(ويعترف الكاتب الأمريكي فالتون أورسلو أن فكرة المسيح المخلص
ماهي الا أسطورة يهودية ترددها معظم الشعوب القديمة فيورد
هذه الحقيقة على لسان صوئيل أحد أبطال قصته ردا على
يوسف النجار - المدعو - زوج مريم ." ألا ترى يايوسف أن هذا
كله ما هو إلا أسطورة قديمة رويت بكل اللغات ، وتعلمها كل
الديانات السخيفة ، وقد صح القول أنك تتكلم عن الهند وعن في
الهند أو عن الايرانيين في فارس ،أو عن اليونانيين ... ألا ترى
أنك أسست قرارك على قصة خرافية ، أنك تؤمن بخرافة عالمية"(١)
وهي خرافة المسيح المخلص عند اليهود .

أما المسيحيون فقد تصوروا هم الآخرون حقيقة أسطورة الخلاص ،
الا أنهم لما لم يجدوا على غرار ماكان مؤملا فيه - حربيا فرسا -
وانما وديعا هادئا ، قالوا بقتله على الصليب تكفيرا عن خطايا

البشر ، وتخليصا لهم من الآثام (١) ، يعني في الحقيقة فرية يهودية ، سيبين البحث أبعادها فيما بعد ، وكيف انساق - المسيحيون - وراءها دون روية وتعقل ؟ وإظهار مدى شرورها وخطورتها في حق المسيح ، لأنها تجعل من عيسى - الحقيقي - أسطورة وهمية اسمها " يسوع المسيح " .

لم تجر منها كلمة واحدة على لسان المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - ولا سند لها من دين صحيح ومنطق قويم .

ولا أملك الآن إلا أن أقول : (إن المسيحيين قد طوعوا أنفسهم لليهود وانقادوا لأفكارهم الأسطورية ، ملبسين إياها ثوبا - فلسفيا تعليليا ، ثم اتخذوها نحلة ، تناهض ملة المسيح عيسى ابن مريم " وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه " (٢)

ألقاب يسوع في العهد الجديد :-

إن تعرضي لذكر ألقاب يسوع في العهد الجديد ، لم يأت هنا من باب التتمة أو بهدف الاستعراض المعرفي ، أو - التنسيق العلمي ، وإنما لأنها وثيقة الصلة بموضوع هذه الدراسة

التى أنا بصددها وهى أسطورة تألية الأشخاص فى المسيحية :-

وهى هى ألقابه كما ذكرتها أسفار المسيحيين ، أثبتها فيما يلى :-
المسيح (١) ، الكلمة (٢) ، رب (٣) ، الأزلى (٤) ، ابن الله (٥)
البكر (٦) ، الرئيس (٧) ، أسد سبط يهوذا (٨) ، الفادى (٩) ،
الوسيط (١٠) ، المخلص (١١) ، الصالح (١٢) ، ابن
الانسان (١٣) عما نوئيل (١٤) ، ابن المبارك (١٥) ، رئيس
الحياة (١٦) ، الخروف (١٧) ، الحمل (١٨) الأقدس (١٩) ،
ابن داود (٢٠) ، خالق الكل (٢١) ، المعلم (٢٣) ، السيد (٢٤) ،
ابن النجار (٢٥) ، ..

بالاضافة الى ألقاب أخرى كثيرة أيضا فى المصادر المعتمدة كتسيا ،
مثل وصفه بأنه نبى (٢٦) ، والراعى الصالح (٢٧) ، وباب الخراف (٢٨) ،
وخادم عبيده ، (٢٩) ، ووصف اليهود له . (ببعلزبول) (٣٠) ،

وغير ذلك من الألقاب المتناقضة فى الأناجيل التى أطلقها كاتبها

على المسيح " يسوع " والتى تنص بعض الأناجيل على انكار المسيح
نفسه . لإطلاق أكثرها عليه ، من أمثال لقب " ابن الله (٣١)

وأقرانه ، وارتضائه لبعضها كالمسيح ، وابن الانسان ، وابن داود

ومعلم ، وسيد .. الخ .

وكان استعمال لقب " المسيح " ولا يزال — هو الاستعمال السائد ، والقاسم المشترك فيه بين المسلمين والمسيحيين ، وهاكم " أسطورة تأليه المسيح في المصادر المسيحية على ضوء ماسبق

مفهوم لقب المسيح في المسيحية :-

بداية ينبغي أن نفرق بين مفهوم " المسيح " الذى يؤمن به المسيحيون الها أو ابن اله ، وبين مفهوم المسيح الذى هو ترجمة غريقية (للكلمة العبرية " المسيا " والتى تعنى الممسوح بالدهن المقدس " أو " الانسان المرسوم " ، وليس من مكان ما كانت كلمة " المسيح " مساوية لله ، وينبغي أن نفرق هنا بين هذا الرأى ، وبين العقيدة المسيحية الوثنية عن التجسد الالهى التى بها صار الله انسانا ") (١)

وهذا هو ماصرح به علماء المسيحية أنفسهم ، يقول حبيب سعيد : (المسيح كلمة يونانية تعنى " الممسوح " ولذلك دعى المؤمنون به " مسيحيون " وقد كان المسيح انسانا كاملا معصوما من الخطيئة ، خلافا لسائر الأنبياء والمرسلين ، ولكنه لم يكن

عبقريا دينيا ولا مجرد رسول ، بل كان " كلمة الله وروحه " كان الها متجسدا ، أعلن للناس فى حياته ذات الله وصفاته ومحبته للبشر) (١)

وقد جاء فى كتاب سوسنه سليمان لنوفل بن نعمة الله جرجس النصرانى : " أن عقيدة النصارى التى لا تختلف بالنسبة للكنائس وهى أصل الدستور الذى بينه المجمع النيقاوى هى الايمان باله واحد آب ، ضابط الكل ، خالق مايرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع الابن الوحيد المولود من الآب قبل الدهور من نور الله ، اله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر ، الذى به كان كل شئ ، والذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خطايانا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء تأنس) (٢)

هذا التجسد الذى جعله بولس هو سر التقوى حين قال (عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد) . (٣)

ومن ثم فان لقب " المسيح " فى المسيحية ومصادرها ، قد اتخذ شكلا جديدا متطورا عن شكله القديم - من حيث

المفهوم — اذ أن اللفظة قديمة الاستعمال ، أن الزيت على
كثير من قبل " يسوع الناصرى " وما كانت لتدل على شئ مما فهمه
المسيحيون حسب عقيدتهم فى يسوع .

يقول الدكتور / المهندى مجدى مرجان :—

(الواقع أن هذا اللقب — المسيح — يرجع الى الشعائر التى
درجت عليها الأمة اليهودية منذ أجيالهم الأولى ، بل
منذ أبيهم الاول يعقوب الذى سمى " اسرائيل " .. فمنذ
عهد يعقوب " اسرائيل " اعتبر المسح بالزيت المقدس من
أعظم شعائر التقديس ... والتكريم للناس والأماكن ، فكل
مايمسح بهذا الزيت يصير مقدسا لله ، ولا يمسح بهذا
الزيت المقدس من الناس سوى الكهنة والملوك والأنبياء .
لذلك سمى هؤلاء مسحاء الله ، أى المختارين والباركين
من الله) (١)

وقد مسح بهذا الزيت حسب أقاصيص العهد القديم كثيرون
منهم " يعقوب " (٢) " وهارون " (٣) ، و " اليشع بن شافاط " (٤)
و " شاول " (٥) ، و " داود " (٦) و " سليمان " (٧) .. ودعوا
كذلك " قورش " المجوسى الوثنى ملك الفرس مسيحا مخلصا .

رغم أنه كان كافرا ، وذلك لأنه حارب البابليين وهزمهم وفك أسر اليهود فى بابل ، وسمح لهم بالعودة الى القدس واعادة بناء الهيكل ، ومن ثم اعتقدوا أنه المسيح المخلص وأنه مرسل من قبل يهوه لانقاذهم وأطلقوا عليه مسيح الله (المسيح) ، وهذا يعنى أن الأمر لم يكن موقوفا على الأنبياء والكهنة فى بنى اسرائيل ، أو الصالحين منهم ، وانما لقبوا به حتى الكفرة المجوس ، لمجرد مساعدتهم فى التخلص من الأسر .

★ يقول أشعياء — أحد أنبيائهم الكبار — (هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى امسكت بيمينه لأدوس به أمما وأحقاء ملوك ، لا فتح أمامه المصراعيين والأبواب المغلقة) (١)

واذا كان اليهود قد رأوا كورش الوثنى المجوسى مسيحا مخلصا من قبل الرب ومؤسس المسيحية الصليبية — يجعل من عيسى الها وابن اله فى صورة بشرية اقترنت باسم " يسوع المسيح المخلص " ..

ويوصفه مؤسس المسيحية الصليبية ، وصاحب اليد العليا

في صناعة مصادرها المعتمدة كنسيا ، - كما بينت من قبل ، تبنى فكرة الخلاص ، التي لأجلها (حاول كتاب الأناجيل الأربعة - أن يلقوا في روع الناس أن عيسى هو المسيح المنتظر، المسيح الجديد الذي أتى ليخلصهم من عبودية روما ، ويعيد اليهم مجدهم الضائع ، وتهافت كتاب الأناجيل على استدلال آيات العهد القديم ، واستنطاق أنبياءه قسرا وتحويلوا الكلمات والروايات التي تحدثت عن المسيح المنتظر ليكون المقصود بها عيسى وتعديل الأوصاف والأشكال التي قيلت عن المسيح لتصدق على عيسى ، بل شكلوا عيسى نفسه - حسب هواهم - ليوضع في قالب المسيح المخلص) (١)

(وقد كان من أكثر النبوءات شيوعا عن المسيح المخلص الذي سيرسله الله لتحرير اسرائيل أنه يكون من سلالة داود ، ملك العصر الذهبي لليهود ، ومن أجل هذا فسر كتاب الأناجيل - كذبا - أن عيسى من سلالة داود ، وأجبروا مريم في صحفهم على أن تترك بلدتها الناصرة ، وتذهب الى مدينة بيت لحم التي كانت منبت داود لتلد فيها عيسى) (٢)

تخبط المصادر المسيحية وفشلها في تحديد حقيقة المسيح :-

ولقد كان من نتيجة ما سبق - وأمثاله - أن تخبطت المصادر المسيحية في تحديد حقيقة المسيح "يسوع" نظرا لتفاوت أهداف وامكانيات مؤلفوا هذه المصادر، وتوجهات معتقداتهم الذهنية وثقافتهم الفكرية، وتكويناتهم العلمية والعقدية، فما من أحد يستطيع انجيلا من الأناجيل الأربعة المعتمدة، أو غيرها من بقية المصادر المسيحية الا ويجد كاتبها قد وقعوا في تناقضات صاحبة كبيرة، ومآزق عجيبة، وأمور يستحيل قبولها ويصعب على العقل تصديقها، حتى غدا المسيح (يسوع)، في نظر أكثر المحققين - المعتمدين على الأناجيل فحسب - أسطورة تاريخية، لا حقيقة لها على أرض الواقع.

يقول المهتدي الشيخ / ابراهيم خليل أحمد :-

(لا بد - بكل أمانة - أن نضع نصب أعيننا حقيقة هامة هي: أن الأناجيل التي دونت ما بين عام ٧٠م وعام ١١٥م على أساس من بعض الوثائق المفقودة تحتوي على مادة قد حدث التصرف فيها، بنوع ما بحرية، وان كتاب الأناجيل بشعورهم وعدم

التردد في تغيير وتحوير هذه الأناجيل لتوائم مايرونه أكثر تمجيدا ليسوع المسيح ، أو لملاءمة وجهات نظر الأحزاب والمذاهب ، وأن أحدا من كتاب هذه الأناجيل ما عرف يسوع المسيح ، ولا استمع حديثه ، لذا يبدو استيعاب هذه الأناجيل — ككل — مستحيلا ، فهى مليئة بالتناقضات) (١)

وما من شك في (أن عدم التثبت التاريخي ، وعدم احتمال وقوع أمور في بعض المواضع من الأناجيل — بشأن المسيح أو غيره — يشكل بعض الدلالات التي تهتز في صالح نظرية أسطورة يسوع المسيح وهذه مع ذلك ترجح كلية اعتبارات أخرى ، ومازال التناقض وعدم التثبت التي تبقى خطيرة ، ومن ثم فإن كثيرين من العصريين — الذين لا يشكون في حقيقة وجود يسوع المسيح — يرون أنه لا جدوى في أية محاولة — بحثية — لا يجاد حل تثبت به الحقيقة التاريخية ، من بين تلك الخرافات والأساطير التي تحتويها الأناجيل) (٢)

وإذا كانت الأناجيل هي السبب الرئيسي لما احتوته من خرافات وأساطير في جعل المسيح أسطورة تاريخية ، لعدم احتمال

مافيها من تناقضات بشأنه ، فلنها في تحديد حقيقة لم تكن بأخس منها في سابقتها ، فلقد زج فيها بما فلذه النساخ أكثر تمجيدا ليسوع المسيح - من وجهة نظرهم الشخصية - دون مبالاة أو مراعاة لأدنى درجات الحقيقة ، وهو الأمر الذى تذهب معه شخصية المسيح ومكانته أدراج الرياح .

وبعد فيبدو كلام الباحث حتى هذه اللحظة نظريا ، أو انشائيا أسد نباطيا ، لكون الدليل لم يقم عليه بعد ، غير أنى بعون الله وتوفيقه سأقوم بتقديم العديد من الأدلة - على هذا التخبط الذى امتلأت به مصادر العقائد المسيحية - بشأن تحديد حقيقة المسيح فيما يلى :-

صور من تخبط المصادر المسيحية في بيان حقيقة المسيح :-

ان الباحث بتدقيق في مصادر العقيدة المسيحية يجد فيها صورتان للمسيح يسيران جنبا الى جنب ، فما من صورة مرفوضة عندنا - نحن المسلمون - مقبولة عند المسيحيين ، الا وتقابلها صورة أخرى مقبولة عندنا ، مرفوضة عندهم رغم أنها من كتبهم هم ، فما هذا التناقض في التعامل مع المصادر ؟؟

وعلى أى معيار تم القبول والرفض ؟ وما هذه الصورة المتعارضة عن المسيح في الاناجيل ؟

١ ـ المسيح فى الاناجيل " ابن زنا " تأكيدا لدعوى اليهود :ـ

ادعى اليهود أن مريم حملت بيسوع المسيح ـ سفاحا " من يوسف النجار ، كان ذلك حين عارضوه مقارنين بينه وبين موسى ، (مؤكدين أن موسى أعظم منه كثيرا وأنه لا وجه للمقارنة البتة ـ فى نظرهم ـ بين موسى الذى كلمه الله وجها لوجه وبين عيسى الذى لا يعرف أهله ونسبه) (١) ويروى يوحنا فى انجيله قول اليهود هذا فيقول :" فشتموه وقالوا أنت تلميذ ذاك ، وأما نحن فاننا تلاميذ موسى ، نحن نعلم أن موسى كلمه الله ، وأما هذا فما نعلم من أين هو ؟) (٢)

ومن الواضح انهم كانوا يرمونه بها تبكيتا ،فان الانجيل المنسوب الى متى يثبت أنهم كانوا ينسبونه الى " يوسف النجار"

يقول انجيل متى : " ولما جاء الى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا من اين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ أليس هذا ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم " ؟ (٣)

فاذا اضفنا إلى هذا رميهم الصريح لمريم بالزنا من قولهم

ليسوع " نحن لم نولد من زنا " (١)

وان صدور هذا من أعداء المسيح قد يكون بالأمر العادى الذى لا يؤبه له أما أن يصدر من اتباع المسيح وحملة ملته ، مايؤكد اتهام هؤلاء له بالطعن فى شرف أمه بنصبته الى يوسف النجار فى الأناجيل ، فهو مالا يمكن قبوله البتة ، وقد يكون الأمر هينا لو قالوا انه تزوجها ، وأن ميلاد يسوع كان نتاجا طبيعيا لهذا الزواج ، غير أنهم ينسبونه إليه ، لأن أمه كانت مخطوبة له ، فهل الخطوبة عندهم زواج ؟ انهم لم يقولوا ذلك ؟ (لقد ذكر كل من متى ولوقا تسلسل نسب المسيح باعتبار أن يوسف هو أبوه الشرعى ، والسبب فى ذلك — كما يقول " جون فنتون " هو أن كاتب انجيل (متى قد اعتقد بأن يسوع قد جاء من نسل داود وفى نفس الوقت حمل به من الروح القدس ، وهو لذلك يبين لنا أن يوسف الذى تزوج مريم كان ابنا من أبناء داود (١ : ٢٠) ، وأن يسوع قد حبل به قبل أن يجتمعا (١ : ١٨) . وبناء على هذا فقد أصبح يوسف هو الأب الشرعى ليسوع ، وكان يسوع بذلك ابنا لداود حمل به بمعجزة) (٢)

(ويزيد نا " جورج كيرد" ايضاحا فيما يتعلق باعتبار يوسف أبا شرعيا للمسيح فيقول : " ان يوسف يشار له دائما باعتباره أبا ليسوع ، وعن طريق يوسف انحدر يسوع من داود " (١))

وأنا أسأل المسيحيين اليوم : هل يصح نسب انسان لانسان آخر نسبا شرعيا لمجرد الاعتبار ؟ وعلى فرض ، فإنهم لا يقولون انه بالاعتبار ، وانما أنا جهلهم تقول :-

١ - فى متى : (" كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم " ابراهيم ولد اسحاق ، واسحاق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا ، ويهوذا ولد فارض وزارح من ثامار .... الى أن يقول ومتان ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى منها يسوع الذى يدعى المسيح) (٢) فما معنى قول متى " يوسف رجل مريم " ، وما هى علاقة المسيح بنسب يوسف الذى لا ينتسب اليه المسيح أصلا ؟ مالم يكن هدف كاتب انجيل متى ومقصوده ، أن يسوع هو ابن يوسف من طريق غير شرعى قبل زواجه من مريم حسب اعتقادهم ؟ أفيقوا !؟ انهم بكلامهم هذا يؤكدون اتهام اليهود لمريم وابنها .. وان قالوا لا ، فان عليهم أن يوضحوا لنا الفرق بين كلامهم وكلام اليهود ..

٢ ــ فى انجيل لوقا :ــ

وفى عبارات انجيل لوقا شىء من التحرز فى نسبة يسوع المسيح الى يوسف . فيقول : (لما ابتدأ يسوع دعوته كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ماكان يظن : ابن يوسف ابن هالى ابن متثات .... الخ) (١)

فهل هذا يعنى أن لوقا ماكان يؤمن بهذا النسب وأنه قد قاله على سبيل الحكاية لما كان يظن فى أمر نسبه قبل كتابة لوقا لانجيله ؟ وأن هذا الظن ليس صحيحا ، وأن لوقا انما يذكره من باب التتمة والتنبيه ، قد يكون ..

ولوقا فيما حكاه يخالف متى ، فهل يعنى هذا أنه يرفض ماذكره هو ، ويوافق متى فيما ذهب اليه ؟ لا أظن أنه قصد هذا ، أم أنه يرفض كليهما ؟ قد يكون وهو الاقرب الى القبول ، لانه لو كان يرتضى ماذكره متى من نسب المسيح لقاله ، ولو كان يرتضى ماذكره هو لما عابه ..

ويبدو أن هذا هو رأى لوقا حقا فيما نسب الى المسيح من نسب لا علاقة له به لمؤكديه :ــ

أولها :- أنه يثبت على لسان المسيح نبوءة من النسب الى داود قائلا : (وقال لهم كيف يقولون ان المسيح ابن داود ؟ وداود نفسه يقول : فى كتاب المزامير (١) قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى اضع أعداءك موطئا لقدميك إن داود يدعوه ربا - سيدا - فكيف يكون ابنه) (١)

ثانيها :- أن لوقا هو الوحيد من بين مؤلفى الأناجيل الذى نسب المسيح الى هارون من جهة أمه " مريم " كحقيقة عرفها وهو ماجعله يشكك فى نسبة المسيح الى داود عن طريق يوسف النجار جريا وراء ماكان شائعا ، وهذا هو نص لوقا فى انجيله : " كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية ، كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا ، وامرأته من بنات هارون واسمها اليصابات " (٣) ... ثم يوضح العلاقة بين مريم واليصابات فيقول " فأجابها الملاك - أى مريم - بعد أن بشرها بيسوع - وها هى نسيبتك (٤) اليصابات أيضا قد حبلت بابن فى شيخوختها ... الخ ". (٥)

(ومن المؤكد أن مريم تنتمى من نسل هارون ، فقد كانت قريبة

لامرأة زكريا التى كانت من بنات هارون واسمها الياصبات) (١)

تحقيق نسبة المسيح يسوع الى مريم لا الى يوسف النجار :-

" لقد بان بادنى تأمل فى النصوص السابقة أنه لا علاقة البتة

بين المسيح يسوع وبين يوسف النجار الذى تدعيه الاناجيل -

متى ، ولوقا - ابا له ، فضلا عن اختلافهما فى سلسلة

الانساب المذكورة ، بما لا يتسع المقام لبيانه هنا (٢) - وهو

فى حد ذاته كفيل باسقاطهما معا فى ميدان البحث العلمى ، لانه

يعنى أنهم ماكانوا على يقين من نسب من ادعوه أبا للمسيح ، خصوصا

وأنهم يثبتون الميلاد العذراوى للمسيح من مريم ، ومن ثم فان نسبة

المسيح الى مريم وحدها حقيقة تاريخية يجب احترامها ،

أما نسبته الى يوسف النجار فهى خرافة شيطانية يجب - على

المسيحيين فى التواقع نا... من أناجيلهم .

وهذه هى نصوص أناجيلهم التى تؤكد نسبة المسيح الى

مريم وحدها :-

١ - أنهم يقررون أن يوسف النجار لم يباشرها مباشرة الازواج :

فمتى يقول (أما يسوع المسيح فقد ... كانت امة مريم مخطوبة

ليوسف ، وقبل أن يجتمعا معا وجدت حبلى من الروح القدس ...
ها ان العذراء تحبل وتلد ابنا) (١)

ولوقا يقول : (وفى شهرها السادس — أى الياصبات ، امرأة زكريا
قريب مريم — أرسل الملاك جبرائيل من قبل الله الى مدينة بالجليل
اسمها الناصرة ، الى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف ....
واسم العذراء مريم) (٢)

٢ — فى مخاطبتها للملاك جبريل تقرر مريم أنها لم تخالط أحد
ولم يمسها رجل ، ففى انجيل لوقا أيضا :— "قالت مريم
للملاك كيف يحدث هذا ، و أنا لست أعرف رجلا ؟ ") (٣)
٣ — أن يوسف النجار لم يكن من سبط تنتمى إليه مريم وخطبتها
له أو زواجها منه مخالف لشريعة اليهود . :—

وانه لما يضرب بنصب المسيح يسوع الى "يوسف النجار" عرض
الحائط ، ويؤكد نسبته الى العذراء فحسب ، أن مريم من سبط
هارون ، كما ذكرت قبل والذى يمتد نسبه الى لاوى
بن يعقوب — عليه السلام . (٤)

ويوسف النجار يمتد نسبه الى داود ، وكل من متى ولوقا — حسب

قائمة الأنساب المقدمة لديهما - ينسب داود الى سبط يهوذا بن يعقوب عليه السلام. (١)

وليس بينهما خلاف على سلسلة الأنساب المذكورة من داود حتى يهوذا .

وان صح هذا - وهو بالأحرى صحيح - فان يوسف لا يحق له خطبة مريم ولا الزواج منها - كما ادعى متى ولوقا - وذلك لأن - شريعتهم تحرم نكاح اليهودية من الرجل الذى لا يكون من سبطها، وهذه هى نصوصهم :-

" جاء فى سفر العدد : (وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها ، لكى يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحول نصيب من سبط الى سبط آخر ، بل يلازم أسباط بنى اسرائيل كل واحد نصيبه) (٢)

يقول أحد الباحثين فى تعليقه على مناظرة العلامة ديدات للقس سواجارت (والمعنى أن المرأة اليهودية اذا ارادت الزواج من يهودى من جنسها ، تتزوج من رجل من ذى قرابتها ليميز كل سبط عن غيره ، ولئلا تنتقص أرض سبط بسبب انتقال إرث المرأة إلى سبط آخر ، وكان يشوع بن نون قد قسم أرض كنعان اذا تم فتحها على الأسباط ،

وحدة لكل سبط أو نسبه بحدود معينة كما هو مبين فى سفر يشوع (١) ، وقد نص طوبيا فى سفره على ان تزوج المرأة فى سبطها هو شريعة مفروضة ، وذلك فى وصيته لابنه) (٢)

وهذه حقيقة لا يستطيع المسيحيون إنكارها ، فيوسف لم يكن زوجا لمريم ولا خطيبا لها ، ومريم ما كانت تعرف رجلا — اى رجل — وبالتالى فلا علاقة ليسوع بيوسف ، وان هذا ليهدم من الأناجيل ركيزة كبرى تعلق بها المسيحيون ردحا من الزمان ولا يزالون ، الا قليلا جدا ممن من الله عليهم بالعثور على الحقيقة فى هذا الشأن ، سواء منهم من هداه الله إلى الاسلام — لكونه قد حاز قصب السبق فى هذا الكشف — أم من لا يزال على مسيحيته متجردا البحث بلا تعصب ، لا يهمه إلا الحق أيا كانت النتائج .

٤ — الميلاد العذراوى حقيقة علمية تبرئ ساحة مريم البتول من الإفتراء القول :-" إن نسبة المسيح الى أمه ، بأن يقال المسيح ابن مريم ، لهو القول الحق الذى لا مراء فيه ، وهو الوسيلة الوحيدة لتخليص نسب المسيح الطاهر مما علق به من اذى ، وحل مشكلة التناقض والتضارب التى وقع فيها المسيحيون بسبب انجيلى متى ولوقا ، لاختلافهما فى سلسلة نسب المسيح الذى لا نسب

---

(١) يشوع ٢١،٢٢ .

له اصلا . وأن الفضل فى هذا الكشف ليرجع بالأصالة إلى القرآن الكريم الذى سبق كل بحث على إلى هذه الحقيقة ، وما من شك فى أنـه الدافع الأوحـد وراء الذى دفع بجميع الباحثين فى الشرق والغرب، مسيحيين كانوا أم مسلمين الى ساحة البحث العلمى لتقرير هذه الحقيقة علميا ، وان كان المسلم على يقين سلفا من حقيقتها .

وتعالى الله الذى يقول :ـ

(واذكر فى الكتاب مريم اذا انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت إنى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ؟ قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ، فحملته .(١) انها روعة البيان ، فيال ـ عظمة الله .. شتان بين كلام الرحمن ، وسخافات المضلين من بنى الانسان ؟؟ إن كتاب الاناجيل نسبوا المسيح يسوع الى يوسف النجار شكا فى قدرة الله ، رغم أنهم يحومون حول الميلاد

(١) سورة مريم آية رقم ١٦ ـ ٢٢ .

العذراوى ، لكن سخف عقولهم باعد بينهم وبين الإيمان به ، فراحوا يدنسون بهذه الخرافات المدونة ، والمسيحى — اليوم — بعيدا عن القرآن ، مهما ملك من قدرة بحثيـة ، لا يستطيع الوصول الى الحقيقة عينها — بهذا الخصوص — الا بصعوبة بالغة ، معتمدا على الشـك لا على اليقين كوسيلـة للتوصل الى الحقيقـة .

يقول موريس بوكاى معلقا على شجرتى نسب المسيح المذكورتين فى كل من متى ولوقـا :—

(إن المسيح هو حالة خاصة ، فقد كانت أمه مريم عذراء ، وقـد احتفظت بعذريتهـا ولم تلـد أطفالا غير المسيح [١] ، ان المسيـح استثناء بيولوجى ؛ وانه لما يجب علينا ملاحظته أن هذين النسبيـن — فى متى ولوقا — من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح ولو كان من الضرورى اعطاء المسيح نسبا ، وهو وحيد أمه (مريـم) وليس له أب بيولوجى ، فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة أمه فقط) [٢]

وفى مناظـرة ديدات للقس سواجارت بالولايات المتحدة الأمريكيـة سنة ١٩٨٧م [٣] ادعى (سواجارت القسيس) حين عارضه الشيـخ الداعيـة (ديدات) بما فى الأناجيل من نسبة يسوع المسيح الـى

يوسف النجار ، فى سلسلتين مختلفتين ، فرد قائلا : إن الذى (فى إنجيل متى هو نسب يوسف ، واما الذى فى انجيل لوقا فهو نسب مريم)(١)

ولو كان هناك أى خطأ فى نسب المسيح اذن لأشاروا اليه فى الحال - فى الهيكل المقدس - ولكنهم لم يفعلوا ذلك)(١)

وكان رد الشيخ عليه قائلا (وأنا أقول لك لماذا أقحمت مريم ؟ هل يقول الإنجيل بذلك ؟ أبدا .. نسخة تقول إن هذه هى أنساب المسيح ، والأخرى تنتهى بالمسيح ولا يأتى فيها ذكر مريم ، ستة وستون اسما لشخص بدون أنساب ، ثم تقولون ان هذا هو ما أملاه الله ، وتزعمون أن الله والده ، وهو ليس بينهما ؟ فهل تجاهل نفسه أم أنه أقام النجار مقامه ؟)(٢) حاشا لله .

٥- أنصف أقرانك يا سوجارت فتعلم !!

(قرر : " ويلز أستاذ التاريخ بجامعة لندن فى كتابه " يسوع المسيحيين الأوائل " كذب ما ادعاه هذا القسيس الأصم وأقرانه ، فقال : " يقال فى العربية "أخوتميم" أى واحد منهم ، وأخو الصديق أى ملازم له ، ومثله ياأخا العرب أى ياابن العرب ، فحق لمريم - اذن - أن تنسب الى هارون الذى كان أول من اختص هو وبنوه من بين بنى اسرائيل بالكهانة ، والحفاظ على الشريعة

" سفر الخروج ٢٨ : ١ " . وقد اقتصر على سبط لاوى وهو واحد منهم ومن الجدير بالذكر أنه كان فى بدء ظهور المسيحية انجيل ينسب إلى متى يعرف باسم : انجيل ميلاد مريم وقد قبله عدد من الطوائف المسيحية باعتباره أصيلا وقانونيا ، وقد أشار اليه جيروم - أحد آباء الكنيسة الكبار الذى عاش فى القرن الرابع - ومن هذا الانجيل حاول العالم البريطانى " فاوستس " - الذى أصبح فيما بعد أسقف ريز - أن يثبت أن المسيح لم يكن من بيت داود ولا من سبط يهوذا لأنه حسب ذلك الانجيل لم تكن العذراء من سبط يهوذا - كما ادعى سواجارت - وانما كانت من سبط لاوى ، وأنه أباها كان كاهنا) (١)

وعلى ضوء ما سبق ، نفهم لماذا كانت صدمة الميلاد العذراوى شديد على قوم مريم ومن مريم بالذات ؟ لأنها عندهم ممن لا يشك فيهم فهى طاهرة المنبت ، شريفة النسب ، نفهم لماذا قال لها قومها عندما آتتهم تحمل وليدها (ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) (٢)

---

(٢) سورة مريم آية رقم ٢٨ .

حقيقة ضاعت بأباطيل شاعت ، فهل الى الاعتراف بها من سبيل ؟

تبنى مؤلفا انجيلى متى ، ولوقا (طمس معجزة الميلاد - العذراوى - سعيا وراء أسطورة قديمة ، قضت على عيسى بن مريم العذراء ، ليقيموا - مكانة - المسيح يسوع بن داود ، مخلص اسرائيل ، وباعث مجدها ، حتى ولو كان ابن النجار مطعون النسب سيء المنبت ، قضوا على ابن العذراء وأعطوا أعداءه سهاما ، ومُدّى ينهشون بها عرض أمه البتول ورفض أغلبهم ذكر شيء في انجيله عن معجزة الميلاد ، وكأنها عار أو فضيحة يجدر ابقاؤها في طي الكتمان ، وحتى من ذكر المعجزة منهم فانه كان في سردها أقرب الى الشك منه الى اليقين ، مما أذكى لهيب الشائعات فاندفعت تسرى بين الناس سريان النار في الهشيم) (١)

تساءل الناس : - أحقا يسوع ابن العذراء ؟ أم انه ابن يوسف ؟ واذا لم يكن يوسف فمن أبوه ؟ انه ميلاد لم يدركوه ، واعجاز لم يفهموه ..

(وضحك الناس .. استهزءوا بالمعجزة وكأنها خرافة ، وضرب من الخيال ، ومالوا إلى تصديق الشائعات والأكاذيب التى كان

أخفها وطئا القول بأن يوسف قطف الثمرة قبل الأوان ، وضاجع مريم قبل الزواج ، فولدت عيسى ونسبته إليه ومرت الأيام ونسى الناس الحقيقة وسط الترهات وتمسكوا بالأكاذيب والشائعات وضاعت في اليم معجزة الميلاد ، الى أن نزل القرآن فأعلن الحقيقة ، وقطع دابر الشكوك وأثبت لمريم عفافها وطهارتها ، وأعاد لعيسى قدره واحترامه) (١)

وأقول للقوم : أيهما أجدر بمقام المسيح ومكانته ، أن ينسب الى أب لا علاقة له به فيرمى بسببه ويثبت في حق أمه مارماها به اليهود ظلما وزورا ؟ أم أن ينسب إلى أمه البتول العذراء على أنه آية اعجاز ، وبرهان طهارة واصطفاء ؟ فانظروا أيها أهدى سبيلا ، وأقوم قيلا ؟ على أنه آية اعجاز ، وبرهان طهارة واصطفاء ؟ فانظروا أيها أهدى سبيلا ، وأقوم قيلا ؟

٢ — أصول المسيح في الأناجيل متهمون بزنا المحارم :—

من الأمور المحيرة للعقل أن الأناجيل التي من المفترض أنها قد ألفت خصيصا لتمجيد المسيح ، وتعظيم شأنه ، هي أقوى معول للقضاء على شخصية المسيح ، ومكانته ، ولا يمكن بحال تصور سذاجة كاتبيها ، أو التكهن بتوفر حسن النية لديهم ، إنها كتبت — ولا شك — بهدف القضاء على المسيح ومحاربته وتشويه

صورته الحقيقية الطاهرة ، ولا أدرى كيف يدعى المسيحيون - الى اليوم - قدسية هذه المخازات فى حق المسيح - عليه السلام ؟ ومقصودها واضح للعيان ..

اننى أتساءل : لماذا ينسب المسيح فى الأناجيل الى يوسف النجار - بالذات - وهو لا علاقة له به ؟ ألأن قائمة نسبه تضم مجموعة لا بأس بها من الحقراء الزناة - فى كتابهم المقدس - فيكون له من أسلافه ، قدوة ومثل ؟ وهم ممجدون - عندهم - لزناهم ، فهل لهذا جعلوه هو الآخر أبا المسيح ليمجد الأب - الزانى - والابن ثمرة الزنا ؟

فلماذا ينسب المسيح - فى أناجيلهم - الى هؤلاء الأسلاف الحقراء ؟ يقول العلامة ديدات ، مسجلا عليهم تبريرهم للباطل كما هى عادتهم :-

(لكن رجال اللاهوت المارقين عن الحق وما أكثرهم يبررون هذا بقولهم : " هنا تكمن الروعة برمتها ، فان الله أحب الخطاة الى درجة أنه لن يستنكف أن يجعل أسلاف (ابنه) مثل هؤلاء) (١) ، الى هذا الحد ؟؟!

يؤكدون - بلا حرج - قبول سلسلة النسب المطعونة هذه ، على أنها سلسلة ، نسب المسيح .. فمن تمن ؟ ان آخر اسم - ذكرته

الأناجيل - متى ، ولوقا - هو يوسف النجار .. فهل يقصدونه هو ؟ وكيف ؟؟

(انه لا يمكن تصور ارتباط نسبى بين المسيح ويوسف النجار هذا ، اللهم الا - بشيء واحد - هو الطعن فى شرف أمه ، بأنه جاء نتيجة اتصال غير شرعى قبل الزواج من خطيبها يوسف النجار كما تزعم اليهود ذلك ؟) (١)

فماذا يعنى الطعن فى المسيح نسبا وسلفا ؟ وهو لا نسب له أصلا إلا من جهة أمه فحسب ، كما أثبت قبل قليل .

وهاك جدول يوضح سلسلة نسب المسيح - المزعومة - أبين من خلالها الأسلاف - المتهمين بالزنا - عند اليهود والمسيحيين جميعا ، أرمز للزناة فى الجدول بنجمة واحدة ولأولاد الزنا بنجمتين ، وللمومسات بثلاثة نجوم على النحو التالى :-

(سلسلة النسب ابتداء من ابراهيم)

عند متى [١]	عند لوقا [٢]
١ — ابراهيم	١ — ابراهيم
٢ — اسحاق	٢ — اسحاق
٣ — يعقوب	٣ — يعقوب
٤ — يهوذا ولد * ١ : ٣	٤ — يهوذا *
٥ — فارص (وزارح * من ثامارا) *	٥ — فارص **
٦ — حصرون	٦ — حصرون
٧ — آرام	٧ — عرنى
٨ — عينا داب	٨ — ارمنى] لم يأت بهما متى
٩ — نحشون	٩ — عينا داب ٠
١٠ — سلمون ولد	١٠ — نحشون ٠
١١ — بوعز (من واحاب *** ١ : ٥)	١١ — شالح — مخالف لمتى
١٢ — عوبيد (من راعوث ** ١ : ٥	١٢ — بوعز (من راحاب) ***
١٣ — يسى	١٣ — عوبيد (من راعوث) **
١٤ — داود ولد *	١٤ — يسى
١٥ — سليمان (من بتشبع * زوجه أوريا) **	١٥ — داود *
١٦ — رحبعام	١٦ — ناثان — أخو سليمان من بتشبع **
١٧ — أبيا	١٧ — متاثا ٠
١٨ — أسا	١٨ — مينان ٠
١٩ — يهوشفاط	١٩ — مليا
٢٠ — يورام	٢٠ — الياقيم
٢١ — عزيا	٢١ — يونان
٢٢ — يوثام	٢٢ — يوسف
٢٣ — آحاز	٢٣ — يهوذا

تابع سلسلة النسب ابتداء من ابراهيم ..

عند متى (١)	عند لوقا (٢)	
٢٤ ـ حزقيا	٢٤ ـ شمعون	٤٧ ـ ناحوم
٢٥ ـ منسى	٢٥ ـ لاوى	٤٨ ـ عاموص
٢٦ ـ آمون	٢٦ ـ متثان	٤٩ ـ متاثيا
٢٧ ـ يوشيا	٢٧ ـ يوريم	٥٠ ـ يوسف
٢٨ ـ يكنيا	٢٨ ـ اليعازر	٥١ ـ ينا
٢٩ ـ شالتئيل	٢٩ ـ يوسى	٥٢ ـ ملكى
٣٠ ـ زربابل	٣٠ ـ عير	٥٣ ـ لاوى
٣١ ـ ابيهود	٣١ ـ ألمودام	٥٤ ـ متات
٣٢ ـ الياقيم	٣٢ ـ قصم	٥٥ ـ عالى
٣٣ ـ عازور	٣٣ ـ أدى	٥٦ ـ يوسف
٣٤ ـ صادوق	٣٤ ـ ملكى	(النجار رجل مريم)
٣٥ ـ أخيم	٣٥ ـ نيرى	
٣٦ ـ اليود	٣٦ ـ شالتئيل	
٣٧ ـ أليعازر	٣٧ ـ زربابل	
٣٨ ـ متان	٣٨ ـ ريسا	
٣٩ ـ يعقوب	٣٩ ـ يوحنا	
٤٠ ـ يوسف (النجار رجل مريم) التى ولد منها يسوع (الذى يدعى المسيح)	٤٠ ـ يهوذا	
	٤١ ـ يوسف	
	٤٢ ـ شمعى	
	٤٣ ـ متاثيا	
	٤٤ ـ مآت	
	٤٥ ـ نجاى	
	٤٦ ـ حلى	

فماذا يعنى كاتب انجيل متى - بالذات - من التنصيص على أن (يهوذا ولد فارص من ثامار) الزانية ، (وسلمون ولد بوعز من راحاب) العاهرة المومس (وعوبيد من بوعز ولدته له راعوث) الموآبية الفاسقة ، ثم تكون الطامة بالتنصيص على أن (داود ولد سليمان من بتشبع) التى ادعى اليهود كذبا أن داود قد زنى بها وقتل زوجها ، ثم تزوجها ؟ .

والعجيب أن لوقا لا يخالفه فى كل ما سبق من هذه الأسماء ، الا أنه لم يستخدم أسلوب التنصيص الذى استخدمه كاتب انجيل متى ، ولم يخالفه إلا فى (سليمان) فجعل المسيح - حسب زعمه - من سلالة (ناثان بن داود وهو من بتشبع أيضا) بدلا من سليمان .

فهؤلاء (أربع نساء هن ثامار الكنعانية وراحاب الكنعانية وراعوث الموآبية ، وبتشبع ، وثلاثتهن أجنبيات) (١)

ومن العجيب أن المسيحيين معجبون ومعتدون بهذا النسب المشرف ، وبتلك : السلسلة ، وطالما يتفاخرون بها ، وباقرارهم بتدنيس نسب المسيح .

فلقد جاء فى قاموس الكتاب المقدس :-

(أن داود كان حلقة على غاية ما يكون من الأهمية فى سلسلة أنساب من هو ابن داود ، وهو يسوع المسيح ، وأن تاريخ أسلافه رائع وبديع ومجيد ، وباعث على الإلهام ، إلا أنه لم يخل من بعض لوثات الخطيئة فى بعض الأحيان) (١)

فماذا يعنى قول هذه النخبة من علماء الكتاب المقدس أن تاريخ أسلاف المسيح لم يخل من لوثات الخطيئة فى بعض الأحيان ؟ ألا يعنى أن قائمة نسبة - المزعومة - غير شريفة ، وأن من أجداده وجداته - الأعالى - زناة ، وابناء زنا ، وعواهر ؟ فهل هذا كلام يعقل ؟ (هل يعقل أن من تقدسه النصارى يكون أحد جدوده من الزنى ؟ ثم يرفعونه بعد ذلك الى مقام الألوهية ..) (٢)

انه بهذا النسب لا يحق أن يكون نبيا حسب شريعة التوراة ؟ فهل - رغم اعترافهم به أيضا - يكون الها أو ابن اله ؟

ان سفر التثنية الذى يقر بقدسيته المسيحيون يقول :

(لا يدخل مخصى بالرض أو مجبوب فى جماعة الرب (٣) ، لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب . (٤) ... لا يدخل عمونى ولا موآبى فى جماعة الرب .. لا يدخل منهم أحد فى جماعة الرب إلى الأبد) (٥)

ولوضممنا هذا النص التشريحى الاخبارى الى قائمة سلسلة نسب المسيح المصطنعة لخرج من دائرة جماعة الرب (القديسين والأنبياء) كل من داود وسليمان ويسوع المسيح ، ولا أى أحد من سبط يهوذا .

فهل بعد هذا يصر القوم على قائمة نسب المسيح المزعومة لدى كل من متى ولوقا ؟ وهل صحيح أن فى قائمتهم هذه — حسب عقيدتهم فيها — تمجيد للمسيح ورفعة لمكانته ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ؟؟

لا أخلاقيات قائمة النسب الانجيلى وأثرها على السلوك المسيحى :—

لا أحد يستطيع تجاهل مدى ماتسببت فيه قائمة النسب اللاأخلاقية — المزعومة — للمسيح فى الأناجيل ، من تأثير على السلوك المسيحى المعاصر ، فعلى وجه الدقة نظرا لشدة أخطارها ، وكثرة أضرارها ، لا يمكن حصرها ، غير أنى أقدم هنا شواهد وأدلة لتأثيرها على المسيحى فى كل فكرة وسلوكه ، خصوصا فى المجتمعات التى تتمتع بقسط من الحرية .

يقول العلامة المناظر الشيخ / أحمد ديدات :—

(ما مقدار الأضرار الدائمة التي انتجها الاغتصاب وهتك الأعراض والقتل والزنى بالمحارم التي يذخر بها الكتاب المقدس وتضمنها قائمة أنساب المسيح يسوع - وتأثيرها على أطفال النصارى ؟ يجيب فيقول :-

(تلك يمكن قياسها من أنباء جرائد نا اليومية) (١) (ولقد كتب الأخ سواجارت في كتاب له - زنا المحارم - فقال : ان زنا المحارم هو : الوصمة السوداء على جبين مجتمعنا - المجتمع الأمريكي - لقد انتشر بمعد لات وبائية زنا المحارم في بلدى البعض في جنوب أفريقيا - أى المسيحيين هناك - طبقا للاحصائيات ، ثمانية في المائه (٨ ٪) من مجموع البيض يقترفون زنا المحارم، واحد من كل اثنى عشر شخصا يقترف الزنا مع المحارم ، ولست أعرف تقدير المعدلات هنا - في أمريكا - ولكن الأخ سواجارت يخبرنا أن النسبة بلغت معدلات وبائية في بلدكم العظيم أمريكا ، ويضرب أمثالا لذلك من الكتاب المقدس فيذكر أن الإنجيل يحتوى على عشر حالات من زنا المحارم) (١) فليس غريبا اذن أن يبلغ هذا الشذوذ بين المسحيين - بمعدلات وبائية .

وإذا كان هذا - الضلال البشرى المفترى - (هو مصدر الأخلاقيات للغرب المسيحى فليس من العجيب إذن أن يقيم الروم الكاثوليك ، والمثورست - طائفة من طوائف البروتستانت - الميثاليون - حفلات زواج لمضاجعى الذكور - اللواطة - فى كنائسهم لدرجة أن قام ثمانية آلاف لوطى (٨٠٠٠) بمسيرة استعراضية فى حديقة هايد بارك بلندن ، فى يوليو عام ١٩٧٩م بتشجيع وهتافات من وسائل الاعلام) (١)

وإذا كانت هذه هى قائمة أنساب المسيح - عندهم - وهو الخليفة الطبيعى لحمل سلوكيات هذه الأنساب ، والمجد فى زعمهم بسببها ، فلا ضير أن نرى من بين القساوسة المسيحيين من يدعى أن المسيح كان شاذا جنسيا .

يقول الدكتور / جمعة الخولى :-

(والغريب حقا أن يقوم قسيس فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٠م باصدار كتاب اسماه (المسيح شاذ جنسيا) ، وقد تزول الغرابة إذا علمت أن هو القسيس كان يهوديا ثم تنصر وأصبح قسيسا ثم ألف هذا الكتاب - ولكن الذى يتعجب له حقا أنه لم يتحرك

مسيحى واحد فى الغرب — بل فى العالم — بأكمله للرد على هـــذه الافتراءات الصادرة ضد من يدعون أنه رسهم) (١)

ولكن لا عجب فما فى أناجيلهــم عنه أدهى وأمر ! فماذا بعـــد الحق الا الضلال ؟ وأناجيلهــم بما احتوت من شأن المسيح هـــى عين الضلال كله ، فهل بعد ذلك من لوم ؟

إنهم يجدون فى أناجيلهــم مسوغا لارتكاب كل قبيح من زنا ولـــواط وشرب خمر وغير ذلك ، فما المانع اذن ؟

(أن تعترف الكنيســة رسميا بأن المخادنة والمخاللة أمـــر لا تعترض عليه البتة ، وقد نصت الأناجيل ـ عندهم على مخاللـــة يوسف النجار لمريم والدة الههــم ، إن عيشــة رجل وامرأة كزوجيـــن — بدون زواج شرعى — أمر طبيعى ولا تعترض عليه الكنيســـة) (٢)

ولم الاعتراض ؟؟

(إن المسيح نفســه كان صاحب غراميات — هكذا قالوا — فـــى كتاب أسموه غراميـــات المسيـــح ، ثم جعلوه فيلما سينمائيا يعرض فـــى دور السينمـــا) (٣)

ومن ثم فلا عجب أن تذكـــر (صحيفـــة الديلى ميل ، وصحيفـــة

الديلي ميرور أن ٤٠ ٪ من الرهبان يمارسون اللواط ، وأن ٨٠ ٪ منهم زناة أيضا) (١)

وإذا كان هذا هو حال رجال الكنيسة ، فكيف يكون حال شعبها ؟ أو بعد هذا تظل المسيحية دينا مقدسا ؟

٣ - المسيح في الأناجيل ابن انسان ، وابن اله ، واله :-

ومن صور التخبط في تحديد مكانة المسيح من خلال نصوص الأناجيل ، ورود هذه الأوصاف الثلاثة ، وجميعها متنافرة ، يستحيل الجمع بينها ، اذ هي تماما كالذي يصف انسانا بعينه بأنه (أبيض أسود) و (طويل قصير) و (بدين نحيف) ... الخ هذه المتناقضات .

فانها لا تختلف البتة عن وصف الأناجيل للمسيح بصورة أنه (ابن انسان ، ابن اله) و (ابن اله ، اله) و (ابن انسان ، اله) .

فاما أن يكون واحدا من هؤلاء فحسب - جدلا - وإما ألا يكون قط وإذا كانت النسبة العقلية لا تسمح الا بكونه أحد هؤلاء الثلاثة ، فحسب - لا جميعها ، فمن يكون المسيح من بينهم يا ترى ؟

المسيحيون تقوم عقيدتهم في المسيح على أنه هو هؤلاء الثلاثة جميعا ، وقد جمع هذه الثلاثة الأستاذ / حبيب سعيد ....

علمائهم - قال : (لقد كان المسيح انسانا كاملا معصوما من الخطيئة ... ولكنه لم يكن عبقريا دينيا ولا مجرد رسول ، بل كان "كلمة الله وروحه" كان الها متجسدا ،..... و"التجسد": كلمة فى علم اللاهوت المسيحى تدل على أن "المسيح" قد صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده - مجدا كما لوحيد من الآب "الابن الوحيد لله" مملوءا نعمة وحقا) (يوحنا ١ : ١٤) ففى المسيح المتجسد نرى مشيئة الله وقصده ، وندرك طبيعته وذاته ، وحقه ومحبته) (١) واعتقد أن النص واضح للدلالة على حقيقة ما أشرت اليه ، فالمسيح - عندهم - إنسان كامل البشرية وابن انسان ، وهو فى نفس الوقت ابن الاله الوحيد ، وهو الله أيضا ، خرافة .

وهذه هى نصوصهم الأناجيلية المقدسة تجمع هذه المتناقضات فى شخص المسيح :-

أ - ابن الانسان :-

وصف ارتضاه المسيح لنفسه ، ولم يقبل أن يتصف بغيره (كاله أو ابن إله) وقد قدم المسيح الأدلة الكافية - طيلة حياته - على انسانيته وبشريته - وسوف نأتى لهذا بمزيد بيان - فلقد باشر حياته شأنه شأن سائر البشر ، فى حياة

حقيقة رآه فيها معاصروه بشرا سويا ، وقد تكرر وصف "ابن الانسان" الذى أطلق المسيح على نفسه - وهو على ما اعتقد قريب جدا - لوصف القرآن له دائما بابن مريم. (١) - فى الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا) كثيرا (٢) ، أذكر منها :-

١ - فى متى : " فقال له يسوع ... وأما ابن الانسان فليس له أن يسند رأسه) (٣) ولم يعرفه الناس سوى انسان (فتعجب الناس قائلين أى انسان هذا !) (٤)

ويعطى عن نفسه صفتين أساسيتين فى البشر لا يوصف بهما من ادّعى الها أو ابن اله فيقول : (جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون هو ذا انسان أكول .....) (٥)

ودعا تلاميذه ألا يتصوروه بغير هذا التصور ، وأن يعلنوا ذلك على الناس فقال (ولما جاء يسوع الى نواحى قيصريه فيلبس سأل تلاميذه قائلاً : من يقول الناس أى عنى ؟ إنى أنا ابن الانسان) (٦)

٢ - فى مرقس : يقول (فدعاهم يسوع وقال ... من أراد أن يصير فيكم عظيما يكن لكم خادما ، ومن أراد أن يصير فيكم أولا يكن للجميع عبدا ، لأن ابن الانسان أيضا لم يأت ليُخدَم بل ليَخدُم .) (٧)

وهي منه تربية سلوكية أخلاقية لهم ، وإن عليهم أن يتمثلوا به في هذا ، بأن يخفض كل منهم جناحه للآخر كما كان هو بينهم ، وليس بالعسير عليهم الاقتداء به لأنه انسان ذو طاقة محدودة مثلهم ، (فكل مخلوق منا يتأسى ويقتدى بالمخلوقات أمثاله ... والانسان يقلد الانسان ، ولا يستطيع أن يقتدى بإله أو ملك أو جان) [١] ، نظرا للفوارق الذاتية بين كل والآخر ، ولو طالب منهم يسوع أن يقلدوه وهو - اله - أو ابن اله - لظلمهم ، وهو لا يليق بالإله ولا ابن الإله .

٣ - في لوقا : - " ان ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص) [٢] وما أظنه الا مؤكدا لما قبله من الدعوة للاقتداء به ، في كل شيء ، لأن في اقتدائهم به حماية لأنفسهم من الهلاك في المعاصي ، وخلاصها من الخطيئة والعذاب .

٤ - في يوحنا : " وقال - أي يسوع - له - نثنائيل - الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان) [٢]

ولكن لم يهدأ يوحنا - كاتب الانجيل - حتى جعل من الانسان (ابن الانسان) وثنا مرفوعا يعبد من دون الله ، أشبه بالحية النحاسية التى - ادعى اليهود - أن موسى قد نصبها لهم يطوفون حولها للشفاء ، فيقول : (وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الانسان) (١) أى ينصب وثنا مثلها ، وذلك بجعله إلها أو ابن إله ، ونيته واضحة فى هذا بدليل تعقيبه على هذا مباشرة بقوله (الذى يؤمن به لا يدان ، والذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد) (٢)

وبعد أن ذكرت أقوال الأناجيل الأربعة ودلالتها فى تسمية المسيح لنفسه باسم (ابن الانسان) أذكر أقوال علمائهم فيه :-

يقول "فولتون شين" :-

" لم يستخدم يسوع فى وصفه لذاته لقبا أكثر من هذا اللقب الذى صاغه هو نفسه لنفسه (ابن الانسان) وقد استخدمه

السيد أكثر من ثمانين مرة ابان حياته ، منفردا هو نفسه بهذه التسمية لذاته ، فلم يناده أو يذكره بها أحد من أحبائه أو أعدائه ..... ، فلقب (ابن الانسان) يؤكد أخوته للبشر ولكن البشر ما كان لهم أن يصيروا أخوته ، مالم يكونوا واياه أبناء لأبيه الذى فى السماء) (١)

(انه يقرر : أنه وإياهم لا يكونون أبناء الله إلا بالتزامهم بتعاليم الله ، وهذا يعنى أنه لا فرق بين يسوع وغيره من الناس فى التكوين الطبيعى ، ولا فى النبت الوجودى - بمعنى أنه ليس ابنا أزليا - كما ادعى أقرانه فى عقيدتهم ، وكذلك فهو ليس من جوهر الله أيضا ، انه فقط ابنا بالايمان ، مجازا - لا حقيقة ، يساويه فى هذه الدرجة كل المؤمنين بالله مثله والملتزمين بتعاليمه

وعلى هذا فمسيحيوا التثليث ليسوا منهم يقينا .

ومن بنى جنسهم أيضا يقول : " أميل لودفيج " :-

(لم ينكر المسيح يسوع فى أنه أكثر من نبى ، وليس بقابل أن يرى نفسه فى بعض الآيات دون النبى ، ولم يحدث أبدا مع مسيح

مايخيل به الى السامع أن له خواطر وآمالا فوق خواطر البشر وآمالهم ..... والآن يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه بقوله عن نفسه (ابن الانسان) وقديما أراد الأنبياء أن يلفتوا الأنظار الى الهوة الواسعة التى تفصلهم — ذاتيا — عن الله ، فكانوا يقولون عن أنفسهم أنهم (أبناء الانسان) ومن هؤلاء دانيال وحزقيال الذان أظهرا الرب مخاطبا كل واحد منهما (يابن الانسان) أى يا آدمى ضعيف هالك ولد ليفنى ، ولكن مع استعداد لنيل عفو الرب) (١)

فهذا هو قول المسيح عن نفسه بشهادة الأناجيل — المعتمدة — وشهادة عالمين من علماء المسيحية ، وليس بخاف من خلالها صراخات المسيح العديدة المدوية فى الأسماع ببشريته وانسانيته ، فماذا قال غير المسيح عن المسيح فى الأناجيل ، ولماذا سادت عقيدة غيره فيه ، عن عقيدته هو نفسه التى أعلنها عن نفسه ؟ ..

ب — ابن الله فرية بوليصية مقصودة أفسدت ملة المسيح :—

لم يدع المسيح قط أنه (ابن الله) ، ولم تجر هذه

الكلمة على لسان المسيح فى الأناجيل الأربعة ، وأن ماورد منها منسوبا اليه تلفيق اختلفت فى صيغته الأناجيل .

والحق أن فكرة المسيح (ابن الله) فكرة شيطانية ، لم يخرجها فى حياة المسيح - حسب ماذكرته الأناجيل - إلا على السنة الشياطين من الانس والجن ولم تكن تلق رواجا لمقاومة المسيح لها بلعنه للشياطين وطردهم - حتى تبنى إثباتها وصفا للمسيح ، لتحل عقديا - محل ابن الانسان - شيطان المسيحية الأكبر "بولس" (فلقد كان بولس أول من دعاه ابن الله ، ورفض وصفه باسم "ابن الانسان" الذى لم يعرف المسيح وتلاميذه وصفا غيره للمسيح) (١)

(ومعلوم أن لفظ "الابن" بمعناه الحقيقى باتفاق لغات أهل العالم ، أنه المتولد من نطفة "الأب" الملقحة لبويضة "الأم" وهو بهذا المعنى محال على الله ، اذ من المحال أن تكون له صاحبه ، أو يوجد له ولد يتولد منه - ومن ثم - فلابد من حمل اللفظ - إن وجد - على معنى مجازى يناسب شأن المسيح عيسى ابن مريم ، بحيث لا يحط من قدر الله - تعالى - ولا يرفع

المسيح فوق قدر نفسه) (١) ولا أدرى لماذا حمل المسيحيون لفظ " البنوة " على حقيقته ، رغم وجود العديد من القرائن التى تؤكد ضرورة صرفه الى المعنى المجازى .

أدلة بطلانها :-

أولا :- أن المسيح لم يطلق لقب " ابن الله " قط على نفسه ، وانما كان اللقب السائد له " ابن الانسان " و " خادم الله " ولم يطلقه عليه الاثنا عشر .

ثانيها : أن اطلاق هذا الاسم على المسيح من صنع بولس " وهو ليس أحد الحواريين ولا تلميذا من تلاميذ المسيح ، وأنه كان السبب الرئيسى فى العداء الذى فرق بينه وبينهم ، فلم يكن الاثناء عشر ليوافقوا على نعت عيسى و " ابن الله " مكتفين بتعبير " خادم الله " (*) أما عند بولس فلقب " ابن الله " لقب كثير الاستعمال بالنسبة الى عيسى .

ثالثها :- أنه يستحيل عقلا وشرعا قبول كون المسيح " ابنا لله " بالمعنى الحقيقى على فرض قبوله (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) (٤)

---

(٤) سورة مريم آية رقم ٣٥ .

رابعها :— أن عقيدتكم في المسيح بكونه "ابنا لله" على الحقيقة، مخالف لاستعمال أناجيلهم ذاتها للفظه، فهلا رجعوا إليها ؟!

استعمال اللفظة في الأناجيل مبطل لعقيدتهم في المسيح :—

١ — ففي انجيل متى :— "أطلقت اللفظة على غير المسيح، فقد روى عن المسيح أنه كان يقول (طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون) (١)

وكذلك قوله (لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات) (٢)

٢ — وفي لوقا : يقول في نهاية سلسلة نسب المسيح ان (آدم ابن الله) (٣) ..

ويقول أيضا (أحبوا أعداءكم وأحسنوا المعاملة ... فتكون مكافآتكم عظيمة وتكونون أبناء العلي .. فتكونون أنتم رحماء كما أن أباكم رحيم) (٤)

٣ — وفي رسالة "يوحنا الأولى" : "يا أيها الأحباب نحن أبناء الله" (٥)

٤ — وفي انجيل يوحنا : "ليس فدى الأمة — وحسب — بل أيضا

ليجمع أبناء الله المنشقين فيجعلهم واحد ". (١)

ومن ثم نرى أنها ليست خصوصية لعيسى ، فإما أن يكونوا جميعا بالمعنى الذى يقصدونه (البنوة الحقيقية) ، فيصير الكل آلهة ، وإما أن يكونوا جميعا أبناء بالمعنى المجازى على أنهم أحباب الله (٢) ، غير أنهم لا يقولون بالبنوة الحقيقية الا فى حق عيسى (٣) بلا قرينه ولا براهين ، يقوم عليها هذا التخصيص ، مخالفين بذلك النقل والعقل معا .

يقول الدكتور / محمد وصفى :-

(ان كتب المسيحيين تقول ان أتباع المسيح جميعهم ولدوا من الله ، وذلك كما جاء فى (١ يو ٥ : ١) كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله " ومثله ما جاء فى (١ يو ٤ : ٧) " فكل من يحب فقد ولد من الله " فلا مشاحة هناك فى وجوب تأويل الولادة ، بما يطابق العقل) (٤) ، ولقد جاء فى يوحنا مايفسر ذلك وهو قوله " لأجل هذا ظهر ابن الله لكى ينقض أعمال ابليس ، كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيه ، لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ ، لأنه مولود من الله ، بهذا

أولاد الله ظاهرين وأولاد ابليس".(١)

وبهذا يظهر أنهم في عبارات الانجيل - أى انجيل - (كانوا يستعملون لفظ " ابن الله " في حق الصالحين الأبرار المؤمنين بالله ، المحبين ليسوع ، كما يطلقون لفظ " ابن ابليس" على الطالحين المفسدين الأشرار أعداء الله وأعداء المسيح يسوع،

وهذا واضح من قول يوحنا - صاحب الانجيل (قال لهم يسوع - أى لليهود - أنا انسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله ... فقالوا لنا أب واحد هو الله ، فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى ... انتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا) (٢)

فهل هم أولاد إبليس على الحقيقة ؟ لو كانوا أولاد إبليس على الحقيقة ، لكان المسيح ابنا لله على الحقيقة .

خامسها :- هل يعرف الصليبيون المسيح أكثر من نفسه ؟؟

المسيح يقول (أنا انسان قد حدثكم بالحق الذى سمعه من الله".(٣) ، إنه يقول "أنا انسان" ولم يقل "أنا ابن الله" قال أنا "أحدثكم بالحق الذى سمعته من الله ولم يقل "أنا

الله الذى أحدثكم " فهل يعرفه المسيحيون الصليبيون أكثر من نفسه ؟

المسيح يقول : (انتم تدعوننى معلما وسيدا وحسنا تقولون لأنى أنا كذلك) (١)

ويقول : (ليس عبدا أعظم من سيده ، ولا رسول أعظم من مرسله) (٢)

ويقول : (تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى) (٣)

ويقول : "إن الله أعظم منى ".(٤) ، " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا ".(٥)

وقد حكت الأناجيل عجزه فعلا ـ عن تقديم ـ معجزة ، يقول مرقس (ولم يقدر هناك أن يصنع ولا قوة واحدة) (٦)

وقد شهد المسيح نفسه على جهله بأمور المستقبل فقال (أما ذلك اليوم ـ القيامة ـ وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا الملائكة فى السماء ، ولا الابن ـ كما تزعمون ـ الا الآب ".(٧)

وعبارة (ولا الابن) أضافها مرقس فى انجيله ، أما متى فلم يثبتها (٨) ، وأما عند " لوقا " فهى بأثرها محذوفة ولا وجود لها (٩).

ومن ثم نرى أن عبارة (ابن الله) قد أضيفت بقصد فى نص انجيل " مرقس " السابق ، كما أضيفت بقصد فى مطلع الانجيل المنسوب

إليه إذ عنون له (بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله)[1] (وجدير بالذكر أن من بعض المراجع القديمة الموثوق فيها - لهذا الانجيل - تحذف - أى لم يكن مدونا بها عبارة - ابن الله " وهذا يؤكد أنه قد حدثت عمليات حذف - الحقائق - واضافة - لأباطيل - من بينها عبارة " ابن الله " خضعت لها الأناجيل ، ونسبت الى المسيح ، وهو لم يتلفظ بها حقيقة)[2]

ويوحنا - صاحب الانجيل - يثبت فى انجيله أن عقيدة (ابن الله) بالنسبة للمسيح وما كانت ثابتة فى عصره ، وأنها لم تكن شائعة على الساحة - بالمعنى الذى قصده هو بها - كأساس لتألية المسيح ، وأنه هو نفسه قد كتب انجيله ليجعل من المسيح ابنا لله بالجسد (وميزه عن بقية أبناء الله المؤمنين ، بعبارة " الإبن الوحيد ") اذ يقول : (وآيات أخرى كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذه ، لم تكتب فى هذا الكتاب ، وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا بأن المسيح هو ابن الله)[3] . فهل هؤلاء أعرف بالمسيح من نفسه ؟؟

سادسها : - أن المسيح انتهز قائليها فهل يقولها هو ؟

إن المسيح - عليه السلام - لم يقل قط إنه " ابن الله " ،

وإنما (قال "إنى "عبد الله") (١)

وقال (إن الله ربى وربكم فاعبدوه) (٢) ومثله فى الانجيل قول — المسيح : "انى ذاهب الى أبى وأبيكم الهى والهكم" (٣) — قالها للحواريين قبل رفعه — وقوله : (انه مكتوب على كل بشر ألا يعبد إلا الله ولا يسجد لشىء سواه) (٣) — قالها ردا على الشيطان حين طلب منه أن يسجد له، وواضحة لفظة "كل بشر" ، إن الكلام له ، والرد عليه صادر منه هو ..

وهى فى الترجمة الحديثة "قال له يسوع اذهب يا شيطان . لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (٥) وغير هذه النصوص كثير .

ان المسيح لم يقل عن نفسه مجيبا الشيطان للرب أبيك تسجد ، أو لم يقل ، لأنه مكتوب على الإبن أن يسجد للآب وانما النص واضح ، والحجة عليهم من أناجيلهم .

ان المسيح الذى دعوه ابنا لله يقول إنه رسول الله وليس ابن الله .

يقول : "يجب على الناس أن يعلموا أنك أنت الله الواحد الخالق ، وأنك أرسلتنى" (٦) قالها وهو يبتهل ويتضرع إلى الله ، فهل يستساغ بعد ذلك القول عن المسيح بأنه ابن الله أو أنه إله ؟

وقد يقال ان المسيح الذى قال هذا هو نفسه الذى قال ذاك .

ونجيب فنقول : إنه من المحال أن يفترى المسيح على الله ؟ ان المسيح لم يقل إنه اله أو ابن اله ؟ عودوا الى مصادرهم — تجدون أن المسيح قد انتهر قائليها ، وأن الذين قالوها هم الشياطين ، وقد رددها شياطين الإنس بعدهم واثبتوها فى أناجيلهم حال التدوين والترجمة ، فأخذوها منهم على أنها وحى مقدس ، ثم توارثوها عقيدة وليس من المعقول أن ينتهر المسيح قائليها ويزجرهم ثم يقولها هو ، أم أنه معقول عندهم ومقبول أن يتناقض المسيح مع نفسه ؟ واذا كان ينتهر الشياطين فهل يسكت على البشر ؟

يقول لوقا : (وكانت شياطين أيضا تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله ، فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون) (١)

ترى لماذا ؟ هل (لأنهم عرفوه أنه المسيح) (٢) كما يقول لوقا ، أو انتهرهم تواضعا منه ؟؟

أقول : ان المقام ليس مقام انكار ، ولو كانت هذه هى حقيقة المسيح فما الدافع لتواضعه اذا ؟

يقول أحد الباحثين : (وانى أعلم أن بعض الناس قد يقول إن قول لوقا

" لأنهم عرفوه أنه المسيح قد يكون قيد للمعنى ، وأن المسيح انتهرهم تواضعا ، ولكن المقام ليس ذلك مطلقا ، فمقتضى الحال يوجب التصريح بالحقيقة ، ولو كان المسيح هو ابن الله بالمعنى الذى يريدونه ، لما نهر الشياطين المضلة التى ليس التبليغ من شأنها ، عن تكنيته بالكنية اللازمة) [1] ترى لو كان هذا اللقب صادقا فى حق المسيح ، أيستساغ انكاره له ولعن قائليه ؟ أليس بالأحرى مكافأتهم ؟ واذا سقطت البنوة فقد سقطت الألوهية ، لأنهم يقولون (بأن المسيح لم يصر الها الا لكونه ابن الله) حسبما قرر المجمع النيقيوى فيما أسماه المسحيون (بقانون الايمان) وهو الذى عليه المسيحيون الى اليوم [2] ، فهو عندهم (الابن مثال الأب) أو بمعنى أدق (صورة الله المنظورة الذى لم يره أحد قط) (*)

٣ ـ فلسفة المسيح الابن الاله عند المسيحيين :ـ

يقول الانبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافية القبطية والبحث العلمى ، موضحا فلسفة المسيحيين فى المسيح الإبن والاله معا (الابن الوحيد لله هو المسيح ، لا

بمعنى أن الله يلد كما يلد الانسان ، معاذ الله ، - وليته قال هذا وصمت - إلا أنه عاد فنكص على عقبيه ، وأبطل صدقه فيما قال ،
فقال : ولكن لأن الله وهو الغير منظور صار منظورا فى المسيح ...
فالمسيح ابن الله بهذا المعنى ، لأنه هو الصورة المنظورة لله الغير منظور فى لاهوته ،... لذلك فان الله اتخذ جسدا ،
وهذا الجسد هو المسيح ، فالمسيح الابن .. هو الله ذاته متجسدا ، اتخذ طبيعة الانسان ، وصار فى صورة الانسان
... أى تأنس من دون أن يتغير الله ... فالمسيح - الابن -
هو الله الذى كان ولم يزل الها ، - ثم يتخبط فيقول - وليس التجسد غير صورة من صور الحلول من دون أن يكون هناك انحصار لله فى الجسد المحدود) .(١)

ولا أرى كيف يكون الله - على زعمه - قد حل فى الجسد "يسوع" المحدود ، بمكان وزمان ، وحركة وسكون ، ويقظة ونوم ، وهو فى الوقت نفسه لا يكون منحصرا فى هذا الجسد المحدود ؟..
ولو أن هذا الكلام صدر من مسيحى عادى لقلنا رجل يهذى اختلط

عليه فكره وتاه عقله ، لكنه — للأسف — صادر من قلم رجل مسئول ،
أسقفاطما ، واستاذ للدراسات العليا اللاهوتية .

ان هذا الكلام — الذى لا يقبله عقل فى مرحلة الطفولة — والذى
هو صلب العقيدة المسيحية قد بنى على أهداف خاصة تبناها بولس
الرسول — فى زعمهم — ووضع أصول فلسفتها ، بأن ربط هذه العقيدة
جميعها بفكرة فلسفية واحدة هى (الخلاص بالصلب والفداء) —
بالمسيح ابن الله الاله الوحيد .

(ولهذا أغمض بولس عينه عن كل ماجاء فى — ملة المسيح —
مسيحية المسيح ألحقه الفاضلة وأقام بدلا منها مسيحيته الصلب
وسفك الدماء — التى أعلنها بوضوح تام — فقال "إنى لم أعزم
أن أعرف شيئا بينكم ألا يسوع المسيح — ابن الله الاله — وإياه
مصلوبا) (٢) وذلك من وجهة نظره ، لأجل الصلح مع الله
الذى طالت الخصومة بينه وبين البشر بسبب الخطيئة الأولى
لآدم عليه السلام — فيقول :—

" ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه " (٢) الذى
لم يشفق عليه — على ابنه — بل بذله لأجلنا أجمعين " (٣) ....

فالله العادل ماكان ليترك الانسان دون أن يقتص منه بمحاسبته على خطيئتــه ، والله المحب للانسان ماكان ليحاسب الانسان علـــى خطيئتـه لأنه أحب الانسان ، وإن عاداه ، لذلك قامت فلسفــــة بولس فى تكييف مسيحيتــه ، على أن الله نفســه قد تولى عـــــن الانسان مهمة التكفير عن الخطيئـة ، ومن ثم تجسد فى صورة الابن ـ الذى هو المسيح يســوع ـ ليفتدى البشريــة ويتصالح معها بالإنتحار على الصليب ، يقول غريغوريوس :ـ

" وبهذا يكون عمل الفداء فى الصليب ، تجلى فيه عـدل اللــــه كما تجلت فيه محبتــه أما عدل الله فقد تجلى فى عمل الله الفــــداء والكفارة ، لأن الله اذ حكم على الانسان بالموت (تكوين ٢ : ١٧) ، ،، كان ممكنا أن يسقـط كلام الله : تزول السمـــاء والأرض ، أمـــــا كلامى فلا يـزول (متى ٢٤ : ٣٥) ، (مرقس : ١٣ : ٣١) ولذلـــك فإن الله الذى أراد الخلاص للانسان لم يـغفر له بغير كفاره ، قـــام بها الله ذاته فى المسيح ، اذ اتخـذ له جسدا ، فنفـذ عدل اللـه فى المسيـــح بدلا من الإنسان ، فـفـدى بـذلك الإنسان وهـــذا

هو معنى الفداء .. أى أن الله تنازل — من عظم محبته — فصار هو بديلا عن الإنسان ، وبموته فى الجسد نفذ الحكم الالهى كاملا فأرضى بذلك عدله) [١]

وهو ماعبر عنه بولس بقوله (متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح) [١] وبقوله (الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح) [٣] — وهو الله نفسه لأن عقيدته (الله ظهر فى الجسد) [٤]

وينقل الأنبا موسى — أسقف الشباب — عن القديس اثناسيوس قوله :

(وهكذا الله ، كلمة الآب ، — أى المسيح — الكلى الصلاح لم يهمل الجنس البشرى ، صنعة يديه ولم يتركه للفساد ، بل أبطل الموت بتقديم جسده ، وعالج إهمالهم بتعاليمه ، ورد بسلطانه كل ماكان للإنسان ، ولذلك لجأ — الله — الى الحل الأخير وهو أن يأتى بشخصه ليخلصنا لملكوته السماوى) [٥]

وهذا اعتراف منهم بأن الله هو بعينه الإبن بالجسد ، وأنه مات على الصليب (إذ وجد فى الهيئة كانسان — أخلى نفسه آخذا

صورة عبد صائرا فى شبه الناس — وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب) (١) . إنهم يقولون ان الله مات على الصلب لأجل البشر ، فهل هناك تحريف أكثر من هذا ؟ ولن يستطيع مسيحى فى العالم أن يؤول هذه النصوص ، لأن ألفاظها صريحة وواضحة وضوح الشمس لا ينكرها سوى العميان .. ولا يستطيع مسيحى فى العالم أيضا — اتهامنا بالخروج عن الحقيقة والتجنى عليهم — فتلك نصوصهم ... هم . هذه هى حقيقة المسيح — عندهم — الله المذبوح تكفيرا عن خطايا البشر ومن ثم ظهر كابن لله بالجسد ، لكنه فى الحقيقة الله الذى لا يراه أحد أو ليس يجعله ابنا بالجسد كما زعموا يكون قد رآه الناس ؟ أو ليس فى ذبح الناس له وصلبه على الصلب اهانة له — وهو بشر — فكيف لو كان الها ؟ وإذا كان المسيح — عندهم — هو الله — المتجسد فى صورة البشر ، الذى مات على الصليب ، فمن يا ترى قام على أمر الكون فى غيبته الله ؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ومن يا ترى يكون المسيح ابن مريم — وسط هذا التخبط الأناجيلى ؟ هل هو يسوع الانسان ابن الانسان ؟ أم هو الانسان

ابن الله ؟ أم هو ابن الانسان وابن الله معا ؟ أم هو الله الانسان ؟

بكل هذا قالت الأناجيل وهو مالا يقول به عاقل قــط ، ولا يقبل منها

الا أنه عيسى ابن مريم (الانسان فحسب) ..

خطر دعوى ألوهيــة المسيح على الدين والمجتمعــات :ــ

ان القول بألوهيته المسيح ــ ــ لا ينحصر ــ خطره

(بالكاد) عــلى الطعن فى مكانــة عيسى ابن مريم ــ عليه السلام ــ

فحسب ــ وانما هو خطير غاية الخطورة على الدين والمجتمعـــات

الانسانيــة كلهــا ، لأن عيسى (إنسان) خرج من فرج مريـــم ،

(باجماع) شأنه شأن سائر البشر فى هذا الأمــر ، ان القول بألوهيتــه

يسمح للآخرين أمثاله من البشر أن يصيروا أيضا آلهـــة ، بمعنى

أن كل انسان يكون إلهاً لنفســه ، خصوصا وأن عقيدة المسيحيـــن

لا تتورع من القول بأن الله ــ الذى هو المسيح بالجسد ــ قــد

مات على الصليب ، فمن بعد هذا يعتقد فى وجود إلــه ثبـــت

عجزه وتذلله ؟ انهم بذلك يدعون الإنسانية الى الالحاد والكفــر .

لقد سبقوا الشيوعية إلى القول بأن (الإله خرافــة) ، وأن

(الانسان هو الاله) فلا اله ولا دين ولا إيمان بأى شيء مغيب وراء المادة) (١) والانسان فى نظرهم هو المادة المحركة لكل مادة سواه ، ومن ثم فهو الإله ، (وبذلك يمكن القول بأن الشيوعية كانت حلقة من حلقات التطور الفكرى للمسيحية ، تمتد جذورها بسبب أو بآخر إليها) (٢) ، وإن ظهرت كبديل عنها ورد فعل لها (٣) .

ويؤكد ذلك ماذكره الدكتور / "وولتر أوسكار لندبرج" فيقول :-

(ان جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله على صورة إنسان ، بدلا من الاعتقاد بأن الانسان قد خلق خليفة لله على الأرض ، وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية ، فان تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر ، لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم فى التفكير ، أو مع منطق مقبول ، وأخيرا عندما تفشل جميع المحاولات للتوفيق بين الأفكار الدينية القديمة - الموروثة - وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمى ، تجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية) (٤)

ويعلق أحد المهتدين على ذلك فيقول :—

(ان العالم الأمريكي يقرر أن تمثيل رجال الدين ، الله بإنسان مكونا من ثلاثة عناصر أو أجزاء — ذات ، ونطق ، وحياة ، هذه الصورة الغريبة التي تخالف كل فكر وطبع ، والتي يسعى رجال الدين جاهدين في دعوة الناس الى تقبلها تجعل المسيحي المثقف [1] في صراع دائم بين هذه الأفكار ، وبين عقله ومنطقه وفي دوامه هذا الصراع ، إما أن يصل الى الحقيقة ويجهر بها معلنا التوحيد الخالص — لا اله الا الله — واما أن يفضل السلامة ، بالالحاد) [2] لكونه لا يرى سوى المسيحية الصليبية وحدها ، ومن ثم فاعلانه للتوحيد وهدايته إليه يكون برفض التثليث المسيحي ، اعتمادا على العقل ، وهو في هذه الحالة أقرب الى النفي بالالحاد منه إلى الاثبات بالايمان ، اللهم الا أن يتبصر بنور الاسلام فيهتدى .*

فأى خطر أعظم على البشرية — بعد ذلك — من المسيحية الصليبية ، التي أطاحت بالمسيح وملته ، ودفعت

البشرية دفعا نحو الالحاد والكفر الصريح سلبا وايجابا فلئن كان المسيح هو الله فالالحاد أفضل ، ولئن كان ثالث ثلاثة فذالك هو الكفر بعينه ، والدافع الرئيسى نحو الالحاد أيضا فكليهما كفر .

أو ليست هذه هى الحقيقة التى قررها الله - عز وجل - قديما - فى القرآن الكريم فقال : " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، وانه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار .. " (١)

وقال : " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا الله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون الى الله ؟) (٢)

وبامكان الباحث أن يقدم من نصوص الأناجيل - المعتمدة - لدى المسيحيين أدلة كثيرة واضحة - تماما - فى ابطال دعوى ألوهية المسيح منها على سبيل المثال :

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٧٢ .
(٢) سورة المائدة آية رقم "٧٣ ، ٧٤ " .

مانسبه يوحنا الى المسيح - فقال "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته " (١)

واذا كانت هذه مما يؤولها النصارى لتتماشى مع عقيدتهم فهناك مالا يمكنهم تأويله لصراحته .

ففي انجيل مرقس : "جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله : يامعلم : - أى وصية هي أول الكل ؟ فأجابه يسوع : - ان أول كل الوصايا : اسمع يااسرائيل الرب الهنا رب واحد ، وتحب الرب الهك من كل قلبك .. فقال له الكاتب : جيدا يامعلم : بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه" (٢)

وفي يوحنا : "أن الله لم يره أحد قط" (٣) .. وغيرها كثير لكنهم يؤولون كل هذا بالإعتماد على عقيدة الحلول في الابن وأنه هو الله الواحد نفسه ، وقد سبق الكلام في إبطال عقيدة الابن أصلا ، ومن ثم يبطل مابني عليها ، ويثبت أن الله هو الله وليس المسيح ، فالله خالق ، والمسيح مخلوق ، ومن المحال عقلا

أن يصير المخلوق هو الخالق .

والاسلام حازم تماما وواضح غاية الوضوح في رفض هذه الدعاوى المسيحية الكاذبة ، والتأولات الباطلة ، فالحمد لله أن جعلنا مسلمين ، ونسأله أن يمكننا من التبصير به .

المسيح يعرّف بحقيقته فهل يكفون عن اطرائه :-

اننا نؤمن بكل قول في الأناجيل يضع المسيح في موضعه الصحيح - الذي رسمه له القرآن الكريم - وهو أساس العقيدة الصحيحة فيه وفي سائر اخوانه من الأنبياء والمرسلين جميعا فلا هو ابن لله ، ولا هو الله ، ولا هو ثالث ثلاثة ، وانما هو كما قال الله عز وجل :-

" ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون"(١)

وحقيقة : فإن المسيحيين - في عقيدتهم - قد مالوا الى الافك ورفضوا الحق رغم قيام الأدلة عليه ، غير أن هذا الحق

(١) المائدة آية رقم " ٧٥ " .

الذى رفضوه هو أيضا فى أناجيلهم قرين الباطل الذى اعتقدوه وأقروه ، وإنه بالنظر فى تلكم الأناجيل قد وجد الباحث أن المسيح عليه السلام - قد عرف النصارى بحقيقة مكانته فيها على النحو التالى :-

المسيح نبى الله ورسوله :-

لقد قدم المسيح عن نفسه أعظم شهادة بإمكان كل طالب - للحقيقة أن يراها بوضوح وبإمكان كل مدافع عن الحق أن يعلنها فى وجه الصليبيين المغالين ، هذه الشهادة لم نكتبها نحن ولم نحفظها فى مخطوطات لدينا ، وإنما كتب بأقلامهم هم ، وحفظتها خزائنهم هم ، وترجمها علماؤهم هم ، إنها إعلان المسيح عن نفسه أنه نبى الله ورسوله الذى يعانى من عنت قومه كما عانى إخوانه الأنبياء جميعا فقال : "وقد كانوا يعثرون به : ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه ، وبين أقربائه وفى بيته ، ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة" . (١)

وكانت نبوته حقيقية أعلنها يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) حين قال عنه : (هو يشهد بما سمع ورأى ، ولا أحد يقبل شهادته على أن الذى يقبل شهادته يصادق على أن الله حق ، لأن الذى

أرسله الله يتكلم بكلام الله) (١)

عزيزى : دقق النظر فى قول يوحنا المعمدان (لا أحد يقبل شهادته) و(ومن لا يقبل شهادته لا يعرف الله حق معرفته) فعلى من تنطبق هذه ؟؟

إن أحدا من المسيحيين لم يقبل شهادة المسيح عن نفسه بأنه نبى الله ورسوله كذلك لم يقبلها أحد من اليهود .

وقد ثبت بالدليل القاطع أنهم جميعا قد كذبوا المسيح فى شهادته (وأن خاصته لم تقبله) (٢) الاعلى أنه اله وابن اله فاقعدوا الله حق قدره ، برفضهم شهادة المسيح الحقة ، وانكارهم أنه نبى الله ورسوله ، والضابط لهذه الشهادة من خلال الحقيقة التى أعلنها يوحنا ـ عليه السلام ـ هو أن عيسى ـ عليه السلام ـ (رسول الله الذى يتكلم بما سمع من كلام الله) .

ومن ثم كان الوصف الشائع عنه أنه " معلم " .

يقول لوقا : " فراقبوه ـ أى الفريسيين ـ وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكى يمسكوه بكلمة ، حتى يسلموه إلى حكم الوالى وسلطانه ، فسألوه قائلين يا معلم نعلم أنك بالاستقامة

تتكلم وتعلم ، ولا تقبل الوجوه - الرياء - بل بالحق تعلم طريق الله) (١)

وكما أطلقه الفريسيون عليه ، كذلك نا داه به أيضا تلاميذه وحواريوه ، وأثنى عليهم لأجله فقال :-

" انتم تدعونني معلما وسيدا ، وحسنا تقولون لأنى أنا كذلك" (١)

وقد أكد في الإنجيل أنه ليس معلما من ذاته ، وانما هو حامل رسالة أوحى الله بها اليه ليس له فيها من فضل أو تميز سوى البلاغ وهذه هي نصوص كتبهم تقول :-

١ - لا أطلب مشيئتي ، بل مشيئة الله الذى أرسلني " (٣)

٢ - " تعليمي ليس لي ، بل للذى أرسلني ، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم ، هل هو من الله ، أم أنا أتكلم من نفسي ، من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم " (٤)

٣ - " لم أتكلم من نفسي ، لكن الله الذى أرسلني هو اعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم ؟ ؟ " (٥)

انه يقرر بوضوح :-

١ - أنه لا مشيئة له في شيء ، وأنه ماجاء ليطلب من أحد إثبات

مشيئة له وأن شأنه فى ذلك شأن سائر البشر ، الواقعين تحت سلطان الله وارادته .

٢ ـ أنه رسول الله إلى بنى اسرائيل ، لإبلاغهم وحى الله ، بمشيئة الله ، ولو شاء الله ألا يكون عيسى رسولا ماكان ، ولذلك وضع لهم ضابطا للفرق بينه وبين الله ـ عز وجل ـ فالذى يتكلم من عند نفسه تشغله الأنا) ، وتسيطر عليه فيمجد نفسه ، أما الذى يتكلم بوحى من الله فهو يمجد الله ـ الذى أرسله ـ ويقدسه ويفرده وحده بالمجد والثناء ، وهذا هو دليل صدق الرسول ، وشهادة اختياره ، فهل مجد المسيح نفسه مرة واحدة ؟؟

٣ ـ أن الرسول الصادق من قبل الله ، لا يقول ولا يتكلم بشيء من عند نفسه يفترى نسبته الى الله ، ومن يفعل ذلك فهو ظالم " ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء "(١) ، "ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين "(٢)

---

(١) الأنعام : ٩٣ (٢) الحاقة : ٤٤ ـ ٤٧ .

فما أعظم أن نجد من أقوال المسيح في أناجيل النصارى اليوم ، ما يتفق ووحي الله الحق - القرآن الكريم - إلى نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم .

وإذا كان المسيحيون قد تغاضوا عن هذه النصوص الواضحة ، وضربوا بها عرض الحائط ، لاهثين خلف خرافات الوثنية ، فليعتقدوا ما يشاؤون ، ولتكفنا نحن شهادة المسيح - عليه السلام - الحقة عن نفسه ، وليبوؤا هم بإثم تكذيبهم له فيها وليصدق عليهم قول (يحيى - عليه السلام) (لا أحد يقبل شهادة) (١) ، فمن يشهد له من خاصته (بنى اسرائيل) بالنبوة والرسالة ؟ الموحدون بلا ريب فحسب، ويحيى والمسيح " أنا هو الشاهد لنفسي ، ويشهد لي الله الذى أرسلنى " (٢) وهى بعينها شهادته عن نفسه في القرآن (قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) (٣)

ولقد ظل المسيح - عليه السلام - حارسا لهذه العقيدة الصحيحة فيه وشهادة الحق - من أى انحراف يطرأ عليها - في

---

(١) سورة مريم : ٣٠ .

بنى اسرائيل — سواء بالتفريط أو الافراط ، طيلة بقائه بينهم، حتى اللحظة الأخيرة لرحيله .

وهذا واضح من خلال أمرين :—

أولهما : حديث القرآن عن هذه الشهادة ..

ففى اجابة عيسى عليه السلام — على سؤال الله — تعالى — له عن موقفه من افتراءات الصليبيين عليه ، دلالة كبرى على هذه الحراسة ، وتبرئه ساحة المسيح — عليه السلام — من تلكم الضلالات .

يقول الله — تبارك وتعالى : " واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس "(١) اتخذونى وأمى الهين من دون الله .

قال : " سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك انك أنت علام الغيوب .

" ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ، مادمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم

وانت على كل شيء شهيد "(١)

ثانيهما : شهادة المعاصرين للمسيح في الأناجيل :-

المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - كواحد من الأنبياء الكرام ، وحملة الرسالات العظام ، باشر دعوته على الأرض ، في بيئة معينة ، ومجتمع معروف رآهم ورأوه ، وكلموه وكلمهم ، فلم يكلمهم عن طريق التليفون أو اللاسلكي (٢) ، أو وهو راكب الهواء ، أو وهو باسط يديه ورجليه مفترش للسحاب ، وانما ولد فيهم وتربى بينهم (٢) واكل وشرب (٣) وتعلم في مجامعهم (٤) وحين اصطفاه الله للنبوة وأوحى إليه بالرسالة دعاهم الى الحق ، وجاهدهم لأجله ، وهؤلاء الذين شاهدوا المسيح وعاصروه انقسموا تجاهه الى مؤيدين (مؤمنين) ، ومعارضين (رافضين) وكان لهؤلاء وأولئك شهادة سجلتها الأناجيل الحالية ، اذكرها فيما يلي :-

١- شهادة المعارضين للمسيح :

ان الناظر في الاناجيل بتدقيق يجد أن علماء اليهودية (الفريسيين)

وقد كانوا يمثلون الجبهة المعارضة لدعوة المسيح وانتشار ملته في المجتمع اليهودي يجدهم قد لقبوا المسيح بلقب (معلم) رغم تصديه الشديد لانحرافاتهم . فلقد وصفهم بأوصاف قاسية وشديدة منها قوله لهم :

" ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراؤون .. ويل لكم أيها القادة العميان .. ويل لكم .. لانكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من الخارج جميلة وهي من الداخل مملوءة عظام أموات ونجاسة . أيها الحيات أولاد الافاعي كيف تهربون من دينونة جهنم " .

الا أنهم رغم هذا حينما تحدثوا معه أو تحدث معه أحدهم كان يلقب (بالمعلم) وقد ذكر من قبل ـ أنه لقب ارتضاه المسيح لنفسه واستحسنه من تلاميذه أيضا . وقد احتوت الاناجيل العديد من الشواهد المؤكدة لسيادة هذا اللقب في تعامل المعارضين للمسيح معه منها :

١ـ فقال له الكاتب : جيدا يامعلم . بالحق قلت . لأن الله واحد وليس آخر سواه .

٢ـ فسألوه ـ أي الفريسيين ـ قائلين يامعلم نعلم أنك بالاستقامة تتكلم وتعلم . ولاتقبل الوجوه . بل بالحق تعلم طريق الله .

٣ـ وقد كانوا يعرفون أنه نبي وصاحب معجزات . لكنهم لم يقروا بنبوته

أمام شعب اليهود • ويعبر كاتب انجيل متى عن هذه الصورة فيقول:

(ولما سمع رؤساء الشعب • الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنـــه تكلم عليهم وان كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع — شعـــب اليهودية — لأنه كان عندهم مثل " نبى " • • ومن ثم رأوا فى المسيح وملته خطرا يهدد كيانهم كرؤساء لشعب اليهود • لما رأوا من شدة تأثير معجزاته • اذ بدا تأثيرها واضحا على كل من شاهدها مـــن الشعب • ورابعا لاعترافهم بنبوة المسيح • فدبروا لقتله بدافع مصالحهم الشخصية لا لانهم كانوا يكذبونه من باب قول الله تعالى — لحبيبـــه محمدا — صلى الله عليه وسلم (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) •

٤— فجمع رؤساء الكهنة الفريسيون مجمعا وقالوا ماذا نصـــنع فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة • ان تركناه هكذا يؤمن الجميع بـــه • فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا • فقال لهم واحد منهـــم — وهو قيافا — كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة : أنتم لستم تعرفون شيئا • ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت انسان واحد عن الشعـــب ولا تهلك الامة كلها • فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه • فلم يكـــن

يسوع يمشي بين اليهود علانية .

تعقيب وتحليل للنصوص :

أثبت البحث - فيما سبق - أن رؤساء الكتبة والفريسيين وهم أصحاب السلطان والقيادة الدينية في اليهودية . وعلى شعب اليهود آنذاك . قد اعترفوا بنبوة المسيح ورسالته كما هو واضح من قولهم (فرادى . وجماعات) (يامعلم بالحق قلت) (يامعلم . نعلم أنك بالاستقامة تتكلم وتعلم ..... بالحق تعلم طريق الله) وتؤكد نصوص الاناجيل أيضا : أنهم كانوا على يقين من عدم التمكن منه وقتله . لانه كما شاهدوه انسان مؤيد بالمعجزات والايات الكثيرة . وهذا يعني أنه في معية الله وكلئه الا أن حبهم الشديد للرئاسة والسيادة على شعب اليهود . التي ألفوها طويلا حال بينهم وبين قبول هذا الحق الذى عرفوه والايمان بالمسيح النبى الرسول الذى شاهدوه . واكتفوا بأن يلقبوه معلما مثلهم . كي لا يقروا بمكانته أمام أفراد شعبهم . فينصرفوا عنهم . ومن ثم لم يعلنوا على شعب اليهودية أنه نبي الله ورسوله . وانما قاوموه بكل ما ملكوا من قوة . حتى أوهموا شعب اليهودية بقتله وصلبه وهو ما يعطله النص السابق (حين طلبوا

أن يمسكوه خافوا .. لانه كان عندهم مثل نبي) ومن يومها قد اختفى المسيح عن أعينهم (فلم يكن يمشي بين اليهود علانية) فمتى شاهدوه ليمسكوا به ؟ ومتى أمسكوا به ليصلبوه ويقتلوه ؟ واذا كان رؤساء الكهنة والفريسيون أصحاب مصلحة في رفض المسيح . ومحاربة صلته رغم اقرارهم بمكانته فيما بينهم - وهذا يعني أن مؤلف هذه الاناجيل - أو على الاقل أصولها - كان واحدا من هؤلاء الفريسيين . ومن ثم يكون غير بولس الذى جعل نفسه رسول المسيح الاوحد . للقضاء على ملته باسمه هو . وهو في الحقيقة مرسل اليهود (رؤساء الكهنة والفريسيين) لمقاومة صورة المسيح الحقيقية ومكانته بمحاولة محوها في نفوس من شاهدوا معجزاته . وايهام من آمنوا به بأمور ساهمت في نجاح المخطط البولسي .الى درجة كبيرة . وان بقي للحقيقة بريق حملته الاناجيل ولم تمحها به المسيحية الصليبية لكونهما ضدان لا يتفقان . ونقيضان لا يجتمعان ونحن مع الحق أينما وجد .

٢- المسيح في نظر من شاهدوا معجزاته :

ان نبوة المسيح عليه السلام لم تكن بخافية على أحد ممن شاهدوا معجزاته . ولم يكن ليسموا عندهم فوق كونه نبيا . شأنه في ذلك شأن

أنبياء اليهود جميعا • وماكان المسيح ليطلب من أحد أن يهبه من المكانة فوق ما وصف به من أنه نبي عظيم • وهذه هي نصوص أناجيل النصارى لم تقل قط أن أحدا ممن شاهد معجزات المسيح قال انه اله أو ابن اله • وانما قالوا جميعا هو نبي الله ترى لو كان المسيح الها أو ابن الله • أيسكت على من يحط من شأنه ويصفه بأنه نبي ؟

ففي لوقا : " رأى يسوع جنازة شاب وحيد لأمه • ومعها جمع من أهل المدينة • وهي تبكي عليه فرحمها • وتقدم فأحيا لها ولدها • وسلمه اليها فرأى الناس ذلك ومجدوا الله وقالوا - لقد قام فينا نبي عظيم وتعاهد الله شعبه بصلاح " •

أعتقد أن النص واضح جدا وجلي تماما في أنهم مجدوا الله • وليس المسيح • وقالوا : لقد قام فينا نبي عظيم " ولم يقولوا قام فينا الله العظيم • أو ابن الله العظيم •

وفي انجيل يوحنا شهادة صريحة بنبوة المسيح - أيضا - قال يوحنا (كان الناس اذا رأوا المسيح وسمعوا كلامه يقولون هذا هو النبي حقا) •

أعمى أبرأه الله على يد المسيح يشهد بنبوة المسيح ويهاج اليهود فيه:

يقول يوحنا : وفيما هو مجتاز رأى انسانا أعمى منذ ولادته - أكمه - فتفل على الارض وصنع من التفل طينا ، وطلى بالطين عيني الاعمى وقال له : " اذهب واغتسل في بركة سلوام ، فمضى واغتسل وأتى بصيرا فلما رآه الجيران قالوا له : كيف انفتحت عيناك ؟ أجاب وقال : ذاك انسان يقال له يسوع الناصرى ... فذهبوا به الى الفريسيين فحكى ماحدث فوقع بين الجميع شقاق بشأنه - هل هو خاطىء لانه خالف سنة السبت ؟ والبعض قال : كيف يكون خاطئا وهو يفعل مثل هذه الايات ؟

فقالوا للرجل : مارأيك أنت فيه مادام قد فتح عينك ؟ قال : انه نبى "

وقد أحدث الفريسيون ضغوطا على والدى الرجل الذى كان أعمى ليعود عما قال ، فقالوا : نحن نعلم أن ابننا ولد أعمى ولكننا لا ندرى كيف أبصر ؟ ولا من فتح عينيه ، انه بالغ الرشد يجيب عن نفسه فاسألوه .. وقد كان الفريسيون ورؤساء الكهنة قد عوروا فيما بينهم واعلموا الجميع أن يطردوا من اليهودية - المجتمع - كل من يقول بنبوة يسوع المسيح ، فدعوه ثانية وقالوا له مجد الله - أى ارجع

عن قولك بأن المسيح نبى - نحن نعلم أن هذا الانسان خاطئ ...

فأجاب الرجل : ان فى هذا لعجبا . تقولون انكم لاتعلمون له أصلا . وقد فتح عينى . ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة . ولكنه يسمع لمن يتقيه ويعمل بارادته .

وفى متى : أنه (لما دخل - يسوع - أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا ؟ فقال الجموع : هو يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل) .

وفى يوحنا أيضا : شهادة المرأة السامرية بحقيقة المسيح . ولم ينكر المسيح شهادتها وانما أقرها .

يقول : فقالت له المرأة : ياسيد أرى أنك نبى . وبعد هذا بعدة فقرات يقر المسيح صدق شهادة المرأة فيه فيقول يوحنا : وهو نفسه كان قد شهد قائلا : لا كرامة لنبى فى وطنه .

فمن بعد هذا يقول بأن معجزات المسيح دليل على ألوهيته أوعلى أنه ابن الله . ان المسيح لم يقل فى شهادته لاكرامة لاله أو ابن الله وانما قال لنبى . هذه هى مكانة المسيح . ابن مريم واضحة تقررها عقيدة من شاهدوا معجزاته بعين رؤسهم . وسمعوا منه أقواله

وسمع منهم حقيقة أمره ، فلم ينكرها عليهم بل أثبتها تقريرا وفعلا وقولا .

٢- المسيح في نظر تلاميذه وحوارييه :

كان - ما سبق - ابرازا لعقيدة من شاهدوا معجزات المسيح في المسيح ، ورأينا أنه لم يصدر قط من أحد هم أن عيسى اله أو ابن الله ، وانما كان ماصدر عنهم بشأنه أنه (نبي) وقد بينت تقرير المسيح لهذه العقيدة الصحيحة فيه بالنص على صحتها وصدقها . ولا يمكن لمسيحي واحد في العالم أن يقول ان المسيح لم يقل هذا أو يقول ان المسيح كان يجاملهم ، أو أن يقول ان هذه كانت عقيدة العامة فيه ، حسب مقتضيات العادة والالف ، اذ أن المعجزة لاتجرى الا على يد نبي ولم تر الا كذلك فهل اختلفت عقيدة الخاصة في المسيح عن العامة ؟ كلا والله .. فهذه هي شهادة الخاصة (الحواريين والتلاميذ) في المسيح حسبما دونتها أقلام مؤلفي الاناجيل :

أ - شهادة بطرس ويوحنا :

لقد شهد بطرس ويوحنا ومعهم جملة من التلاميذ بأن المسيح كان " عبد الله " و " رسوله " وقد سجل صاحب أعمال الرسل " لوقا " هذه الشهادة على لسانهم فقال : (رفعوا أصواتهم الى الله

بقلب واحد فقالوا : ياسيد أنت صنعت السماوات والارض . أنت قلت على لسان أبينا داود عبدك بوحي الروح القدس . لماذا ضجت الامم وسعت الشعوب الى الباطل ؟ تحالف حقا في هذه المدينة هيرودس وبنطيوس وبيلاطس .. والوثنيون وأسباط اسرائيل لمقاومة عبدك - فتاك - القدوس يسوع الذي جعلته مسيحا ... والان انظر يارب الى تهديدهم وهبنا نحن عبيدك أن نعلن كلامك بكل جرأة ومد يدك للشفاء . كي تجرى معجزات وعجائب باسم عبدك القدس يسوع) .

وفي نص اوقا عدة ضوابط ينبغي الاهتمام بها وهي :

١- أن تلاميذ المسيح وحوارييه كانوا موحدين لله صانع السماوات والارض

٢- أن المسيح - عندهم - كان عبد الله ورسوله أوحى الله اليه بالروح القدس - جبريل - كما أوحى الله به الى عبده داود أبيهم .

وان كانت الترجمة الحديثة قد حرفت لفظ - عبد - الى - فتى - فعيسى وداود - عليهما السلام - متساويين في اطلاق اللفظ فتى عليهما معا .

٣ - ان المسيح كان له أعداء قاوموا دعوته ، وأنه كان صاحب معجزات وعجائب ، أجراها الله على يديه ، ولم يجرها المسيح نفسه ، وأن الله الذى أعطى المسيح معجزات وعجائب قادر على أن يعطيهم هم الآخرون كرامات وعجائب ليعلنوا فى طمأنينة ايمانهم بالله ربا وخالقا ، وبالمسيح رسولا ونبيا من الله .

ولقد أعلن هذه الحقيقة بطرس الحوارى - الملقب بصخرة الكنيسة (١) من المسيح ، فى كل مناسبة فيقول :-

(أيها الرجال الاسرائيليون : " اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم تعلمون) (٢)

واضح من النص (أن المسيح كان فى عقيدة بطرس ، الا انسانا كان الله معه ، وليس حالا فيه كما زعم الصليبيون - ومن ثم صنع الله بيده - بقوته - « كل تلك المعجزات » (٣)

وليس المسيح لأنه رجل كأى رجل ، غير أنه ذو براهين ، ودلائل على أنه رسول الله .

وقرين كلام بطرس هذا ما صدر من تلميذين ذكر لنا لوقا

أحدهما واسمه "كليوباس" قابلهما المسيح نفسه - عقب اعلان صلبه وقبل ادعاء قيامته - في صورة مغايرة لصورته التي عرفوه عليها . وهو أعظم دليل على أن المسيح لم يصلب وبالتالي لم يقم ، وأن المصلوب غيره ضرورة ، وهو أمر جد خطير يطيح بالمسيحية الصليبية ، ، ويقتلعها من جذورها ، اذ أنها تقوم على هذين الأصلين - الصلب والقيامة - فماذا قال التلميذان للمسيح ؟؟

يقول لوقا : (وكان اثنان منهم منطلقين الى قرية تبعد ستين غلوة (سبعة أميال) عن أورشليم اسمها "عمواس" .. اذ يسوع نفسه قد اقترب إليهما وسار معهما ولكن أعينهما حجبت عن معرفته وسألهما : "أي حديث يجرى بينكما وأنتما سائران ؟؟

فتوقفا عابسين ، وأجاب أحدهما وأسمه "كليوباس" فقال له :

"أأنت وحدك الغريب النازل في أورشليم ولا تعلم بما حدث فيها هذه الأيام ، فقال لهما ماذا حدث ؟ فقالا : (ما حدث ليسوع - الناصري الذي كان نبيا مقتدرا في الفعل والقول أمام الله والشعب

كله ... وكنا نرجوا أنه الموشك أن يفدى (١) إسرائيل) (٢)

ويعلق على هذا النص أحد الباحثين فيقول :-

(لقد وصفاه بوصفين : الأول :- أنه انسان . والثانى : أنه نبى مؤيد من الله قولا وفعلا ، أى صادق وليس دجالا - ولا يستطيع العقل الا أن يصغ السمع الى هذه الشهادة الحقة التى نطق فيها الشاهدان بالحق والعدل فى أجلى صورة وأوضح بيان بأنه انسان .

ولا نبعد عن الصواب اذا نحن رفعنا اسم "يسوع الناصرى" من هذا النص السابق ووضعنا اسم نبى من الأنبياء كان نقول مثلا : "موسى" أو "ابراهيم" أو غيرهما - كان إنسانا مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله . وجميع الشعب) (٣)

وها هو كاتب انجيل متى - يؤكد ويقرر أنه المسيح حين جاء صدقت فيه نبوءه أشعياء التى يقول فيها .

"هو ذا عبدى الذى أعضده وضعت روحى عليه ..." (٤)

وبعد فهذه هى عقيدة سائر من شاهدوا المسيح سواء منهم من عاينوه أم من اتبعوه ، وقد وضح لنا فيما سبق أنها عقيدة لا تزعزعها

أتباعه من حواريين وتلاميذ ، حتى بعد ادعاء صلبه وتقديمه ضحيـــة عن خطايا البشر المزعومة رأينا من كلامهم مايكذب تلكم العقائـــد الفاسدة فى المسيح ، وهى عقيدة من شاهدوا المسيح وعاصروه ورأوا آياتـه ومعجزاته ، ولقد أثبتت النصوص معاناتهم فى الحفاظ علـى هذه العقيدة الصحيحة فيه ـ كما سبق فى كلام بطرس ـ وهـــذه ملاحظـة جديرة بالاهتمام ـ فمن نصدق اتباع المسيح الحقيقييــن من حواريين وتلاميـذ الذى قالوا بملـئ الفـم المسيـح بشر انسان رجل نبى رسول ؟ وهى درجة عظيمة أم أدعياء المسيحية الذى قالـوا ان المسيح إله أو ابن إله ظهر فى صورة البشـر ، وصلب وقتل وقبــر وقـام ؟ ..

واذا كان أصحاب الاتجاه الأول ـ وهو الحق الذى لا مرية فيه ـ يكرمون المسيح غاية التكريم ، وأصحاب الاتجاه الثانى يهينون المسيح غاية الاهانة فيصلبونه ويلعنونه ، ويجعلونـه نفسه لعنـة ، وهم فى ذات الوقت يجعلونـه اله وابن الـه سخريـة واستهزاء ـ كمن يقـول للحلاق مثلا يادكتور ـ أيكون مكرما له أم ساخرا منه ومستهزئاً ؟ فهـل يسمح المسيحيون لعقولهـم أن تـرى النور ، وتبصر العقيدة الصحيحة

فى المسيح ؟ أم يديمون الجفاء للحقيقة سعيا وراء خرافات وأوهام أرباب الصليب التى سنكشف زيفها وضلالها فيما يأتى :ـ

المسيح فى المسيحية الصليبية (البولسية) مأمون :ـ

حقيقة إنه لشتان بين مكانة المسيح فى نظر أتباعه ومكانته فى نظر بولس مؤسس المسيحية الصليبية ٠

والباحث فيما سبق رد دعوى (بولس) فى أن المسيح (اله ، وابن الله) ومن قبل رد الطعن فى نسبه ـ عليه السلام ـ وذلك من نصوص الأناجيل ـ ذاتها التى يؤمن بها المسيحيون ولأبين مدى التخبط الذى أحدثه بولس فى تحديد مكانة المسيح ـ عليه السلام ـ والصورة الحقة له بتحريفه لعقيدة اتباعه وتمييعها وإفسادها بأن أحاطها بما له من أفكاره هو ، لتغطى على النذر اليسير من الحق الذى خلفه حواريوا المسيح وتلاميذه ، حتى كاد لا يرى منها شئ وسط هذا الركام البولسى الا مع التدقيق الشديد وكل هذا لأغراض دنيئة ٠

فهذا بولس الأنانى يجعل من المسيح لعنة ليغفر له هو خطاياه وخطايا المؤمنين ببولس رسولا وحيدا للمسيح ٠

وانه لمن أعجب العجائب ما انطوت عليه عقيدة المسيحيين في المسيح بقيادة الفكر البولسي تلك التي تؤمن بأن المسيح هو الالهة الحقيقية (الملعون الأزلي) الذي عاق على خشبة الصلب لحمل خطاياه وخطايا المؤمنين به .

انها صدمة كبيرة ولا شك ، ولكن هكذا كان فكر بولس الذي سطره في رسائله اذ يقول :-

" المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب : ملعون كل من عاق على خشبة "(١)

وان المكتوب الذي يشير اليه بولس هو ماجاء في سفر التثنية خاصا بالموتى الذين يصلبون على خشبة ، فيقول السفر :-

" اذا كان على انسان خطيئة حقها الموت ، فقتل وعلقته على خشبة ، فلاتثبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب الهك(٢)

وليس بعجيب أن يقول بولس هذا وهو معروف بعدائه للمسيح - عليه السلام - ولكن العجيب حقا أن يعمل علماء المسيحية عقولهم لتبرير هذه السباب الواضحة في المسيح - ومقصد بولس منها واضح فهذا هو (ب - ك نلسون) يقول :-

" وقد تألمت كثيراً الخلائق الحيوانية والبشرية بسبب خطيئة الإنسان لكن المسيح صار لعنة لأجلنا .... وصير رفع اللعنة عن عاتق الخليقة بأسرها " (١)

والحق أنه مهما يكن من تفسير وتمجيد الفلسفة بولس التي تتسول أو تبرر فلسفة صلب المسيح - الدعاء - ولعنه على الصليب ليتحرر المسيحيون من لعنة الناموس، لعنة الخطيئة، فإن أحداً لا يمكن أن ينكر أن الملعون بالناموس (القانون الإلهي) مجرم حقير مهان، من الله ومن البشر، وأن الملعون بقانون البشر مجرم أيضاً وحقير ومهان في عرفهم، وبولس يقول إن المسيح صار لعنة (أي ملعوناً) بالناموس.

وإن المدقق ليرى أن الموت الدموي على الصليب - الذي رموا به يسوع - وهو منه براء - من أجل إطفاء لعنة الإله، لهو أمر مناقض للحلم الإلهي والصبر والود والمحبة التي لا نهاية لها (١) ومناقض أيضاً لتعاليم المسيح التي جاء بها من الله من صفح وعفو وسماحة ورحمة، لا القسوة واللعنة.

وحتى لو كان الشخص المعلق على الصليب مذنباً بجريمته

عقوبتها الموت ، ماذا يعتبر لعنة ، بل على العكس من ذلك اذ أنه قد كفر عن جريمته بتعرضه للإعدام ، ولكن ليقل لى الصليبيون ما هى جريمة المسيح وما هو الذنب الذى من أجله علق — على زعمهم — فوق الصليب ليصير لعنة ؟ أى جريمة اقترفها ؟ أنهم يقولون أخطأ الجميع من آدم الى يسوع ؟ (١) ويسوع هو الإنسان الوحيد بلا خطيئة فهل من العدل أن يلعن من لم يخطئ قط ويؤخذ بجريمة لم يرتكبها ؟ ويترك المجرم الحقيقى بدون عقاب على جريمته ؟ بأى قانون تحاكمون المسيح ؟؟ هل من العدل أن يحمل الله المسيح خطاياهم ، ويصيره لعنة لأجلهم ، وهو انسان بلا خطيئة ؟ أرأيتم لو ارتكب أخ لأحدهم جريمة ما فهل من العدل أن نعاقب عليها أخاه الذى لم يرتكبها ؟ إن هذا غير جائز على الاطلاق فى عدل البشرية ، وعرفهم ، فهل يقبل وقوعه من العدل المطلق ؟؟

ان مصادرهم تقول (وجعل خطية لأجلنا ، مع أنه بلا خطية) (٢) (لأنه — أى الله — وحاشا لله — جعل الذى لم يعرف خطية — خطية لأجلنا لنصير نحن أبرار) (٤)

(وبموته الفدائى صنع كفارة كاملة لأجل خطايانا كلها) (١)

فهل هذا عدل ؟ وهل يعقل هذا ؟ فماذا يكون الأمر لو أخطأ مرقس وقدمنا البابا شنودة الى مقصلة الصليب تكفيرا عن خطيئة مرقس ؟ ؟ أيكون هذا برا وعدلا ؟ وتكفيرا لخطايا الآخرين غير مرقس أيضا ؟ وان كانوا لا يجيزون هذا على أنفسهم، فكيف يقولون به فى حق المسيح عيسى ابن مريم ، وهو عندهم إله وابن الله ؟ ألا يستحيون من قولهم ان الله لعن ابنه ، واذا كان الابن عندهم هو الله نفسه بالحد ؟ فهل معنى هذا أن الله عندهم قد لعن نفسه — حاشا الله — لأجلهم ؟ استحيوا ياقوم ! ؟ ؟ فان (لعنة المسيح التى اخترعها بولس يترتب على التصديق بها نتائج خطيرة ، لا يحتاج تقريرها الى مجهود فكرى أو معالجة لغوية عميقة ، فالقول بأن كل من علق على خشبة ملعون يعنى أن كل مصلوب ملعون ، ولقد قال بولس ان المسيح صار لعنة لأنه علق على خشبة الصليب ، أى أن المسيح ملعون ...

فهل يقبل مسيحى فى العالم — تحت أى ظرف من الظروف — هذا القول وما يترتب عليه ؟) (٢) أعيدوا حساباتكم ياقوم وانظروا ماقاله بولس (انه يقول : " يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم

لى وأنا للعالم ".(١)

ويقول : " مع المسيح صلبت ، فأحيا ، لا أنا ، بل المسيح يحيا فى ".(٢) ..

والتفسير الشائع لمثل هذه الأقوال (أن المسيحيين يصلبون مع المسيح — تبعا لقدوتهم بولس — فيحيون الحياة الحقة) (٣)

ولكن أين ؟؟

لقد بين المسيح مستقر الملعونين يوم الدينونة — وهو معلوم عند كل المؤمنين بالله — حيث يقال لهم :—

" اذهبوا عنى ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وأعوانه ".(٤)

وحينما يوجد مصلوبين يوجد ملعونين ، والملعونون فى النار الأبدية ، بالجمع بين النصوص — فهل يعنى هذا أن المسيح ملعون فى النار الأبدية ، قرين إبليس وأعوانه لأنه فى زعمهم مصلوب ملعون ؟ وإذا كان هو إلههم المتجسد ، فهل يعنى هذا أن إلههم سجين النار الأبدية ؟ وإذا كان إبليس وأعوانه معه فيها ، فهل يعنى هذا أنه شيطان مثلهم ؟

افقهوا ياقوم إن بولس يثبت على المسيح كل دعاوى اليهود الكاذبة

التى رموه بها (حين قالوا انه ببعلزبول يخرج الشياطين لأنه شيطان) (١) ان بولس يردد قولة أخوانه ويبرهن عليها ، فهو فريسى وهم كذلك، وقوله بلعنة المسيح تنفيذ للمخطط المرسوم لتشويه صورة المسيح ، وتضييع مكانته ومن له عقل فليفهم ، ومن له أذنان للسمع فليسمع " وكفى بالله شهيدا " ..

فان اللعنة لا تحل الا على الظالمين (١) والكافرين (٢) ، والكاذبين (٤) حسب قانون الله، وعيسى ابن مريم المسيح لم يكن قط واحدا منهم ، فأيهما خليق بالمسيح اذا ؟ أن يصلب ويلعن ويهان ، أم أن يكرم ويعظم ويصان ؟؟

المسيح فى المسيحية الصلبية سكير شرير :-

من أكبر السقطات التى تطيح بالمسيحية الحالية - مسيحية بولس - ماورد فى الأناجيل من اتهام المسيح - عليه السلام - بصناعة الخمرة وشربها وإدمانه لها حتى آخر لحظات ظهوره بين حوارييه وتلاميذه .

١ - أما عن صناعته لها :- فيضفى عليها يوحنا - كاتب الانجيل - هالة من الإبهار والإعجاز ، ويجعلها أولى آيات المسيح

وعجائبه ، وهى مما انفرد به يوحنا [١] فيقول :

(كان فى قانا الجليل عرس ، وكانت أم يسوع هناك ، ودعى أيضا يسوع وتلاميذه الى العرس ، ولما فرغت الخمر ، قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر ، قال لها يسوع مالى ولك ياامرأة ؟ [٢] لم تأت ساعتى بعد ، قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه ، وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهيراليهود يسع كل واحد منهم مطرين أو ثلاثة ، فقال لهم يسوع ، املأوا الأجران ماء ، فملؤها الى فوق ، ثم قال لهم : اسقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ ، فقدموا ، فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول إلى خمر ، ولم يكن يعلم من أين هى ؟ دعا رئيس المتكأ العريس وقال لهم كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ، ومتى سكروا فحينئذ الدون ، أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة الى الآن) [٣]

والمسيحيون يعدون هذه أولى معجزات المسيح ويتباهون بها فى كتبهم ، دون أن يدققوا النظر فى مضمونها (انهم يظهرون المسيح من خلالها فى صورة لا تليق بنبى ، فضلا عن إله أو ابن اله ،

- عند هم - وذلك لأمور :-

أولها :- أنهم جعلوا من المسيح - عيسى ابن مريم - انسانا لا يتورع من حضور حفلات المجون والرقص واللهو والسكر حتى الثمالى ، ومشاركة اليهود آثامهم وهو الذى جاء ليقيم فيهم ناموس موسى ، فكيف يشاركهم الاثم اذا ، وشريعة الله تحرمه (١) ؟

ثانيها :- أنه بقوله لأمه " مالى ولك يامرأة " يكون قد أساء الأدب معها - حتى وان كان مستنكرا لقولها غضوبا منها ، فهو لا يليق بإنسان عادى فكيف بنبى رسول ؟

ثالثها :- أنه قد صنع خمرا وقدمها للسكارى الثمالى ، ليزيدهم سكرا نزولا على رغبة أمه ، ولا يعنينا عن ماذا انقلبت هذه الخمر ، فالعبرة بالمنقلِب - المتولِّد لا بالمتَوَلَّد عنه ، فالمقصود من القصة أن المسيح صنع الخمر وقدمها كما هو واضح ؟؟

٢ - أما عن اتهامهم إياه بشربها :-

فان فى الأناجيل نصوصا تبين أن المسيح قد شرب الخمر ليس عرضا مرة أو مرتين مثلا ، وانما كثيرا ، حتى آخر لحظة فى حياته ،

وهذا يعني أتهامهم إياه بإدمانها وأنه شربها ليس جاهلا بها وانما قاصدا ومتعمدا لشربها ، وهذه هي نصوص أناجيلهم أذكرها فيما يلي :-

أ - متى يجري على لسان المسيح قوله " زمرنا لكم فلم ترقصوا ، ونحنا لكم فلم تلطموا لأنه جاء يوحنا (يحيى - عليه السلام) لا يأكل ولا يشرب ، فقالوا : إن شيطانا يسكنه (ثم جاء ابن الانسان - يعني نفسه - يأكل ويشرب ، فقالوا : هذا رجل شره وسكير .. " (١)

ب - ومرقس يبرزها في آخر حياة المسيح على (العشاء الرباني) (١) وكأنها كانت شيئا عاديا في حياة المسيح طوال عمره ، ويظهره في صورة المدمن المتحسر على مفارقة الكأس فيقول :- " وبينما كانوا يأكلون أخذ يسوع رغيفا وبارك وكسر وأعطاهم قائلا : خذوا هذا هو جسدي ، ثم أخذ الكأس ، وشكر ، وأعطاهم ، فشربوا منها كلهم ، وقال لهم : ..... الحق أقول لكم لا أشرب بعد من نتاج الكرمة أبدا ، الى ذلك اليوم الذي أشربه جديدا في ملكوت الله " (٢) ، ونتاج الكرمة هو العنب ، وشرابه هو الخمر ، وهذا النص ليس مما انفرد به مرقس وانما ذكره أيضا ،

متى (١) ، ولوقا (٢) ، وأما يوحنا فلم يذكرها قط ، ولعله اكتفى بصناعة عيسى لها وشربها فى عرس قانا الجليل السابق ذكره .

وعلى هذا فعيسى فى نظر الأربعة وأصحاب الأناجيل المعتمدة كنسيا — صانع خمر ومدمنها ، ولا يستطيع واحد من المسيحيين أن يقول إنها لم تكن خمرا كخمر الدنيا ، لأن نصوص الأناجيل واضحة فى أنها " نتاج الكرمة " .

ونحن نعتقد يقينا كذب ما ذكره " أصحاب الأناجيل " ، وافتراءهم على عيسى — عليه السلام — فإنه نبى يخاطب برسالته العقول والقلوب ، وهو فى المدعوين به قدوة ومثل أعلى — كسائر أنبياء الله — تعالى — الكرام — والخمر أم الخبائث فى سائر رسالات الله ، فهل من المستساغ — عقلا — أو المقبول شرعا ، أن يقال بأن المسيح قد صنع الخمر ليسكر عقول مدعويه ويفسدها ويعطلها عن أداء مهمتها ، فضلا عن قولهم بشربه هو نفسه لها ؟ فهل يشرب عيسى الخمر ويدمنها ، وهى محرمة فى جميع الشرائع السماوية ، ورغم تحقيره هو نفسه لشاربيها ؟ فهل يعقل أن يحقر المسيح

نفسه ويناقض تعاليم الله عز وجل ؟ ان هذا لا يليق ببشر عادى فكيف بنبى ورسول من أولى العزم ؟ ومن ثم فهو محض افتراء ، وهاك أدلة بطلانه :-

أدلة ابطال هذا الإدعاء :-

أولا :- أن الخمر محرمة فى التوراة - ناموس موسى -، وعيسى ما جاء لينقض احكامها أو ليبطلها ، وانما جاء متمما ومكملا لتشريعها تلبية لمحدثات لم تكن موجودة فى عهد نبى الله موسى - عليه السلام - وهذا باقرار المسيح نفسه فى قوله .

" ماجئت لانقض الناموس ، بل لأتمم " (١)

واذا كان " من الحقائق المقررة فى الإنجيل ، أن عيسى - عليه السلام - ماجاء برسالته ناقضا لأحكام التوراة - أى ناسخا لها ، وانما جاء بها ليقيم مانقضه اليهود من شرائع التوراة بتحريفهم لها ، أو تضييعها ، أو اهمالها ، ولما كانت رسالته امتدادا لشريعة التوراة وليست نسخا لها - فان التوراة تؤكد تحريم الخمر ، على عامة الشعب اليهودى ، وهى بالأحرى محرمة على الربانيين - حملة التوراة وحفاظها من بنى هارون " (٢)

يقول سفر اللاويين :ـ "كلم الرب هارون قائلا : خمرا ومسكرا لا تشرب أنت وبنوك لكى لا يموتوا ... فرضا دهريا فى أجيالكم ".(١) وعيسى نبى من ذرية هارون " والنص يبين أن الخمر مميتة وقاتلة لشاربيها ، فهل يتصور أن عيسى الذى جاء ليرفع الخطيئة عن بنى اسرائيل بتقويمهم ، واصلاحهم بطاعة الله والرجوع إليه ، يكون هو سائقهم إلى الهلاك والموت بشربه للخمر وصناعته لها ، وهذا لو حدث لكان عيسى ناقضا لأحكام التوراة وهو ما لم يقل به هو نفسه .

ثانيا :ـ أن الله ـ عز وجل ـ قد ذم شاربى الخمر ولعنهم على لسان الأنبياء جميعا ومن ذلك :ـ

١ ـ ما جاء فى سفر أشعياء على لسانه : " ويل للأبطال على شرب الخمر ، ولذوى القدرة على مزج المسكر "(١) ويقول " ويل لاكليل فخر سكارى ... الذى على رأس وادى بسمائه المضروبين بالخمر ".(٣) وهل عيسى فى الأناجيل الا كهذا الإكليل؟ والحق أن عيسى ليس كذلك " ولكن هؤلاء الصليبيون ـ ضلوا بالخمر ، وتاهوا بالمسكر ".(٤) عن قولهم الحق فى

المسيح - فهم سكارى يتهمون المسيح - عليه السلام - بالسكر الى اليوم .

٢ - ماجاء فى مزامير داود ، يقول " لمن الشقاوة ، لمن الويل لمن المخاصمات ، لمن الكرب ، عن الجروح بلا سبب ، لمن ازمهرار العين ؟ للذين يدمنون الخمر "(١) فهل كل هذا يستحقه عيسى ؟ الويل والشقاوة الأبدية ، دوام الخصومة مع الله ، والناس ودوام الكرب ، وتقيح الجسد ، واحمرار العين وهل فوق هذا من لعنة ؟ إن الباحث : لا يدرى ماذا فعل المسيح ليستحق كل هذا اللعن من الصليبيين ؟ أيلعن لأجلهم بالتكفير عن خطاياهم فوق الصليب ؟ أم يلعن لأنه قد صنع الخمر وشربها أم انها خطة محكمة للاطاحة بالمسيح ومكانته . ؟

٣ - ان لوقا نقل أن جبريل قد نص على حقارة من يشرب الخمر بجعله من لا يشرب الخمر عظيم أمام الله ، فهل من المعقول أن يحقر المسيح نفسه بشربه لها فضلا عن صناعتها ؟ يقول

لوقا :- " فقال له الملاك - أى لزكريا مبشرا اياه بيحيى - وسوف يكون عظيما أمام الرب ، وخمرا ومسكرا لا يشرب " (١)

وبهذا وصف يحيى - فى انجيل لوقا عظيما أمام الرب لأنه لا يشرب الخمر والمسكرات فبم يوصف يسوع - الصليبيين - وقد شرب الخمر والمسكرات أمام الله ؟

ألا يدل نص لوقا السابق - على أن من يشرب الخمر لا يكون تقيا ولا عظيما فى ميزان الله ، بل يكون حقيرا فاجرا ، فهل هذا هو الوصف الذى استحقه عيسى عند أصحاب الأناجيل - بما فيهم لوقا الذى صدر انجيله بهذا النص ؟ أم أن شرب الخمر وصناعتها أمر مباح بالنسبة للمسيح دون غيره من البشر ؟ ولو كان مباحا له وحده فلم صنعها لغيره ؟ ولماذا سقى التلاميذ بيده كما يدعون ؟ ولماذا يشربها المسيحيون بشراهة الى اليوم (٢) ؟؟

ثالثها :- نقول ان ما ذكره كتاب الأناجيل فى حق المسيح هنا من المحال صدوره منه ، فانه - عندنا - نبى كريم ورسول عظيم ، وبشهادة نصوصهم السابقة ، أن العظماء - عند الله - وعيسى أحدهم قطعا - لا يشربون الخمر ، وما من شك فى أنه

- عليه السلام - ذا مكانة مرموقة ، ومنزلة عالية ، ولا يمكن مع وجود هذه المكانة العالية - التى نؤمن بها لعيسى عليه السلام - كواحد من الأنبياء القادة العظام - أن يكون من اتصف بها عاصيا ملعونا من الله - عز وجل - وأنبيائه من أولهم حتى خاتمهم - صلى الله عليه وسلم - وعليهم أجمعين - فإنه - فضلا عن النصوص - السابقة - التى سقتها على لسان الأنبياء من كتب المسيحيين أنفسهم وهى حجة عليهم ، فى براءة المسيح مما ألصقوه به من تهم ، وهو أننى أود أن أوثق هذه البراءة بحديث نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لأبرز كيف تتلاقى الأواصر النبوية فى الدفاع عن هذا النبى العظيم - عليه السلام .

فلقد روى الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمر " رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : " لعنت الخمر على عشرة أوجه، لعنت بعينها ، وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها ."(١)

فيالعجبى كيف يدعوا الصليبيون عيسى المسيح إلها أو ابن الله ، وهو عندهم صانع خمر ومدمنها ؟ والصانع والشارب والمشروب وحاملها الى الآخرين ملعونين جميعا مطرودين من رحمة الله ، ممتهنين عند الله وعند الناس ، ولكن لا عجب فهم لا يريدون أن يروا المسيح على شيء إلا على أنه ملعون ، بهذا صرح قائدهم الأكبر بولس وهم له تبع وأعوان . غير أن الباطل لا يمسى حقا قط لا تعدد الكثيرين وتركيبهم عليه ، واعلان اعتقاده .

وبعد فهذا هو المسيح فى عقيدة المسيحيين حسبما دونته أقلامهم ، وكما هى موثقة فى نصوصهم المقدسة لم نظلمهم ولم نتجن عليهم ، وقد أبرزت من خلالها كيف ضربوا بالقيم والأخلاق والحق الذى جاء به المسيح — عليه السلام — عرض الحائط ؟ وكيف أطاحوا بالمسيح ومكانته وجعلوه محلا للسخرية والاستهزاء ؟ وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولو أرادوا المزيد لزدناهم ، ولكن أكتفى بهذا القدر لما فيه من الكفاية والبرهان على تخبطهم الصارخ فى شأن المسيح ، وإن ميلهم

دائما كان ولا يزال إلى اعتقاد الصورة السيئة فيه ، ويا للأسف فهم يظنون أنهم يحسنون صنعا ، ولكن هيهات هيهات " فإن الشمس لا ينكر نورها إلا العميان " وختاما لهذا .. فإنى لا أملك إلا أن أناديهم بنداء الله لهم ليتهم يسمعون ، اليوم ما صموا عنه الآذان بالأمس :ـ

" يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل " (١).

ووالله ما كذب المسيح حين قال لحوارييه وتلاميذه يوصيهم ألا ينحرفوا عن ملته :ـ

" إن قال لكم أحدا هوذا المسيح هنا أو هناك ، فلا تصدقوا ، لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب ، حتى يضلوا المختارين لو أمكنهم أيضا ، ها أنا قد سبقت وأخبرتكم

---

(١) سورة المائدة من الاية رقم : ٧٧ .

فان قالوا لكم ها هو فى البرية فلا تخرجوا ، ها هو فى المخادع فلا تصدقوا ، لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب ، هكذا يكون أيضا مجيء ابن الانسان » (١)

فمن بعد هذا يصدق عقيدة الصليبيين فى المسيح عليه السلام — والنص واضح برفض كل مقولة لهم فيه ؟ فالنص يقول المسيح انسان نبى صادق لم ولن يصلب ، ومن ثم فهو لم يقم لأنه كالبرق ظهر وكالبرق اختفى ..

... ...

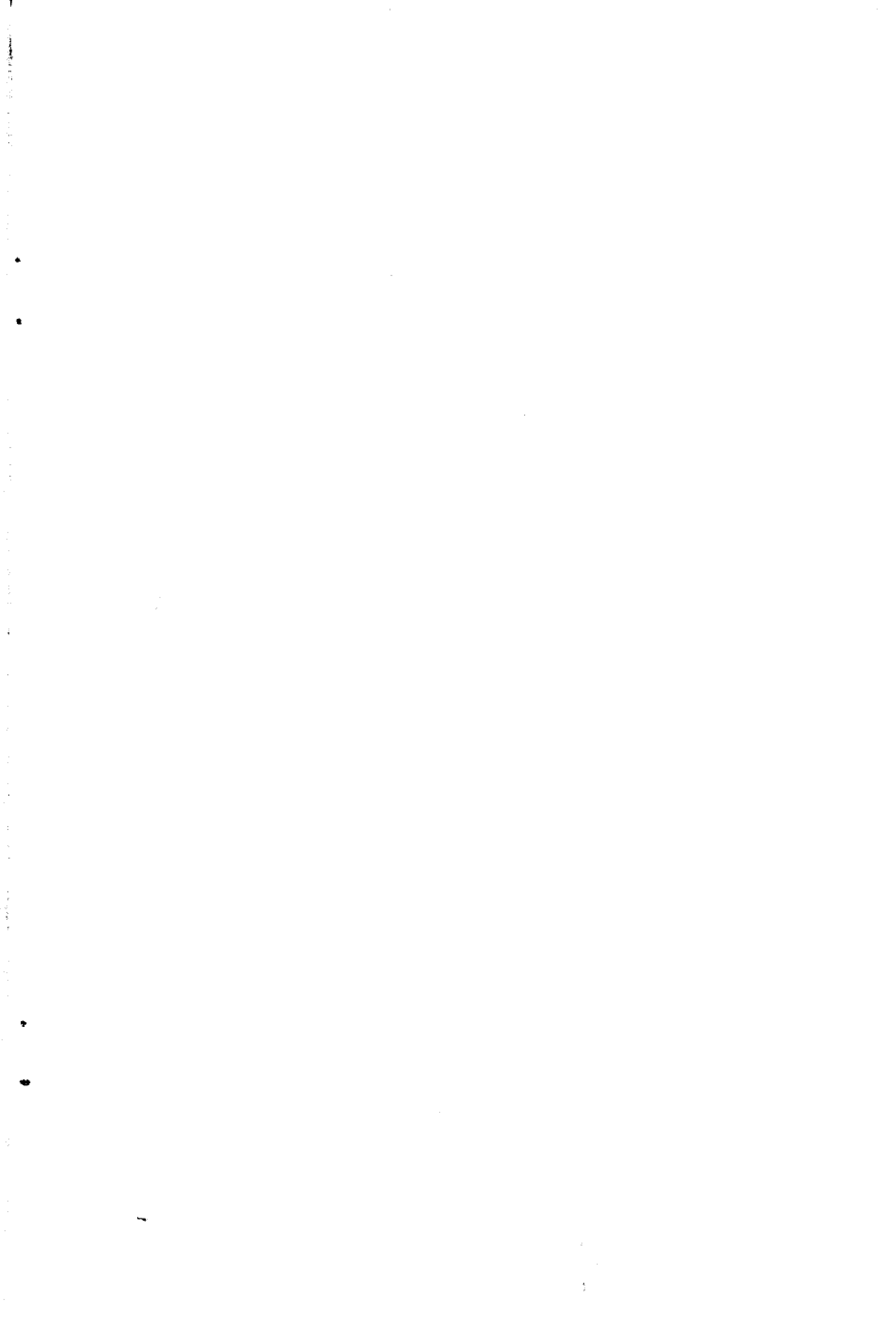
* * *

*

* *

الفصل الرابع

موقف الاسلام من الفكر الاسطوري والعقدي في العالم قديما وحديثا



موقف الاسلام من الأساطير الفكرية والعقدية في العالم قديما وحديثا :

أولا : التصحيح الفكرى والعقدى لتصورات الماضى :

أ — موقفه من الوثنية المادية :

واجهت الدعوة الاسلامية — وهى دعوة لتنظيم الاستمتاع بالحياة المادية التى يعيشها الانسان على الارض ، على أساس أخلاقى ، وفى رعاية لكرامة الانسان ، تحقيقا للعدل الاجتماعى بين الافراد جميعا — واجهت وهى بمكة : تحديات الوثنية المادية او تحديات الشرك ، واتهامات الماديين للقرآن بانه : سحر وخداع وبانه أساطير الاولين اكتتبها الرسول عليه السلام .. وبانه أضغاث أحلام يصعب تفسيرها .. وبانه مؤلف ومتقول ، ونسبت افتراء الى وحى الله .

كما واجهت اتهام هؤلاء الماديين ، او المشركين للرسول عليه الصلاة والسلام بانه: كاهن .. ومجنون .. وشاعر .. ومسحور — اى معلل بالاكل والشرب — وبشر ، وليس بملك .. وأنه ليس من الاثرياء ولا من العظماء والزعماء .. وانه تعلم القرآن ونقله عن غيره .

واخيرا واجهت سوء تصورهم لله على أنه سبحانه جل جلالـــه :
يلد ويتمثل ، وان الملائكة بنات له وأن له شركاء من الجن ومن الاصنام
وأنكروا وحدته في الالوهية .. كما انكروا البعث واليوم الاخر .....
وحرموا ما احله الله استغلالا للاموال الخاصة لمصالح كهانهم
وأصحاب الرياسة الدينية فيهم .

وقد تكفل القرآن الكريم في السور المكية فيه بالرد على هذه
الادعاءات ، ومن قراءتها جميعا تحدد الاتهامات ، ومنهج رفضها
ونقضها . وسورة الطور تشير الى كثير مما وجه الى الرسول عليه السلام
واليه سبحانه والى رفضه وانكاره في صورة تحد او سخرية واستهزاء
في قول الله تعالى (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون .
أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فاني معكم من
المتربصين . ام تأمرهم أحلامهم بهذا . أم هم قوم طاغون . أم يقولون
تقوله . بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين . أمخلقوا
من غير شيء (اى من غير خالق) أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات
والارض .بل لا يوقنون . أم عنده هم خزائن ربك أم هم المسيطرون . امالهم
سلم يستمعون فيه . فليأت مستمعهم بسلطان مبين (اى بحجة واضحة)

ام له البنات ولكم البنون • ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون • ام عنده هم الغيب (عن طريق الرسالة اليهم) فهم يكتبون • ام يريدون كيدا • فالذين كفروا هم المكيدون • أم لهم اله غير الله • سبحان الله عما يشركون • وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم • فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) (١)

فهذه السورة تشير الى ادعائهم بالنسبة للرسول عليه السلام : بأنه كاهن •• ومجنون •• وشاعر • والى وصفهم القرآن : بأنه متقول ومؤلف له • ونسب الى الله كذبا • والى وصفهم الله بأنه يلد •• وله شركاء من غيره •

ولتأكيد أن هذه الاتهامات استهدفت من جانب هؤلاء الماديين والوثنيين : الكيد للرسول عليه السلام •• كما استهدفت تجميد دعوته ينصحه القرآن — عليه السلام — بأن ينصرف عنهم ويستمر فى دعوته : (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) •• ذلك بعد ان اكد له : أنهم هم أنفسهم الذين سيصابون وحدهم بأضرار كيدهم (فالذين كفروا هم المكيدون) •

---

(١) سورة الطور : ٢٩ — ٤٥

وتصدرت سورتا : المائدة والانعام ، بوجه خاص للرد على افتراءات الكهان في الحل والحرمة في اموال الناس ، على نحو قول الله تعالى (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ، واكثرهم لا يعقلون) (١)

وقوله (وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله ، وماكان لله فهو يصل الى شركائهم ، ساء ما يحكمون) (٢) .

٢ — موقفه من العقائد والمذاهب الدينية في الشرق :

لم يبق المجتمع الاسلامي على عهد قيامه بالمدينة خاصا بالمسلمين وحدهم . وانما بعد فتح مكة لم يدخل المكيون فقط ، ولا العرب في شبه الجزيرة العربية وحدهم في دين الله افواجا ، بل دخله هؤلاء وهؤلاء ، ومعهم تباعا تلك المجتمعات ، مما كانت تظللهم الحضارة الرومانية أو الحضارة الفارسية في الشرق الادنى ، ثم في الشرق الاوسط والاقصى ، وشمال افريقيا .. الى آخر مايعرف من مجتمعات اسلامية في آسيا .. وافريقيا وأوربا .

---

(١) المائدة : ١٠٣ (٢) الانعام : ١٣٦

ومع امتداد ظل الاسلام على أرض الله اتصل الاسلام برواسب الثقافات القديمة .. والاديان والمذاهب السابقة على الاسلام . مما كانت لدى اهل الكتاب . او من لهم شبهة بكتاب .

٣- موقفه من علم الكلام عند اليهود والمسيحيين :

فاتصل الاسلام بعلم الكلام عند اليهود والمسيحيين . وابتدا يراود تفكير المسلمين : بعض آراء لهؤلاء وأولئك في مشاكل كانت لهم خاصة كمشكلة الاقانيم .. ومشكلة الرجعة والمهدى المنتظر . ومشكلة الحلول وعصمة الامام .. ومشكلة التجسيد والتشبيه .

واصبحنا نرى عند متقدمي المدرسة الاعتزالية كابى الهذيل العلاف : حلا لتعدد صفات الله على نمط حل علم الكلام المسيحي لتعدد الاقانيم . فيرجع الصفات جميعها الى صفتي العلم والحياة . ثم يتصور انهما عين الذات . وعلم الكلام المسيحي - متأثرا بالافلاطونية الحديثة - يعود بأقنومي : ابن الله .. والروح القدس .. الى ذات الله . اى أن الاقانيم الثلاثة لاتشكل في الوجود الاموجودا واحدا له صفتان .

وأصبحنا نرى أيضا : مشكلة الرجعة في علم الكلام اليهودى .

علم الكلام المسيحي خاصة بعيسى . يثبتها بعض مذاهب الشيعة بالنسبة للامام ،كما تصبح الرجعة نفسها من عقائد هذه المذاهب وتفرع عنها : فكرة المهدى المنتظر، والاحاديث المتصلة بها . وتقوم الرجعة على أساس أن الانسان المميز بالرسالة أو الامانة لايموت . بل يختفي فقط الى وقت معلوم يظهر بعده حاملا رسالة الاصلاح للبشر من جديد .

أما مشكلة الحلول — التي هي أصلا من روافد الفكر الهندى والبراهمي — وتلقفتها الكنيسة المسيحية لتقيم عليها عصمة البابا في الرأى . ووجوب الطاعة له في غير حد وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الكنسية .. فانها برزت في الفكر الشيعي بين المسلمين . وتطبيقا لها في هذا الاتجاه الشيعي يتمتع " الامام " بالعصمة في القول والرأى . بل يذهب بعض أتباع الحلول الى اسقاط التكاليف التي كان الرسول عليه السلام قدوة في أدائها : عن الامام المعصوم . المشاهد ، أو المغيب على السواء .

ومشكلة التجسيد والتشبيه عندما أثيرت أولا في علم الكلام اليهودى . ثم في علم الكلام المسيحي ، اثيرت تحت ضغط الفهم

الحسي او الفهم المادي للمعبود وصفاته • وهو فهم يقوم على قياس الغائب على الشاهد • الذي تستخدمه الوثنية المادية في وصف المعبود المعين • فالوثنية المادية لاتتحرج من وصف المعبود بالذكورة او بالانوثة •• وبالزواج ••وبالنسل • •وبالاكل والاستمتاع على نحو ما يستمتع الانسان •

وابتداءنا نرى المشبهة أو المجسمة طريقا لبعض الكلاميين في تحديد صفات الله التي تعطي في ظاهرها : الميل الى ما للانسان • تقريبا للمعنى من طاقة العامة على الفهم : كالاستواء على العرش في قوله سبحانه (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) (١)

وكالحديث عن يد الله • في قول الله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم) (٢) وفي قوله : (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) (٣) •

---

(١) الفرقان : ٥٩

(٢) الفتح : ١٠

(٣) المائدة : ٦٤

٤ — موقفه من الفكر الفارسي :

كما اتصل الاسلام — بعد خروج المسلمين به من شبه الجزيرة — بالفكر الفارسي وهنا عرف المسلمون مذهب المثنويين • والمثنويون هم القائلون بالهين في تعليل نظام الوجود العالم : اله للنور •• وآخر للظلمة • والانوار في العالم هي الموجودات العليا وعلى راسها نور الانوار • بينما الظلمة : للمادة والكائنات التي تبعد عن محيط الانوار في الارض •

ومن اتصال المسلمين بالفكر الفارسي ظهر في تفكيرهم ما يسمى "بالاشراق" وهو اتجاه يلائم بين تصور الوجود في نظام الاسلام على ان الله هو الاول والخالق وحده • وبين ذلك التصور الاخر الذى توحي به المثنوية من ترتيب الموجودات في النور •• والظلمة • فاطلق على الله : نور الانوار •• كما اطلق على الملائكة انهم : أنوار • ونورانيون يتلونه في مرتبة الوجود في تسلسله •• الى المادة • وأبرز أصحاب هذا الاتجاه الاشراقي في التفكير الاسلامي هو السهروردى المقتول في القرن السادس الهجرى •

٥ ـ موقفه من الفكر الهندى :

وانفتح طريق الفكر الهندى أمام المسلمين : وهو تفكير قائم على الدعوة الى الهروب من الدنيا . ومن الاستمتاع بمتعها .. هو تفكير صوفى يستهدف فناء الجسم فى الانسان .. واتحاد روحه مع براهما .. الاله الاكبر . واقبل بعض العلماء من المسلمين على هذا الاتجاه الصوفى . والربط بينه وبين ما يطلب فى الاسلام من الزهد ـ بمعنى عدم الاسراف ـ فى استخدام متع الحياة . فظهر فى الفكر الاسلامى الصوفى : ما يسمى " بوحدة الوجود " وهو مفهوم يعطى تصور اتصال روح الانسان بالله تعالى .. ثم اتحاده به . وعندئذ يحل الله فى الانسان . او تتحد روحه بذاته جل جلاله . وفى مقدمة اصحاب " وحدة الوجود " فى الفكر الاسلامى محى الدين محمد بن عربى . وفى تفسيره للقرآن الكريم : الكبريت الاحمر .. يكشف عن هذه الوحدة الشاملة فيما يفسر به قول الله تعالى (ولله المشرق والمغرب . فاينما تولوا فثم وجه الله . ان الله واسع عليم) (١) .

---

(١) البقرة : ١١٥

٦- موقفه من الفكر الوثني الاغريقي :

اما تحديات الفكر الوثني الاغريقي فقد خلفت في التراث الفكري الاسلامي عدة مشاكل • أهمها :

مشكلة العقل و الوحي • ويقصد بالعقل ما أتى الى المسلمين عن طريق نقل العلوم الى اللغة العربية : من فلسفة الاغريق في أصل الوجود • وعلته الاولى وبالاخص ما أثر عن افلاطون وأرسطو •

والفارابي في كتابه " فصوص الحكم " :حاول التوفيق بين خصائص الوحي للرسول عليه السلام • وما يصل اليه الفيلسوف بسبب تجرده من التأثر بماديات الحياة : الى الحكمة والصواب في الرأى • ولكن رغم دقة المحاولة العقلية للتوفيق عنده • فانه لم يوفق الى ازالة التناقض بين الوحي كعمل الهي واختيار من الله للانسان الموحى اليه • والحكمة كمستوى انساني يصل اليه الانسان بمجهوده البشري وجهاده لنفسه •

وكذلك مشكلة الشرع والعقل • ومدى ما يصل اليه العقل البشرى من ادراك الحسن والقبح • مستقلا عن الشرع • وما يترتب على ادراكه من وجوب التكليف بما يذهب اليه الشرع قبل التبليغ

للرسالة • او في غيبة هذا التبليغ • وتعرف هذه المشكلة في المدرسة الاعتزالية باسم : الحسن والقبح العقليين •

وكذلك مشكلة الصلاح والاصلح او مشكلة العدل الالهي وهي تتجه الى ان العقل البشري يصل بمنطقه الى وجوب الاصلح على الله • اذ في تحقق الاصلح للانسان يتحقق العدل الالهي وتسمى المعتزلة - من اجل احتضانهم لفكرة العدل - باسم اهل العدل • لانهم يحكمون العقل في تحديد الصلاح • وتحديد الاصلح ولكنهم يتجاهلون : أن التجربة مع الانسان الاول • وهو آدم • في الجنة أتت بعدم استطاعة العقل : كشف الاصلح له والا : ففيم الندم اذ يقول هو وحواء • متضرعين الى المولى جل جلاله (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (١) • • فاعترفا بالخطا والمعصية • ولم يكن العقل واقيا لهما اذ ذاك من الوقوع في الخطا • فضلا عن هدايتهما الى الاصلح لهما •

وقد أخذت مشكلة " واجب الوجود " فراغا كبيرا في مؤلفات

---

(١) الاعراف : ٢٣

علم الكلام الاسلامي .. وفي الفلسفة الاسلامية . وهي مشكلة تلقفهـا بعض فلاسفة المسلمين المشائيين على أنها سند الدعوة الاسلام الى الوحدة في الالوهية . التي واجهت بها الدعوة الاسلامية : الوثنيـة المادية بمكـة . وجعلتها الضمـان لعودة الصفاء الى رسالـة ابراهيم واسماعيل . ولتصحيح الرسالة الالهية في تاريخها الطويـل من تشـويه الشرك والالحاد .

ومفهوم " واجب الوجود " ــ كما هو في فلسفة أرسطو ــ يعنى في نقله : الى الله سبحانه وتعالى . كما يحدد القرآن الكريم: صفات جل وعـلا . كما يسيء الى المؤمنين به في تصـورهم اياه . فواجـب الوجود في الفلسفة الارسطية يطلق على العلة الاولى . وهي معبـود يعشق لكمالـه . ولكن ليست له فاعلية في غيره . فضـلا عن أن يكون خالقا له . وكل ما يعطيه لتحديد ذاته: أنه واحد من كل وجـه: في التصـور .. وفي الواقع . فليس متعددا في ذاته .. وليس مركبـا من أجزاء: حقيقية أو في التصـور . ومن هذا التحديد لذات واجب الوجود في الفلسفة الارسطية وقبوله لدى بعض المسلمين نشـات مشكلة الصـفات لله في تصـور المسلمين لذاته : هل الصـفات

لله هي عين ذاته ؟ .. أم هي غيرها .. أم هي لا عينها ولا غيرها .
هل اذا كانت عين الذات ترد الى صفتي : العلم والحياة أولا ..
ثم الى الذات ؟ أم ترد جميعها مباشرة الى الذات ؟ وفي الاجابة
عن هذين السؤالين يختلف السلف بين مذاهب علم الكلام عن
المعتزلة والفلاسفة المسلمين .. ويختلف السابقون في مدرسة الاعتزال
عن المتأخرين منهم فيها . ويتعقد التصور الذهني للمسلم العادي
عن الله سبحانه وتعالى .. ويتشعب المسلمون مابين : صفاتيين ..
ونفاة للصفات . واصحاب توحيد .

وتتصل بفكرة واجب الوجود في الفلسفة الاغريقية : فكرة العقول
العشرة .. من العقل الفعال .. الى العقل المباشر لتدبير الانسان .
وهو عقل القمر . وتقبل هذه الفكرة من الفلاسفة المسلمين المشائيين
ويحاولون أن يلائموا بينها وبين ماجاء في القرآن عن خصائص الملائكة
من انهم مقربون الى الله . كما جاء في قوله تعالى :
(لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) (١)
وشرحا لهذا القرب من الله — وتوفيقا بين الفلسفة والدين —

---

(١) النساء : ١٧٢

يجعلون الملائكة عقولا خالصة ، اى جواهر لاتتصل بالمادة ، الا اتصال تدبير . ويدرجون هذه العقول في تنازلها من العقل الاول ، وهو الله .. الى العقل الفعال الذى يناط به التسجيل لأعمال الانسان . فالله عقل .. وكل ملك عقل بعده ، كما يدرج أصحاب فكرة الاشراق الانوار في وجودها عن نور الانوار بعد أن يطلقوها على الله والملائكة معا .

واصبح بعد هذا التوفيق بين ما وفد من المشرق ، والمغرب وبين ما جاء في الاسلام : ثلاث صيغ امام المسلم ، تعبر عن مدلول دينى واحد وهى :

اولا : الله الخالق .. والملائكة ، كما يعبر القرآن .

ثانيا : العقل الاول ، وهو الله واجب الوجود ، والعقول الفعالة وهى الملائكة كما تعبر الفلسفة الاغريقية والقرآن بعد التوفيق .

ثالثا : نور الانوار ، وهو الله . والانوار الصادرة عنه وهى الملائكة كما تعبر فلسفة الاشراق والقرآن بعد التوفيق .

واصبحنا نقرا في الثقافة الاسلامية : الله سبحانه .. وواجب الوجود والعقل الاول .. والعلة الاولى من جانب .

الملائكة .. والجواهر الفردة .. والعقول النورانية من جانب آخر والقرآن لم يرد بواجب الوجود ولا بالعلة الاولى .. كما لم يرد بالجواهر الفردة والعقول النورانية . والمسلم التقليدى فى معرفته يرتبط بهذه المصطلحات الدخيلة . أكثر مما يرتبط بتعبير القرآن الكريم .

ولم يكن لهذا التوفيق من أثر فى الصياغة والتعبير فحسب . بل كان له أثر سلبى كبير على تعقيد الفهم لما جاء فى القرآن . اذ وضع المسلمين فى متاهات جدلية عقيمة لاتنتهى الا الى التعقيد وعدم الخروج بحل واضح لأى مشكل .. مما أضعف من حرارة ايمانهم بالقرآن ومن دفعهم الى العمل به فى غير اختلاف وانشقاق وفى غير تبريرات عقيمة . تحول دون كشف الواقع والسيطرة عليه .

وكتاب " الجانب الالهى من التفكير الاسلامى " للدكتور : محمد البهى يوضح : تفاهة الفكر الدخيل ووثنيته .. وآثاره السيئة على الايمان بالاسلام . لمن أراد مزيدا من الدراسة .

ثانيا : التصحيح الفكرى والعقدى في القران الكريم للفلسفات المعاصرة :

كان وضع المسلمين فيما مضى ينطوى على سعة فى دائرة الايمان بالاسلام .. وعلى عمق فى الارتباط به . رغم الخلافات السياسية التى مزقتهم الى مجموعات تختلف حول " الامامة " العليا . وفى وضع شروط خاصة بها تعبر عن الفجوة بين المصالح الخاصة بينهم : ورغم تفرقهم الى طوائف .. ومذاهب . وتفاوتهم فى مدى شد الاسلام الى ما تراه كل طائفة .. والى ما يصدر عنه كل مذهب من رأى . اذ العوامل التى مهدت لوضع المسلمين اليوم فى حاضرهم كانت عوامل قاسية فى اقتلاع جذور الايمان بالاسلام من مجتمعاتهم ومن محيط حياتهم . ومن معاملاتهم . ومن قضائهم . ومن توجيههم ومن سلوكهم .

كان المسلمون منقسمين قبل اليوم . ولكن انقسامهم لم يصل الى نسيان المسئولية الجماعية التى توجب التعاطف والتضامن فيما بينهم . ولم يصل كذلك الى اللامبالاة التى وصل اليها أمر المسلمين اليوم فى صلات مجتمعاتهم : بعضها ببعض .

لم يكتف الاستعمار الاجنبى فى الحاضر بوضع فواصل غير طبيعية

عندما قسم المسلمين الى مجتمعات ، ودول ، وسلطنات ، بل وضع الاساس في التقسيم : الامكانيات الاقتصادية والبشرية التي يريد ان يستنزفها في شره ، وفي غير اعتبار بشرى لما يستخدمه منها في أرض المسلمين وبلادهم .. كما راعى في هذا التقسيم : الاتفاق والتراضي بين المستعمرين العديدين على توزيع هذه الامكانيات بينهم ، كما اتفقوا جميعا — على تعددهم — على أسلوب العمل لاستغلال هذه الامكانيات .. الى اقصى مستوى فيها وهو اضعاف الايمان بالاسلام بين المسلمين ، بابعادهم عن رؤية ايجابية في الحياة البشرية . ان بالسعي والعمل والجدى .. وان بالترابط والتضامن فيما بينهم في السراء والضراء .

١ ـ موقفه من الفكر العلماني :

وكان في مقدمة الخطوات في اسلوب العمل الاستعماري: دفع "العلمانية" في محيط الحياة الاسلامية • والعلمانية مصطلح يقصد به : ان في الحياة التي يعيشها الانسان في مجتمعه جانبين • يتميز أحدهما عن الاخر جانب دنيوى • وهو جانب الحياة الاقتصادية والسياسية والطبيعية • اى التي تتصل بالطبيعة من الارض وما فيها • • وماتحتها • • وما فوقها • من امكانيات ومصادر للثروة : معلومة او مجهولة يمكن كشفها • وهذا الجانب ليست له قدسية • بل هو جانب ينطوى على دنس وشر • وهو للدولة • وجانب آخر قدسي وهو جانب الاسرة • والوجود الالهي على هذه الارض وهو للكنيسة •

ومنطق هذا المفهوم للعلمانية يقضي بتوزيع الانسان بين هذين الجانبين • واخضاعه الى توجيهين او الى سلطتين مختلفتين لهما الزام التوجيه عليه •

وهنا نشات في الفكر الاوربي فكرة الفصل بين الدين والدولة • • أو بين سلطة الدولة وهي السلطة الزمنية أو الدنيوية من جانب • وسلطة الكنيسة وهي السلطة الدينية او الالهية من جانب أخر •

وبينما سلطة الدولة تناقش وتنتقد ٠٠ اذا بسلطة الكنيسة لاتقبل غير الخضوع والطاعة • وهكذا : هناك دولتان او سلطتان في حياة الانسان الاوربي في المجتمع الواحد : سلطة الدولة • وسلطة الكنيسة الدولة فيما يسمى بالحياة المدنية وهي علاقة الناس في المجتمع بعضهم ببعض • وحكمها هو الحكم المدني ٠٠ او العلماني او الدنيوي او السياسي • والكنيسة فيما يسمى بالحياة الدينية • وهي حياة الاسرة والعلاقات الشخصية : في الزواج • وفي الابناء • وفي الوفاة • وصلة الانسان بربه ومعبوده • وحكمها هو الحكم الديني او الالهي • أو الكنسي • والحكومة الالهية حكومة معصومة عن الخطأ وقول البابا لايرد • لأن الاله الذي يحل في الكنيسة ٠ يحل بدوره فيمن يوجه سلطتها العليا • وهو البابا •

وقد قامت العلمانية بدور أساسي في اضعاف السلوك الديني في المجتمعات الاوربية • وعلى وجه خاص عن طريق التربية والثقافة ولولا يقظة الكنيسة في المحافظة على سلطتها واداء رسالتها في اختصاصها • لتحولت المجتمعات الاوربية جميعها اليوم الى مجتمعات الحادية •

هذا النمط من التفكير العلماني اقحم نفسه مع سلطة الاستعمار الاوربي في المجتمعات الاسلامية . وتسرب الى التعليم . والقضاء والتشريع . وأوجد له من بين المسلمين دعاة يبشرون به . بجانب سلطة أصحاب النفوذ الاستعماري . وفي خدمتهم وأخذت الحياة في المجتمع الاسلامي تتشعب الى : تعليم ديني .. وتعليم مدني .. والى سلطة قضائية شرعية .. وأخرى مدنية .. والى تشريع شرعي في الاحوال الشخصية .. وآخر مدني في المسائل المدنية والجنائية والدستورية والعلاقات الدولية .

واشتد منذ التفكير العلماني في المجتمعات الاسلامية وطغى بذلك مايسمى بالجانب المدني على الجانب الاسلامي . وانتهى الامر في عهود الحكم الوطني بعد استقلال المجتمعات السياسية الى الغاء القضاء الشرعي .. والتضييق على فقه الاحوال الشخصية .... ومحاولة مساواة المرأة بالرجل في الميراث . اسهاما فيما يسمى "حركة تحرير المرأة" التي تعد ظاهرة بارزة في النصف الثاني من القرن العشرين . كما اشتد النقد لمبادئ الاسلام في وسائل الاعلام المختلفة وفي الكتب والدوريات .

وأصبح الفصل بين الدين الذى هو الاسلام .. والدولة فى أى مجتمع اسلامى : حقيقة قائمة . بحجة أن مجال الدين وهو الاسلام يختلف عن مجال الدولة . وأصبح شعار : الدين لله . والوطن للجميع شعارا سائدا فى المجتمعات الاسلامية بالاخص بعد استقلالها سياسيا مما يسمى بالاستعمار الاوربى .

فهل الاسلام يرى فى حياة الانسان مجالين لسلطتين مختلفتين ؟

وهل الاسلام يرى دنس المادة وشرها حتى يمكن لهيئة غير دينية تتولى شئونها ؟

وهل الاسلام يرى فى المجتمع البشرى حكومة الهية معصومة عن الخطا . تجب لها الطاعة والاستسلام فى غير شورى . وفى غير ابداء راى ؟

وهل كانت قيادة المجتمع على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بعيدة عن اى خطا ؟ ولماذا كان عتاب الله لرسوله فيما اتجه اليه فى شأن أسرى بدر . فى قول الله تعالى (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض . تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (١)

---

(١) الانفال : ٦٧ — ٦٨

ان فكرة العلمانية تواجه اذن الاسلام في مجتمعه وتحمله على قبول ماقبلت به الكنيسة في المجتمع الاوربي . والعلمانيون في المجتمعات الاسلامية يفرضون عليها قبولها في التخطيط والتطبيق والساسة في المجتمعات الاسلامية يحاولون أن لايسمعوا كلمة: الاسلام في شأن نظام حكم هذه المجتمعات .

والاسلام بمواجهة العلمانية له .. ودفعها اياه على هذا النحو: يتخلف رويدا .. رويدا عن الظهور في مجتمعاته . وبين شعوبه . اذن لابد أن يكون هناك توضيح اسلامي لوضع الاسلام في حياة المسلم وفي نظرته لطبيعة الانسان .. وفي تقديره للمادة .. وفي مدى توجيهه في تنسيق مع طبيعته الانسانية . وفي ملائمة مع متع الحياة المادية . لابد من توضيح اسلامي (١) .

لهذا . ولغيره يأخذ طابع الدفاع . ولون علم الكلام الاسلامي وعندئذ يكون مثل هذا التوضيح امتدادا لعلم الكلام عندما واجه تفكير الغرب والشرق في دينه .. وفلسفته .

---

(١) من الكتب التي تعالج هذا الموضوع: للمؤلف : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . ورسالة: العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق .

٢ - موقفه من الفكر الاستشراقي :

ثمة رافد آخر من الفكر الدخيل في حاضر المجتمعات الاسلامية يساعد العلمانية على يسر القبول ، والتمكن في توجيه المسلمين ، وهو تحد اخر للاسلام ، وهذا الرافد الاخر هو الفكر الاستشراقي ، أي اتجاه المستشرقين في بحث التراث الاسلامي والمبادئ الاسلامية ، وهو فكر عمل الاستعمار على قيامه ونشره وتوطينه في البلاد الاسلامية نعم قد تكون هناك بحوث للمستشرقين تستحق الاهتمام والاعجاب ، ولكنها قليلة بالنسبة لبحوثهم الاخرى التي تستهدف تشكيك المسلمين في دينهم ، وتحاول أن تخلخل الصلة بين المسلمين واسلامهم ، خ هي بحوث فيها : التجرد في البحث وسلوك المنهج العلمي فيها ولكن معظمها تكرار لاتهامات الماد يين المشركين على عهد القرآن ، فيدعون مثلا : أن القرآن ليس وحيا من الله ، وان الرسول عليه السلام ألفه ، وقد أثار مشركو مكة هذا الادعاء فيما يحكيه الله سبحانه وتعالى (أم يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) (١) .

---

(١) الطور : ٣٣، ٣٤

وقد نقل عنهم هذا الادعاء كتاب الشعر الجاهلي فيما يرويه من ان الرسول صلوات الله عليه: عاش في فترة مزدهرة من الحضارة الانسانية في شبه الجزيرة العربية • وهي حضارة سياسية واقتصادية وتاثر بها وكان القرآن تعبيرا عما تاثر به منها •

ويدعون ايضا : ان الرسول عليه الصلاة والسلام نقل ما في قرآنه عن أهل الكتاب على نحو ما ادعى المشركون الماديون في مواجهته صلى الله عليه وسلم فيما يقصه قول الله تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر • لسان الذي يلحدون (أي يجيدون ويعدلون عنه) اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين) • (١)

وقوله (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون • فقد جاءوا ظلما وزورا) • (٢)

وقوله (انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين • ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) • (٣)

وكما اتهمه هؤلاء المكيون الماديون : بانه - عليه السلام - في

---

(١) النحل : ١٠٣ (٢) الفرقان : ٤

(٣) الدخان : ١٣ • ١٤

تعلمه من الاخرين لم يكن طبيعيا في تفكيره ٠٠ بل كان مجنونـــا

وغير مستقر ذهنيا : فيما يستمع • ويتعلم ٠٠ كـذ لك عندما ينسب

المستشرقون اليه صلى الله عليه وسلم : انه تعلم من اهل الكتاب :

يقولون ايضا : انه اساء استخدام ماتلقنه ٠٠ ولم يستطـــع ان

يعقله ٠٠ وبالتالي كان مشوشــا في التعبير عنه في قرآنه • ويضربون

المثل على ذ لك بمسالتين اختلف فيهما القرآن عن مسيحية الكنيسة :

المسألة الاولى : مسألة التثليث ٠٠ والوحدة في الالوهية • فيقولون :

ان محمدا لم يستطع فهم التثليث • ولـذا قاومه ونـدد به ودعا الى

وحدة الالوهية على نحو ما يقول الله تعالى (لقد كـفر الـذين قالوا

ان الله ثالث ثلاثـة وما من اله الا اله واحد • وان لم ينتهوا عمـا

يقولون ليمسن الـذين كفروا منهم عـذاب أليم) (١) •

المسألة الثانية : ألوهية المسيح : فيدعون كـذلك : أنه (اى محمـدا

عليه السلام) لم يرق الى مستوى الرسالة • والى مستوى المسيح •

ولـذا لم يفهم الوهيته • فبقـاؤه في المستوى البشرى حال دون

تقبله الوضـع الصحيح لعيسى • وقد ظهر غضـبه على تأليه المسيـح

---

(١) المائدة : ٧٣

فيما يعبر عنه قرآنه في قول الله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) (١) .

ثم في قوله (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة ، كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون) (٢) .

اختلاف القران عن مسيحية الكنيسة في هاتين المسالتين - وفي غيرهما - لم يكن لعامل انساني لدى الرسول عليه السلام .. اى لم يكن لقصور أو تشويش في تفكيره كما يدعى هؤلاء المستشرقون . وانما جزء رئيسي في رسالة القران . يتعلق بتصحيح الاخطاء والتحريف الذى وجد عند بني اسرائيل : من يهود ومسيحيين ، على السواء ، ويشير الى رسالة القران من اجل هذا التصحيح قول الله تعالى : (ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون . وأنه لهدى ورحمة للمؤمنين . ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم . فتوكل على الله ، انك على الحق المبين) (٣) .

---

(١) المائدة : ٧٢ (٢) المائدة : ٧٥

(٣) النمل : ٧٦ - ٧٩

كما يشير القران الى أخطاء التحريف للكتاب الذى جاء به موسى من جانب بنى اسرائيل فى قول الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره (والخطاب هنا للمكيين الماديين) اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء . قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس . تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) (١) .

(والخطاب الان لبنى اسرائيل . اى أن كتاب موسى لم يبق ـ كما كان ـ نورا وهدى للناس بسبب اظهار بعضه واخفاء الكثير منه . ولذا كان هذا مكان لرسالة القران . التى هى تصديق لكتاب موسى فى أصله) والاية اذ جاءت الان لتأنيب الماديين المكيين على اتهامهم الفج . فانها أيضا فى الوقت نفسه أبرزت السبب فى نزول القرآن . بعد التوراة . وهو تحريفها الذى باشره علماء بنى اسرائيل .

ثم يتلقف المستشرقون ـ زيادة على تكرارهم لتهم الماديين المكيين بالنسبة للقرآن .. أو بالنسبة للرسول عليه السلام ـ أخطاء فى أفهام بعض المسلمين للقرآن .. او يحاولون هم استنتاج مايعد استنتاجه من ظواهر الآيات القرانية .

---

(١) الانعام : ٩١

فيتلقفون مسألة " النسخ " في القرآن مثلا ، ويدعون أن القرآن مضطرب فيما يقوله ، لأن محمدا يقع تحت تأثيرات مختلفة ومتغايرة ويذكرون كثيرا من الامثلة التي يوردها هذا البعض من علماء المسلمين للاستشهاد على نسخ القرآن : بعضه لبعض .

ولو عرف هذا البعض من العلماء - وكذلك لو أخلص المستشرقون في نواياهم في عرض الاسلام - أن القسم المدني من القرآن نزل منجما ، حسب تطور مجتمع المدينة وظهور مشاكله واحتياجاته : لادركوا جميعا : ان تكوين المجتمع لا يتم نقله من وضع الى اخر على النقيض منه : دفعة واحدة .. وأن التطور النفسي عامل رئيسي في تماسكه وفي بقاء أفراده في نطاق هدفه المعين . والتطور النفسي لايقبل الفجاة .. ولا يلتئم مع التحديات النهائية في اول طريق التكوين . وجاء التعبير عن نزول القرآن منجما في قول الله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)(1) .

---

(1) الفرقان : ٣٢

وكذلك لو عرف هذا البعض : ان النسخ ليس في رسالة أي رسول وانما هو بين رسالات الرسل . ككل . كالذي وقع بين رسالة ابراهيم . وموسى . . ومحمد عليهم السلام في حل العمل يوم السبت وفي تحريمه على نحو ما يصوره القران في قول الله تعالى (ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا . وماكان من المشركين . انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه (أي انما حرم العمل يوم السبت على بني اسرائيل لانهم هم الذين عصوا الله فيما أمرهم به في قوله :

(ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا في السبت) (١)

(أي لاتتجاوزوا الامر في شأنه . وهو عدم العمل فيه) وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيماكانوا فيه يختلفون) (٢) .

فأمر الرسول محمد عليه السلام باتباع ابراهيم — دون موسى — في حل العمل يوم السبت . واذن ماجاء في القرآن هو نسخ : لما جاء في التوراة في هذا الشأن وعودة بالبشرية الى ماكان عليه ابراهيم .

ولذا كان من أسباب رفض القرآن من جانب بني اسرائيل

---

(١) النساء : ١٥٤   (٢) النحل : ١٢٣ ـ ١٢٤

هو نسخه لبعض ماجاء في التوراة • ويشير الى ذلك قول الله تعالى :

(واذا بدلنا آية مكان آية (اى اتينا في القرآن بآية تدل على حكم

بدل آية في التوراة تدل على حكم مغاير له) والله اعلم بما ينزل قالوا

(أى قال ذلك أهل الكتاب من بنى اسرائيل لأنهم هم الذين

لهم كتاب منزل ينطوى على آيات الاحكام وليس المشركون المكيون)

انما أنت مفتر• بل اكثرهم لا يعلمون • قل نزله روح القدس من ربك

بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) (١) •

ويحاولون ابراز مايسمى بالتضارب فيما يريده القرآن أو فيما

يأمر به وينهى عنه ويعرضون للجبر •• والاختيار • ويذكرون الآيات

التي يؤخذ من ظاهرها : وجود الجبر وعدم المشيئة بالنسبة للهداية

على الاخص والايات الاخرى التي تترك أمر الكفر والهداية الى

الانسان ويشيرون الى مذهب الجبريين •• والى المذهب الاخر • وهو

مذهب المعتزلة في اختيار الانسان • ولكنهم لا يشيرون اطلاقا الى

الدوافع السياسية في أمور الخلافة الاسلامية التي دفعت الى اعلان

---

(١) النحل : ١٠١ • ١٠٢

مذهب الجبر فى عهد الامويين .. والى مذهب الاختيار على أيام حكم العباسيين . والسياسة فى استخدامها الدين لاتتركه وحده يقول ما يريده . وانما تحمله - على يد نفر ممن ينتسبون اليه - على قول معين . هو القول الذى تحتاجه السياسة فى وجه خصومها فى الحكم تأييدا لاتجاهها فيه . ولكنهم يبتغون الفتنة .. ويبتغون تأويله . كما صنع أسلافهم من أهل الكتاب ذلك . وحكاه الله فى قوله تعالى (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات . فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا . وما يذكر الا أولوا الالباب) (١)

ولو اتضح لهؤلاء ولغيرهم أن الجانب النفسى فى القرآن بالنسبة للرسول عليه السلام كان عنصرا هاما فى نجاح الدعوة به: لترددوا كثيرا فيما يتهمونه به . فعندما يقول الله لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه (انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء . وهو أعلم بالمهتدين) (٢) يقول له ذلك - ناسبا الهداية

---

(١) ال عمران : ٧ (٢) القصص : ٥٦

الى الله وحده — ليطمئنه نفسيا بأن عليه صلى الله عليه وسلم — فقط : مباشرة الدعوة بين أقربائه ولكنه لا يتحمل نتائجها عنهم . فسبحانه هو الذى يقول له كذلك فى هذا الشأن (ولاتحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون)(١) .. دفعا لما قد يجول بنفسه من خواطر الاسف ، بسبب عدم نجاح دعوته بين أقربائه .. وتشجيعا له على السير نحو الامام فى رسالته .

أما المسئولية الشخصية عن الايمان والكفر .. وعن العمل الصالح والسيء .. فهى حقيقة بارزة فى القرآن . لانها قائمة على الحرية الكاملة فى قبول الايمان بالاسلام ، أو فى رفضه (وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)(٢) .

(ومن كفر فعليه كفره ، ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون)(٣)

ولا يمكن أن يكون الانسان مسئولا عن كفره الا اذا كان ذا مشيئة فيه . وآيات القرآن التى تظهر نسبة الايمان والكفر الى الله تستهدف هدفين :

---

(١) النحل : ١٢٧ (٢) الكهف : ٢٩

(٣) الروم : ٤٤

الهدف الاول : أن مشيئة الله تعين الانسان على الهداية اذا أقبل عليها أو عندما يقبل عليها • ولاتعينه عليها اذا اعرض عنها (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام • ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد الى السماء • كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون) (١)

الهدف الثانى : احاطة الداعى والدعوة بجو النجاح وعدم الخذلان لان ذلك بابعاد : أن يكون الايمان •• أوعدم الايمان من مستتبعات النشاط فى الدعوة والداعى اليها • وهنا ليس على الداعى الا أن يقوم بواجبه فى شرح الدعوة • دون انتظار لما تسفر عنها نتائجها • ويكل النتيجة لله وحده • ويعتمد عليه فى النجاح اخيرا (فلذلك فادع • واستقم كما أمرت • ولا تتبع أهواءهم • وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب • وأمرت لاعدل بينكم • الله ربنا وربكم • لنا أعمالنا ولكم اعمالكم • لاحجة بيننا وبينكم • الله يجمع بيننا • واليه المصير) (٢)

كما يتلقف هؤلاء المستشرقون ماقد يوجد فى بعض كتب المتأخرين فى الفقه من استنتاجات افتراضية • ربما لاتقع فى الحياة العملية

---

(١) الانعام: ١٢٥ (٢) الشورى : ١٥

للانسان . ولكن يفترض الفقيه - وهو منعزل عن أحداث الحياة . ومستغرق في خيال التصور - وقوعها . ويدخلها في دائرة استنتاج الاحكام الفقهية . كما تذكر بعض كتب الفقه مثلا : الاحكام التي تترتب على زواج انسي بجنية .. او زواج جني بانسية : في الطلاق وفي الميراث . وفي النسب ومستقبل الاولاد . وكما تذكر هذه الكتب أيضا : الحكم الشرعي : من بطلان .. أو كراهية . في خطيب يصعد المنبر يوم الجمعة .. أو يؤم المصلين في صلاتها . وهو يحمل قربة من الفساء .

وفي سرد هؤلاء المستشرقين لمثل هذه الاحكام الافتراضية في الفقه يقصدون : أن يشيروا الى الانعزالية أو البعد في احكام الفقه الاسلامي عن واقع الحياة .. أوعن مدى اهماله في معالجة القضايا والمشاكل التي تعترض حياة المسلمين في اختلاطهم بحضارات أخرى .. وفي عهود يتقدم فيها العلم والتطبيق الصناعي ويصل فيها الانسان الى مستوى السيطرة على الأجواء بعد أن سيطر على الارض والبحار .. يقصدون : اما الى ابراز جمود الفكر الاسلامي أو تخلفه .. أوعدم صلاحية الشريعة الاسلامية لدفع المسلمين نحو التطور .. والخروج من الركود الذي يعيشون فيه .

وفي جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الامريكية كان يقوم في العشر سنوات الاخيرة أستاذ بريطاني ـ وهو من كبار المستشرقين واكثرهم اعتدالا وهو الاستاذ " جب" بتدريس هذا النوع من الفقه الافتراضي . بدعوة من الجامعة وعلى نفقة اعتماد مالي كبير لتدريس حضارة الشرق الادنى وحركاته الاسلامية المعاصرة . للطلاب الامريكيين .. والوافدين من أنحاء العالم .

ومثل هذا العمل للمستشرقين هو تحد آخر للاسلام في وقتنا المعاصر. يجب أن يواجه بتتبع وبيان مافيه من فساد . ومغالطة وخلط وتشويش . على نحو ما صنع المرحوم الامام محمد عبده في رده على المستشرق الفرنسي " رينان " في كتابه (الاسلام والنصرانية) (١) .

ومن الاسف أن عمل هؤلاء المستشرقين تعدد .. وتنوع واتسع الى درجة انه يصعب على القلة المفكرة من علماء المسلمين ان تواجهه . ثم في الوقت نفسه له اثر سلبي .. ونافذ .. ومستمر .

---

(١) وعلى نحو ما جاء في تفنيد ادعاءات المستشرقين في كتاب: الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي .

على المثقفين المسلمين لان تنظيمهم لبعض المراجع الاسلامية ومنهجهم في التبويب والترتيب للفكر او للكتب من شانه أن ييسر الرجوع الى المفاهيم الاسلامية وان كانت تنطوي على تحريف • أو اساءة متعمدة في شرحها • فدائرة المعارف الاسلامية — مع مافيها من أغلاط وتحريف متعمد — تدفع الى من يبحث عن بعض المراجع الاسلامية المعاصرة •• الى الرجوع اليها • وقلما — من تعود الرجوع اليها — يكون على علم بالمفاهيم الاسلامية من مصادرها • وبالاخص من القرآن الكريم •

٣ ـ موقفه من الفكر الطبيعي :

وبجانب ما وفد من الغرب الى المجتمعات الاسلامية في ظل الاستعمار من تحديات العلمانية .. والاستشراق : وفد أيضا الى هذه المجتمعات تحديات الفكر الطبيعي . وهو الفكر الذى يرى علل الاشياء في ذواتها .. ويخضع أحداثها الى استتباع الطبيعة لمسبباتها . والفكر الطبيعي يعترف بالتجربة المادية وحدها كوسيلة للعلم .. ومن اجل ذلك ينكر أى مصدر آخر له . كغيب السماء وما يأتي به الوحي منه .

وهنا وجد تحدى : مايسمى بمشكلة العلم والدين . فحسب مقياس العلم في اتجاه الفكر الطبيعي يعتبر الدين أسطورة أو خرافه غيبية . أى لا يعتمد فيما يقول على تجربة الحس . ولا على وسائل الاختبار العلمية . والملاحظة لمرور التجربة في مراحلها العديدة وفعلا يتحدث الطبيعيون عن نوعين من العلم : أحدهما تجريبي وهو العلم الطبيعي وهذا هو النوع المقبول . وثانيهما غيبي وهو الدين وهو لا يعتد به . كما لا يعتمد عليه في بناء المجتمع وسلوكه . وان يردد الطبيعيون ماكان يردده المشركون الماديون على عهد الرسالة .

على الرسالة على نحو ما يقص قول الله تعالى (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفى آذ انهم وقرا • وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها • حتى اذ ا جاءوك يجادلونك يقول الذ ين كفروا ان هذ ا الا أساطير الاولين) •(١)

ومحمد اقبال — فى كتابه " اعادة بناء الفكر الاسلامى " •• يرى فى قصر الطبيعيين : العلم • على ما تأتى به نتائج التجربة المادية وحدها •• اى على ما يأتى به الحس وحده : نوعا من القصور فى تحديد وسائل العلم •• او نوعا من التحيز فى اختيار الحس وحده • كوسيلة يؤخذ بها ويعتمد عليها • فما يأتى به الدين كذلك من علم • فايمان به : هو تجربة كذلك • ولكنها تجربة نفسية تخضع للممارسة الداخلية للانسان اى تخضع لجهاد النفس وترويضها فكلما جاهد الانسان شهوات نفسه ووقف فى سبيل هواها : كلما زاد ادراكه وضوحا وعمقا للطريق السوى فى الحياة •• وكلما زاد ايمانه قوة بالله وبرسالته • ونهاية هذه التجربة النفسية تتجلى فى الصفاء النفسى • وفى الالهام البعيد عن التأثر بمتع الحياة ••

---

(١) الانعام : ٢٥

يتجلى في مستوى معين من الزهد او التصوف .. وهو مستوى التجرد في الحكم والغنى النفسي بالقناعة من ماديات الحياة .

والرؤية العلمية التي يراد صاحب هذه التجربة ادخل اذن في معنى : العلم واليقين .لان تجربة الحس لا تمر وحدها الى نتائجها وانما تصحب هذه التجربة ملاحظة الملاحظ لها .. أى ملاحظة انسان يرقبها ويتتبع خطواتها . وهذا الانسان في مراقبته اياها خاضع للغفلة .. وللتأثر بالجو الذى هو فيه .. وللتقلب في المزاج والصحة الى حال .. ونقيضه . اثناء قيامه بالملاحظة والاخطاء العلمية هى أخطاء : اما في ذات التجربة .. أو في ملاحظتها من الانسان والتطور العلمي ماهو الا طريق يقوم على تصحيح الاخطاء التى تقع في التجارب المادية أو الحسية والتوصل الى نتائج جديدة قد تعدل غدا ايضا . ومع ذلك لايتلافى التطور العلمي جميع الاخطاء ويستحيل عليه أن يتلافاها لأنها من الانسان المعرض للشيء ونقيضه في حياته . وفي ممارسته للمراقبة والملاحظة .

والتطور العلمي ينطوى في ذاته على اعتراف بعدم تكامل العلم أو بعدم وصوله الى اليقين النهائي .

" واقبال " فى توضيحه للتجربة الدينية — كوسيلة أخرى بجانب التجربة المادية — أخذ من الفيلسوف الالمانى " هيجل " طريقه فى الوصول الى وحدة الالوهية .. وكيفية وجود العالم عنه . واتصاله به .. وهو طريق الدعوة .. ومقابل الدعوة .. والجامع بين الدعوة ومقابل الدعوة . او هو طريق استخدام النقيض فى مجال " الفكرة " وقد استخدمه " كارل ماركس " فيما بعد : فى مجال المادة او الاقتصاد ليصل منه الى سيادة البروليتاريا فى حكومة عالمية .

وفى الوقت الذى ينكر فيه الطبيعيون القيمة العلمية للدين — لانه كما يقولون : علم — غيبى . وليس بحسى — يجعلون علم الاجتماع فى مقدمة العلوم اليقينية . والمجتمع الذى يبحث . وتحدد قوانينه وتوصف بانها قوانين علمية . ويتكون منها مايسمى بعلم الاجتماع : ليس تجربة مادية خالصة . لأن الانسان الفرد فى المجتمع والذى تقع عليه التجربة فى علاقته بغيره . والذى قال فيه هؤلاء الطبيعيون انه وحدة مادية فى ظاهره وباطنه . هذا الانسان ليس " موضوعا " للفعل والانفعال فحسب . اى ليس موضوعا قابلا فقط . وليست له فاعلية . بل هو وحدة تتفاعل مع عالمها الذى توجد فيه . فهى كما

تقبل الفعل من الغير .. تعطى الفعل للغير . وهذا معناه : أن المجتمع لا يساوق أية كتلة مادية فى الطبيعة . تلاحظ عليها التجربة .. وتقنن المراحل التى تمر بها هذه التجربة . لأن الكتل المادية الاخرى : كتل ميتة . والانسان أن كان كتلة من المادة . ففيه الحياة والحياة فى الانسان هى حركة تصدر وحركة أخرى تستقبل .

وأصحاب الاتجاه الطبيعى اذن ليسوا أصحاب تجرد فى الحكم بل حزبية النفرة من الدين . والرغبة فى التخلص من سلطة الكنيسة حملتهما على الفصل بين العلم والدين . كما حمل رجال السياسة على الفصل : بين الدين والدولة .

والاتجاه الطبيعى فى التفكير هو من التحديات المعاصرة التى لم تلق الان اهتماما فى الفكر الاسلامى المعاصر (١) من أجل توضيح الاسلام ومبادئه على أساس الوحى الالهى به . ومحاولة اقبال فى

---

(١) كتاب الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى محاولة فكرية أخرى فى دفع التحدى الطبيعى للاسلام .

توضيح أن الدين تجربة علمية من نوع آخر رغم أنها محاولة ناجحة الا أنها تقصر عن أن تواجه هذا السيل من تفكير الطبيعيين • لابعاد الاسلام عن التوجيه وبالاخص عن توجيه الشباب المسلم المعاصر •

٤ — موقفه من الفكر المادى التاريخي :

والفكر المادى التاريخي هو الفكر الذى يجعل كل ظواهر الوجود — وبالاخص تطورات المجتمع البشرى — من المادة • أى من الاقتصاد وحده • فالاقتصاد هو العامل الوحيد المحرك للوجود وهو صاحب الخالقية والفضل فى تغيير المجتمعات الانسانية ••

والمجتمعات الانسانية ذاتها مرآة تعكس آثار الاوضاع الاقتصادية فيها • والمجتمعات الانسانية بدورها ذات التأثير على الفرد : فى ذاته •• وفى علاقته بالآخرين •

ويلتمس هذا الفكر من بعض أحداث التاريخ الشواهد على ما يدعى ويستعين بفكرة النقيض عند هيجل :على توضيح تحول المجتمع من وضع معين •• الى وضع آخر مقابل له • كتحول المجتمع من وضع الاقطاع فى الاراضى والعبيد •• الى وضع نظام رأس المال فى الصناعة •• ثم الى وضع البروليتاريا فى الشيوعية الدولية •

ويقوم هذا الفكر على أساس الالحاد العلمي • والعداوة التي لاتقبل المهادنة للدين • وقد عرف هذا الاتجاه في القرن التاسع عشر باسم "السوشيالزم" أو الاشتراكية • ثم عرف بعد ذلك باسم الاتجاه الماركسي • نسبة لليهودي "كارل ماركس" في القرن التاسع عشر • وفي تطبيقه بعد ثورة أكتوبر الحمراء في روسيا سنة ١٩١٧ عرف باسم الاتجاه اللينيني • ويعرف في بعض المجتمعات الاسلامية بأسماء أخرى كالاشتراكية العربية •• أو الناصرية أو اليسار العربي تستترا على ما يدعو اليه من تقويض الدين باسم الالحاد العلمي •

ويعيد هذا الاتجاه في موقفه من اتهام الدين : ماكان يتهم به القدامى من الماديين ـ كمشركي مكة ـ الاسلام من أنه : كهانة وأسطورة وأضغاث أحلام •• وسحر •

فيحكي القرآن الكريم قول هؤلاء القدامى بشأن القرآن :

(وقالوا أساطير الاولين اكتتبها) (١) •

(بل قالوا أضغاث أحلام) (٢)

(ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) (٣) •

---

(١) الفرقان : ٥ (٢) الانبياء : ٥ (٣) هود : ٧

ونفى القرآن دعواهم ازاء الرسول عليه السلام : بأنه كاهن فى قول الله تعالى (فذكر فما أنت بنعمة ربك (وهى القرآن) بكاهن ولامجنون) (١)

ولكن هذا الاتجاه المادى التاريخى يعيد هذا الموقف فى تعبيرات أخرى . فيصف الدين مثلا : بأنه أفيون الشعوب . أى مخدر كما يصفه بالاسطورة .. وبأنه غيبى لايحمل طابع المعرفة الصحيحة والقائمون على تنفيذ هذا الاتجاه فى مجتمعاتهم يصفون كل من ينقد نظام الحكم القائم عليه : بأنه مجنون ، ويحتجزونه فى أمكنة المجانين . وقد حكم المكيون على رسول الله عليه السلام بسبب دعوته الى القرآن : بأنه مجنون .

(وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر (أى القرآن - ويعنون محمدا عليه السلام) انك لمجنون . لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) (٢) .

والقرآن كرسالة الله هو فى الدرجة الاولى : نقد لأوضاع المجتمع قبل الرسالة .. وفى الوقت نفسه : بناء لمجتمع انسانى جديد .. بدلا من مجتمع الوثنية المادية .

---

(١) الطور : ٢٩ (٢) الحجر : ٦

وجمال الدين الافغاني في النصف الاخير من القرن التاسع عشر في رسالة " الرد على الدهريين) كما تكفل بالرد على أصحاب الاتجاه الطبيعي في الفكر .. تكفل أيضا بالرد على هذا الاتجاه الماركسي (١) الذي كان معروفا اذ ذاك : بالسوشيالزم .. أو بالاشتراكية .

وفي رد جمال الدين الافغاني على أصحاب هذا الاتجاه تناول ثلاث نقاط :

الأولى : من هم الاشتراكيون . والشيوعيون في الغرب والشرق ؟

الثانية : مابين : مزدك .. وماركس .

الثالثة : أوجه المشاركة في الحديث .. والقديم .

ا ـ ففي النقطة الاولى يقول :

أ ـ من هم في الغرب ؟

" هذه الطوائف تتفق في سلوك الطريقة الدهرية (وهي : الالحاد بالدين .. والايمان بالطبيعة وحدها) زينوا ظواهرهم

---

(١) وقد وردت في صورة مستقلة رسالة " تهافت الفكر المادي التاريخي بين النظر والتطبيق " من مؤلفات الدكتور / البهي في رده على اصحاب هذا الاتجاه .

يدعون: أنهم سند الضعفاء.. والمطالبون بحقوق المساكين والفقراء.

" وكل طائفة منها ، وان لونت وجه مقصدها بما يوهم مخالفته لمقصد الاخرى . الا أن غاية ما يطلبون: انما هو رفع الامتيازات البشرية كافة.. واباحة الكل: للكل واشتراك الكل: في الكل.

" وكم سفكوا من دماء.. وكم هدموا من بناء.. وكم خربوا من عمران.. وكم أثاروا من فتن.. وكم أنهروا من افساد . كل ذلك سعيا في الوصول الى هذه المطالب الخبيثة (الاباحة .. والاشتراك)

وجميعهم على اتفاق: في أن جميع المشتهيات الموجودة على سطح الارض منحة من الطبيعة .. وفيض من فيوضها والاحياء في التمتع بها سواء. واختصاص فرد من الانسان بشيء منها دون سائر الافراد (يشير الى الملكية الخاصة) بدعة في شرع الطبيعة السيئة ، يجب محوها والاراحة منها" (١) .

---

(١) كتاب الرد على الدهريين ص ٩٠ . الناشر دار الكرنك القاهرة عمارة رمسيس - ميدان رمسيس باب الحديد : تحقيق الشيخ : محمود أبو رية .

موقفهم من الدين .. والملكية :

ومن مزاعمهم : أن الدين .. والملك عقبتان عظيمتان وسدان منيعان يعترضان بين أبناء الطبيعة . ونشر شريعتها المقدسة : (الاباحة .. والاشتراك) وليس من مانع أشد منهما . فان من الواجب على طلاب الحق الطبيعي : أن ينقضوا هذين الاساسين ويبيدوا الملوك .. ورؤساء الأديان ثم يعمدون الى الملاك وأهل السعة في الرزق . فان دانوا لشرع الطبيعة فخرجوا عن الاختصاص (أي الملكية وتنازلوا عنها) فتلك .. والا أخذ بأعناقهم قتلا . وبأكظامهم خنقا . حتى يعتبر بهم من يكون أمثالهم . فلا يلوون رؤسهم كبرا على الشريعة المقدسة (وهي شريعة الطبيعة) ولا تزور أعناقهم عصيانا لاحكامها .(١)

---

(١) المصدر السابق ص ٩

منافذ تسربهم :

" نظر أبناء هذه الطوائف في وجوه الوسائل لبث أفكارهم .. والافضاء بما في أوهامهم : الى قلوب العامة (الجماهير) فلم يجدوا وسيلة أنجح في زرع بزور الفساد في النفوس : من وسيلة التعليم : اما بانشاء المدارس تحت ستار نشر المعارف أو بالدخول في سلك المعلمين في مدارس غيرهم ، ليقرروا أصولهم في أذهان الاطفال ، وهم في طور السذاجة : فتنتقش بها مداركهم بالتدريج .

" فمن أولئك الدهريين : من همه بناء المدارس ، ودعوة الناس اليها ومنهم متفرقون في بلاد أوربا يطلبون وظائف التعليم ، وينالون من ذلك طلبهم ، وجميعهم يتعاونون على اذاعة خيالاتهم الباطلة وبهذا كثرت أحزابهم .. ونمت شيعتهم في أطار الممالك الاوربية خصوصا في مملكة الروسية .

" ولا جرم : أن هذه الطوائف اذا استفحل أمرها ، وقوي ساعدها على المجاهرة بأعمالها : فقد تكون سببا في انقراض النوع البشري ، كما تقدم ذكره ، أعاذنا الله شرور أقوالهم وأعمالهم" (١) .

---

(١) المصدر السابق ص ٩١ - ٩٢

ب - ومن هم في الشرق : ؟

" أما منكرو الالوهية ، أعني الدهريين (الاشتراكيين - الشيوعيين) الذين ظهروا في لباس المهذبين ، ولونوا ظواهرهم بصبغ المحبة الوطنية (القومية) وزعموا أنفسهم طلاب خير الأمة .. فصاروا بذلك شركاء اللص ، ورفقاء القافلة ، ثم تجلوا في أعين الاغبياء : حملة لاعلام العلم والمعرفة ، وسطوا للخيانة بساطا جديدا ، وتولاهم الغرور بما حفظوا من كلمات قليلة ناقصة ، غير تامة الافادة ، مسروقة من أوهام المبطلين وقتلوا سبالهم ، كبرا وعلوا ، ولقبوا أنفسهم بالهادين ، والادلاء ، وهم في أطباق جهل ، وأوثان عبارة ، وفي أهب من دنس الرذائل ، ومسوك من قذر الذمائم فأولئك قوم ، قوى فيهم الظن : بأن العقل وثمرته من المعرفة ينحصران في تبين وجوه الغدر ، وتعرف طرق الاختلاس ، وانني لفي خجل من ذكرهم ، يدافعني الحياء عن رواية سيرهم ، وحكاية أعمالهم ، فان مقاصدهم من الدناءة بحيث لاتخرج عن جيوبهم : يسعون في اقتلاع أساس أمتهم لشهوة بطونهم .. يجدون شفارهم لتقطيع روابط الالتئام بين بني جنسهم ، لا يبتغون بذلك عوضا

سوى حشو معدهم ، وما أضيق مجال تفكيرهم .

الى الان لم يخط أحد هم خطوة خارج كرشه .. ولم يمد واحد منهم رجله لابعد من فراشه . وليس فى وسع القلم أن يتحرك فى هذا المجال الضيق ، غير أنه يمكن أن يقال انهم : " بباجو" لغيرهم . أى سيئوا التقليد لهم" (١) .

٢- بين مزدك - وماركس :

ويقول جمال الدين الافغانى فى الصلة بين الاثنين :

" انتحل مزدك لنفسه لقب : رافع الجور .. ورافع الظلم . ومنزعة من نزعاته قلع أصول السعادة من أرض الفارسيين . نسفها فى الهواء وبددها فى الاجواء فانه بدأ تعاليمه بقوله : جميع القوانين ، والحدود والاداب (الاخلاق) التى وضعت بين الناس : قاضية بالجور . مقررة للظلم . وكلها مبنى على الباطل ، وان الشريعة الدهرية المقدسة لم تنسخ حتى الان . وقد بقيت مضمونة فى حرزها . عند الحيوانات والبهائم .

" أى عقل . وأى فهم يصل الى سر ما شرعته (الطبيعة) ؟

---

(١) المصدر السابق ص ٩١

" وأي ادراك يحيط بمثل ما أحاط به • وقد جعلت الطبيعة حق : المأكل والمشرب والبضاع •• مشاعا بين الآكلين •• والشاربين والمباضعين به دون أدنى تخصيص ؟ فما الحامل للانسان على حرمان نفسه من بضاع : ابنته •• وأمه •• وأخته ؟ ثم تركهن لغيره يتمتع بهن : انقيادا لما يخيله له الوهم • مما نسميه شريعة • وأدبا (أخلاقا) ؟

" وأي حق يستند اليه من يدعي : ملكية خاصة في مال يتصرف فيه دون سواه مع أنه شائع بينه وبين غيره ؟ "

" وأي وجه لمن يحجر على امرأة دخلت في عقده • ويحظر على الناس : نيلها وقد خلق الذكر للانثى • والانثى للذكر ؟

" وماذا يوجد من العدل في قانون يحكم بأن المال الشائع — اذا تناولته يد مختصب بما يسمونه بيعا وشراء •• أو ارثا — يكون مختصا بذلك المختصب • ثم يحكم على الفقير المحروم • اذا احتال لأخذ شيء من حقه والتمتع به : بأنه خائن •• أو غاصب ؟

" فان كان هذا شأن تلك القوانين الجائرة فعلى الانسان : أن يفك أغلالها من عنقه • ويطرح كل قيد عقدته القوانين والشرائع •• والآداب • التي لا واضع لها سوى : العقل الانساني الناقص •

وليرجع الى سنة الطبيعة المقدسة ، ويقضى حق شهوته من اللذائذ التى أباحتها له: بأى وجه من الوجوه ، ومن أية الطرق ، ويأخذ فى ذلك مأخذ البهائم ، وعليه أن يقاوم الغاصبين المتحكمين فى الحقوق : قسرا ، أى المالكين للاموال . . والابضاع فيخرجهم عن سوء فعالهم من الغصب . . والجور (أى من حق التملك) .

" فلما ذاعت هذه النزعات الخبيثة بين الامة الفارسية : تهتكت العليا ، وفشا الغدر والخيانة . . وغلبت الدناءة والنذالة . . واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم . . وفسدت أخلاقهم . . وذلت (أى وصلت الى الخسة) طباعهم . نعم ان " أنو شروان " قتل مزدك ، وجماعة من شيعته ، ولكنه لم يستطع محو هذه الأوهام الفاسدة ، بعدما علقت بالعقول . . والتبست نغايتها بالافكار ، فكان علة فى ضعفهم . حتى اذا هاجمهم العرب لم تكن الا حملة واحدة فانهزموا ، مع أن الروم - وهم أقران الفارسيين - ثبتوا فى مجالدة العرب ، ومقاتلتهم : أزمانا طويلة " [1] .

---

(١) المصدر السابق ص ٧٧- ٧٩

٣ - أوجه المشاركة في الحديث .. والقديم:

ويقول جمال الدين كذلك " وقد تبين : أن أول تعاليم

" النيتشريين " أبطال هذين الاعتقادين:

أولا : الاعتقاد بالله .

ثانيا : الاعتقاد بالحياة الابدية (الحياة الاخروية) وهما أساس كل

دين .

" فهؤلاء القوم هم الساعون في نسف بناء الانسانية . وتذريته

في ذيول السافيات . يطلبون ضعضعة أركان المدنية .. وفساد

الاخلاق البشرية . ويقوضون بذلك مارفعه العلم . وشادته المعرفة

فيهلكون الامم باطفاء حرارة الغيرة . واخماد ريح الحمية . هؤلاء

جراثيم اللؤم والخيانة .. وأرومات الرذالة والدناءة .. وأحلاس

الخسة والنذالة .. وأعلام الكذب والافتراء .. ودعاة الحيوانية

العجماء .. محبتهم كيد .. وصحبتهم صيد .. وتودد هم مكر ...

ومواصلتهم غدر .. وصداقتهم خيانة .. ودعواهم للانسانية حبالة

ودعوتهم للعلوم شرك ومكيدة .

" يخونون الامانة .. ولا يحفظون السر . ويبعون ألصق الناس بهم بأدنى مشتهياتهم .. عبيد البطون .. وأسراء الشهوات لا يستنكفون من الدنية . اذا أعقبتها عطية . ولا يخجلون من الفضيحة . اذا تبعتها رضيخة (أى عطية قليلة) لا علم عندهم بالوقار .. ولا احساس لهم بالعار .. ولم يبلغهم عن شرف النفس خبر مخبر . ولا وصل اليهم عن الهمة عبارة معبر . أو تفسير مفسر . الابن فيهم لا يأمن أباه . والبنت لا أمان لها من كليهما (١) " .

" نعم أى حد تقف عنده حركات طبع الطبيعيين (وفى مقدمتهم : الاشتراكيون .. والشيوعيون) .

" قد يوجد بين الناس من تغره نعومة لمس هذه الافاعى .. وتروقه رقطة جلودها . وانتظام الرقش فيها . فينخدع لهم بما يلتبس عليه من أمرهم . فيصغى لزخرف قولهم . ويظن : أن هؤلاء القوم من طلاب التمدن (التقدم) والاعوان على الاصلاح أو من الراغبين فى بث المعارف . أو المنقبين عن الحقائق .. أو يتخيل :

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

أن منهم من يكون عونا عند الضيق .. أو عونا في الشدة .. أو مخزنا للاسرار عند الحاجة . فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لا محالة يبكى عليه .. ويضحك منه . فالضحك عجبا من غروره .. والبكاء حزنا على ضلاله" (١) .

" .. ولما كان نظام الاكوان قد بنى على أساس الحكمة ونظام العالم الانساني جزء من النظام الكوني : ألهم الله نفوس البشر أن تفزع الى مقاومة أولئكم المفسدين في أى زمان ظهروا .. ومدافعة مايعرض من شرهم . كما ألهمهم الفزع من الحيوانات المفترسة . والنفرة من الاغذية السامة وأنهض حفاظ النظام المدني الحقيقي - وهو الدين - لبذل الجهد .. وافراغ الوسع في محو آثارهم . واستئصال مايغرسون في تعاليمهم .

" لاجرم أن مزاج الانسان الكبير (يقصد عموم النوع الانساني) بما أودع الله فيه من الشعور الفطري - وهو أثر الحكمة الالهية العامة - يمج هؤلاء الخونه . ولا يحتمل وجودهم في باطنه . فيدفعهم . كما تدفع الفضلات من المعدة . أو الذنانة

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٤

من المنخر • أو النخامة من الصدر • لهذا تراهم وان حلوا بعض منازل الأرض من زمان بعيد • وأيدهم بعض النفوس الخبيثة من ذوى الشوكة لاغراض سافلة الا أنهم لم يثبتوا • ولم يتم لهم الامر • بل كان عارض السوء منهم كسحاب الصيف كلما ظهر انقشع •

" والنظام الحقيقي لنوع الانسان - وهو الدين - لم يزل قائما راسخا • في جميع الأجيال وعلى أى الاحوال • فلم تبق ريبة فى أن الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان • فلو قام الدين على قواعد الامر الالهى الحق • ولم يخالطه شئ من أباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه: فلا ريب أنه يكون سببا في السعادة التامة • والنعيم الكامل • ويذهب بمعتقديه في جوار الكمال الصورى والمعنوى • ويصعد بهم الى ذروة الفضل الظاهرى والباطنى • ويرفع أعلام المدنية لطلابها • بل يفيض على المتحدثين من ديم الكمال العقلي والنفسي ما يظفرهم بسعادة الدارين" (١) •

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٥ ، ١٠٦

أوجه المشاركة في الفكر:

أولا : وهنا يلخص جمال الدين هذه الاوجه ويتحدث عنها فيقول: " لقد وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة • وعدوها أوهاما باطلة ومجعولات وضعية ••

ثانيا : قالوا : ان الانسان في المنزلة كسائر الحيوانات •وليس له من المزايا مايرتفع بـه على البهائم • بل هو أخس منها خلقة • وأدنى فطرة • فسهلوا بذلك على الناس اتيان القبائح وهونوا عليهم اقتراف المنكرات ومهدوا لهم طرق البهيمية • ورفعوا عنهم معايب العدوان •

ثالثا : ذهبوا الى أنه لاحياة للانسان بعد هذه الحياة وأنه لايختلف عن النباتات الارضية :تنبت في الربيع مثلا • وتيبس في الصيف ثم تعود ترابا • والسعيد من يستوفى في هذه الحياة : حظوظه من الشهوات البهيمية •

" وبهذا الرأى الفاسد أطلقوا النفوس من قيد التأثيم • ودفعوا الى أنواع العدوان • من : قتل •• وسلب• • وهتك عرض • ويسروا

لها الغدر والخيانة .. وحملوها على فعل كل خبيثة .. والوقوع في كل رذيلة .. وأعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشري" (١) .

" ويزيد في شناعة ما ذهبوا اليه . أن في أصولهم : الاباحة والاشتراك المطلقين . فيزعمون أن جميع المشتهيات حق شائع . والاختصاص بشيء منها يعد اغتصابا ..

فلم يبق للخيانة محل . فان الاحتيال لنيل الحق لا يعد خيانة ومثلها الكذب . فانه يكون وسيلة للوصول الى حق مغتصب - في زعمهم - فلا يعد أرتكابا للقبيح .

" لا جرم أن آراء هذه الطائفة مروجة للخيانات .. باعثة على افتراء الاكاذيب .. حاملة للانفس على ارتكاب الشرور والرذائل واتيان الدنايا والخبائث" (٢) .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦

(٢) المصدر السابق ص ٦٦

في الأثر على الانتاج والعمل الانساني الرفيع :

وهذه الطائفة النيتشرية تسعى لتقرير الاشتراك في المشتهيات ومحو حدود الامتياز ، ودرس رسوم الاختصاص ، حتى لا يعلو أحد عن أحد ، ولا يرتفع شخص عن غيره في شيء ما ، ويعيش الناس كافة على حد التساوي ، لا يتفاوتون في حظوظهم .

فان ظفرت هذه الطائفة بنجاح في سعيها هذا ، ولاق هذا الفكر الخبيث بعقول البشر ، مالت النفوس الى الاخذ بالاسهل : فلا تجد من يتجشم مشاق الاعمال الصعبة ، ولا من يتعاطى الحرف الخسيسة ، طلبا للمساواة في الرفعة ، فان حصل ذلك اختل نظام المعيشة ، وتعطلت المعاملات ، وبطلت المبادلات وأفضى الى تدهور هذا النوع في هوة الهلاك .

نعم ان أفكار المصابين بالماليخوليا لاتنتج أ..من من هذه النتيجة ، ولو فرضنا محالا وعاش بنو الانسان على هذه الطريقة العوجاء ، فلا ريب أن تمحى جميع المحاسن ، وضروب الزينة ، وفنون الجمال العملي ، ولا يكون لبهاء الفكر الانساني أثر ، ويفقد الانسان كل كمال ظاهر أو باطن ، صوري أو معنوي ، ويعطل

من حلى الصنائع ، وتضرب عنه أنوار العلم والمعرفة ، ويمسي في ظلام جهل ، وبلاء أزل ، وينقلب كرسي مجده ، وينثل عرش شرفه ويحصر في بادية الوحشية أنواع الحيوان ، ليقضي فيها أجلا قصيرا مفعما بضروب الشقاء ، محاطا بأنواع من المخاوف ، محشوا بأخلاط من الاوجال والأهوال .

" فان المبدأ الحقيقي لمزايا الانسان : انما هو حب الاختصاص والرغبة في الامتياز فهما الحاملان على المنافسة ، السائقان الى المباراة والمسابقة ، فلو سلبتهما أفراد الانسان : وقفت النفوس عن الحركة الى معالي الامور وأغمضت العقول عن كشف أسرار الكائنات ، واكتشاف حقائق الموجودات ، وكان الانسان في معيشته على مثال البهائم البرية - ان أمكن له ذلك - وهيهات هيهات " (١) .

تلك تحديات الفكر المعاصر الذي تسرب وكاد يستوطن في المجتمعات الانسانية .. في تفكير الخاصة والعامة على السواء وهي تحديات تتطلب قوة الايمان بالاسلام .. وحسن الفهم والعرض

---

(١) المصدر السابق ص ٦٧ ، ٦٨

لمباد ئه في مواجهة هذه التحديات ، خشية من ضياع شباب اليوم .. وذهاب الاسلام لفترة لا يعلم مداها الا الله .

ان التحديات المعاصرة للاسلام .. ولكتاب الله .. ولايمان المسلمين بهما : هي تحديات تصور جولة قاسية ضد القرآن ، من أولئك الملحدين الصادين عن سبيل الله .. ومن رفقائهم في الاستعمار ، الذين تدفعهم نوازع السيطرة والاستغلال وراء الصليبية العالمية .. هي تحديات شرسة ، وكريهة ، نفذت بالفعل الى شرايين الحياة الاسلامية .. وتواجه الان وجها لوجه : الايمان بالاسلام في قلوب ملايينهم وبالاخص : قلوب الشباب .

وان هذه التحديات في قوة دفعها .. وفي شراسة تشبثها بعقول المسلمين .. وفي نفاذ هاالمحكم : تواجه مع ذلك ضعفا بيننا أي بين دعاة الاسلام وعلمائه . وقد تواجه استسلاما من بعضهم أو قبولا عند البعض الآخر في غفلة من الايمان لديهم .. أو في يقظة تلتبس بها آمال موقتة وزائلة . وعندما يتسرب الالحاد في قاعات الدراسة في جامعة الازهر باسم التبادل الثقافي ، يحمله الصادون عن دين الله من جامعة " كارل ماركس " بالقسم الشيوعي من ألمانيا .

أو بأى اسم آخر: فقد دق عنده ناقوس الخطر، ينذر: بأن شعار: لا اله الا الله .. محمد رسول الله ، قد أحاطت به سواعد الفناء: في معقله وفي حصنه الأخير.

وان الله لا يحفظ دينه الا بقلوب المؤمنين به. فايمان القلوب هو الذى يرعى دين الله بالحفظ .. ويحول دون النيل منه في وجه الظالمين .

فهل لدينا بقية من ايمان تتصدى بها لشرح دين الله ورد الشبهات السافرات ، وهى سهام قاتلة ، توجه من هنا ... وهناك .. اليه ؟

ان هذا الحديث عن التحديات للقرآن بالامس .. واليوم: هو أولا : عرض لخطة الاسلاف منا ، في الدفاع عن العقيدة والايمان بها . ومهما يكن في خطتهم من نقاط ضعف أو سلبيات : فقد قاموا بواجبهم بالفعل نحو دين الله ، في مواجهة الرواسب الفكرية والايديولوجية في المجتمعات الاسلامية .

وفي الوقت نفسه هو ثانيا : تصوير مجمل للمشاكل والتحديات المعاصرة التى يرمى بها الالحاد العلمى .. وتدفع بها الصليبية

الدولية معه للتشويش على الاسلام أملا في انصراف الاجيال التي ستحمل المسئولية غدا في المجتمعات الاسلامية : عنه وعن مبادئه وبذلك تهتز أقدام المسلمين على أرض مجتمعاتهم ويعيشون أتباعا لسلطان غيرهم .. وعلى الفتات الباقي من ثروات بلادهم . والتي يعملون فيها آنئذ لحساب هؤلاء الاسياد أو لأولئكم .

فهل يسمع النداء ؟ .. وهل من مجيب ؟